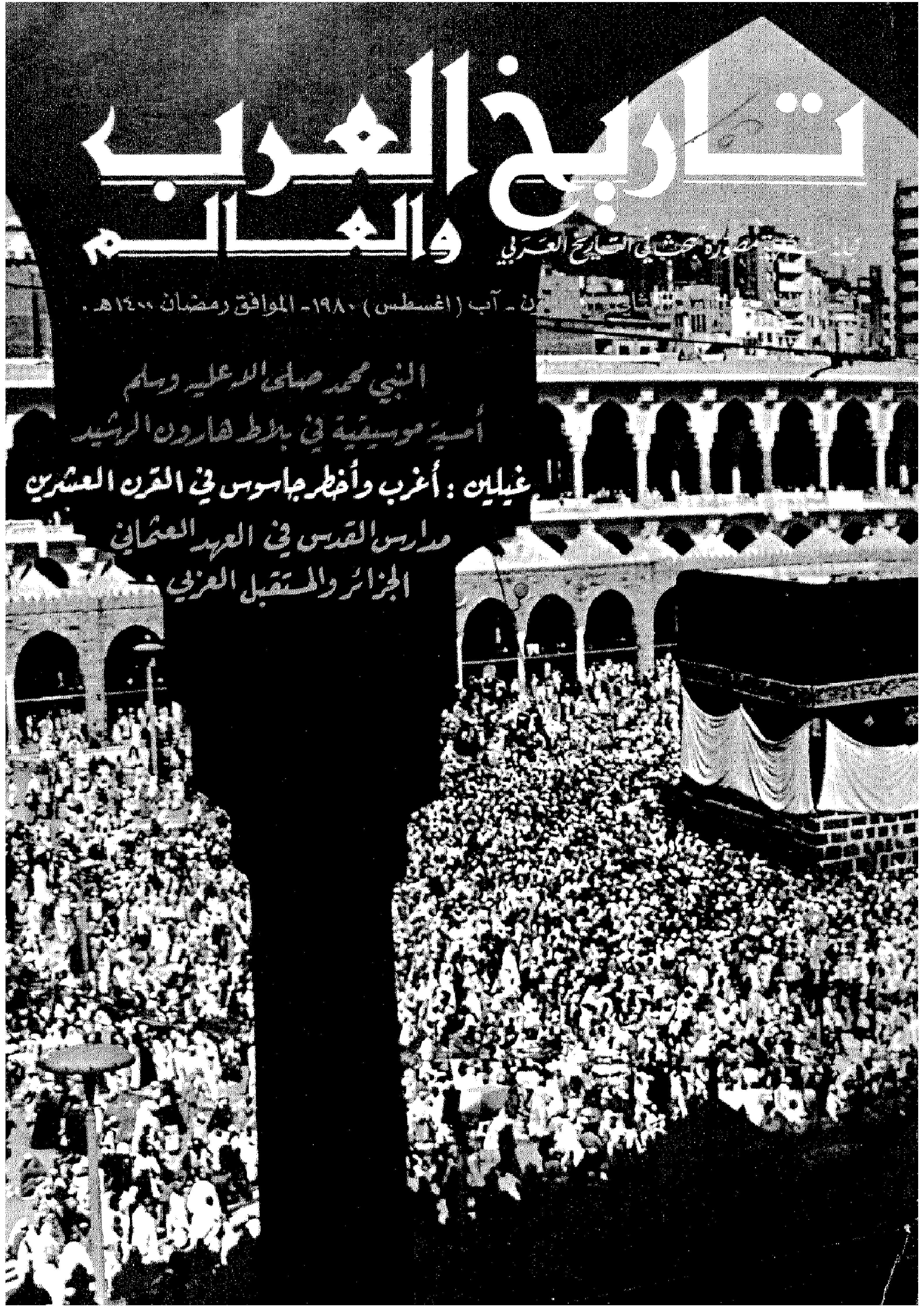

تاريخ العرب والعالم
آب (اغسطس) ١٩٨٠ - الموافق رمضان ١٤٠٠هـ.
النبي محمد صلى الله عليه وسلم
أمسية موسيقية في بلاط هارون الرشيد
غيلين: أغرب وأخطر جاسوس في القرن العشرين
مدارس القدس في العهد العثماني
الجزائر والمستقبل العربي

الماضي الذي سيأتي في عددنا المقبل

سعد زغلول
رئيس مجلس النواب



تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الثانية - العدد الثاني والعشرون - آب (اغسطس) ١٩٨٠ - الموافق رمضان ١٤٠٠ هـ .

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير

المستشار : د. أنيس صايغ المدير المسؤول : محمد مشموشي

الإنتاج : مطبعة المتوسط ش.م.ل. ● التوزيع : الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان :	٤ ل.ل.	سوريا :	٦ ل.س
العراق :	٧٠٠ فلس	ليبيا :	٨٠٠ درهم
السعودية :	٧ ريال	الكويت :	٥٠٠ فلس
الاردن :	٥٠٠ فلس	أبوظبي :	٨ درهم
دُبي :	٨ درهم	قطر :	٧ ريال
البحرين :	٧٠٠ فلس	المغرب :	٥ درهم
مسقط :	٨٠٠ بيزة	بريطانيا :	جنيه استرليني

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

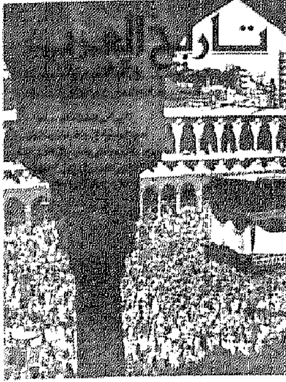
ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت . لبنان • بناية أبو هليل - شقة ١١ • شارع السادات - تلفون : ٨٠٠٧٨٣

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. 800783
BEIRUT, LEBANON

VOL. 2, No. 22. August 1980
ANNUAL SUBSCRIPTION
$75 (INCLUDING $25 FOR
ADDITIONAL AIR MAIL CHARGES)
MAIL ALL COMUNICATIONS,
INCLUDING SUBSCRIPTIONS TO:
"HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD"

في هذا العدد



مكة المكرمة

(راجع المقال ص ٣)

● المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة . ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب . مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب . تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط .

الموضوع		الصفحة
■ النبي محمد (صلعم)	د.سهيل زكار	٣
■ الجزائر والمستقبل العربي	د. حافظ الجمالي	٩
■ المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام مدارس القدس في العهد العثماني	د. هشام نشابة	١٤
■ الوصف الاثري والمسح الاثري	د. نقولا زيادة	٢٤
■ الازمة اللبنانية بين مؤتمر فرساي ولجنة التحقيق الدولية	حسان حلاق	٣١
■ جمال الدين الافغاني في القاهرة	د. عثمان امين	٤٠
■ ملف الوطن العربي :سيناء	قسطنطين خمار	٤٦
■ امسية موسيقية في بلاط هارون الرشيد (الحلقة الاولى)	ايكهارد نويباور	٥٤
■ حول تاريخ الفلك في العصر الوسيط في اليمن	د. دايفيد كنج	٦١
■ كتب وردتنا: تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي	سيف مرزوق الشملان	٦٧
■ غيلين: اغرب واخطر جاسوس في القرن العشرين (الحلقة الاولى)	ترجمة «تاريخ العرب والعالم»	٧٠
■ المراة والاسرة في المجتمع البابلي	نجوى الحسنية	٧٨
■ القانون : أغنى الآلات الموسيقية العربية		٨٣
■ رسائل الماجستير		٨٤
■ المسابقة		٨٨
■ القراء يكتبون		٨٩
■ بريد القراء		٩٤
■ رأي حر		٩٦

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة : ص.ب ٥٩٠٥ في بيروت .

● المقالات والدراسات التي تُنشَر لا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلة .

● المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تُنشَر .

محمد النبي صلى الله عليه وسلم

وانك لعلى خلق عظيم

د. سهيل زكار



ولد النبي محمد (صلعم) عام ٥٧١ م، في مدينة مكة، التي هي احدى كبريات حواضر شبه جزيرة العرب، وجزيرة العرب هي رقعة شاسعة من الارض في آسية، تمتد جنوبيا الى شواطىء اليمن وشمالا الى بلاد الشام، وغربيا الى خليج العقبة فسواحل البحر الاحمر، وشرقا الى اطراف عمان والبحرين، فالبصرة وشط العرب، ورغم مكانة موقع شبه الجزيرة هذا واحاطة المياه بها، فقد قست عليها الطبيعة، فالمياه بها قليلة، والامطار شحيحة، وقد انعكس هذا على سكانها، من حيث الطباع ونمط الحياة، فقد اتسم هذا النمط بعدم الاستقرار، وبسيطرة الطبيعة البدوية عليه، لهذا

كان سكان شبه الجزيرة اكثرهم بادية واقلهم حاضرة، وفي التاريخ القديم لشبه الجزيرة قامت مواجهة بين قلة الموارد وتكاثر السكان، وادى هذا الى جعل شبه الجزيرة واحدا من اعظم الخزانات البشرية عبر التاريخ، تدفقت منه موجات من المهاجرين غطت بمدها الشام والعراق ومصر وشمال افريقية، وكان اهم هذه الموجات وابعدها تأثيرا تلك التي تمت في القرن السابع مع قيام الاسلام وبسببه.

وقطن اكثر الحاضرة في جنوب شبه الجزيرة واقلهم في الشمالي، في مدن قامت اما في احدى الواحات، او في احد من المواقع ذات المكانة الدينية والتجارية في آن واحد، ومنذ القرن الخامس، كانت مدينة مكة ابرز مدن شبه الجزيرة تجاريا ودينيا، حيث تحكمت بقيادة العمل الديني، كما احتكرت صناعة المال، ومعلوم ان من ملك المال ملك السيادة، فكيف به اذا ملك زمام العقيدة مع المال...

من الصعب تتبع تاريخ مكة بشكل وثائقي، انما هو على العموم ارتبط بالبداية بنبي جليل هو ابراهيم الخليل عليه السلام، قام ببناء البيت العتيق فيها الذي عرف باسم الكعبة، ثم اخذ بمدارج الشهرة والتأثير مع زعيم كاهن تاجر هو قصي بن كلاب، واخيرا احتل مكان الصدارة في تاريخ العالم مع نبي وقائد مشرع ورجل دولة من الطراز الامثل هو النبي (صلعم).

ففي القرن الخامس للميلاد استولى على مكة رجل نصف تاريخي عرف بقصي بن كلاب. فأسكنها تجمعا قبليا من قبائل كنانة وسواها، وذلك حسب نظام اجتماعي قام على اساس الثروة ثم الدين، وخلال ما يقارب القرنين من الزمن سار مجتمع مكة نحو تكوين وحدة قبلية عرفت باسم قريش، وحواشيها باسم الاحابيش، وتطور الحال السياسي فيها من قاعدة القبلية البدوية نحو جمهورية التجارالسدنة،وادواتهم في جميع المجالات.

وتبعا لقاعدة كل تطور، لقد مر ذلك خلال صراعات كبيرة، رواها لنا الاخباريون تحت عناوين حروب واحلاف وزيادة ثروة، وفقر واستغلال وصراع مرير عبر طرق القوافل العالمية نوعا ومصدرا.

في هذا الجو، وفي هذه المدينة ولد النبي (صلعم)،في عام تعرضت فيه مكة لاول مرة لغزو خارجي مؤرخ، قام به جيش من الاحباش كان حليفا للامبراطورية البيزنطية، وقد اراد هذا الجيش الاستيلاء على ثروات مكة، وتحويل كعبتها الى كنيسة، وفتح جبهة عسكرية جديدة ضد الامبراطورية الفارسية التي كانت هي في صراع مع بيزنطية وأخفقت هذه الحملة، ودمر الله رجالها، وجاء ذلك فرصة جديدة لمكة، أكدت فيها قوتها وجبروت زعاماتها، وعلو مكانة كعبتها فوق جميع كعبات ومعابد الوثنية في شبه الجزيرة.

وأثناء تعرض مكة لمحنتها برز عبد المطلب ابن هاشم كزعيم اول لمكة وثيق الصلة بالكعبة، سلاحه الاول الشجاعة والاخلاق مع شيء من المال، ولم يسلم رجال مكة الاكثر ثراءاً لعبد المطلب، وكان اهم هؤلاء بنو امية ومخزوم، وكيما لا يقف بنو هاشم وحدهم في وجه بني امية تحالفوا مع قبيلة تيم من قريش، وهي قبيلة كانت فيما سلف أدنى مكانة من الناحية

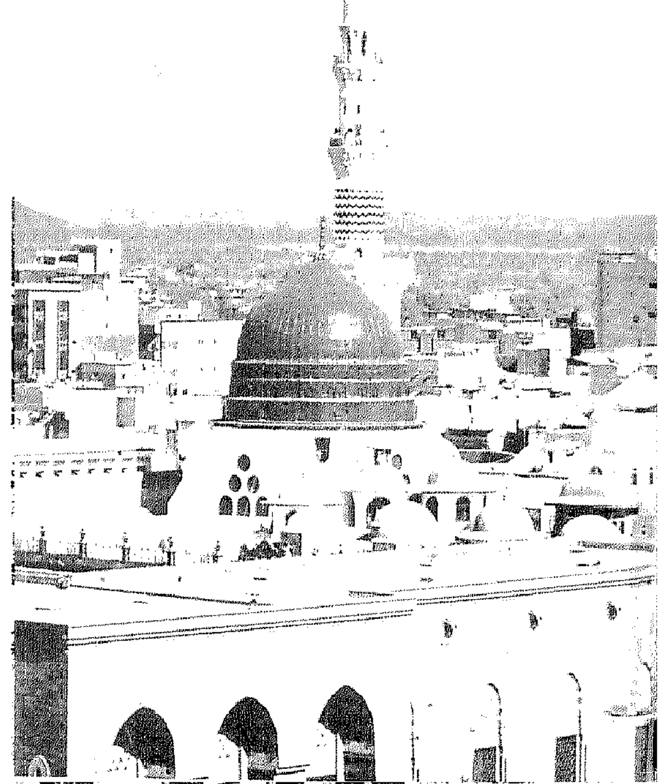
المدينة المنورة



الاجتماعية، لكنها حصلت مؤخرا ثروة كبيرة على يد واحد من رجالاتها عرف باسم عبد الله ابن جدعان، وفي دار عبد الله بن جدعان عقد الحلف الهاشمي التيمي، ورد بنو امية ومخزوم على هذا الحلف بحلف مضاد عقدوه مع قبيلة عدي من قريش التي شابهت تيم، ثم مدوا فروع هذا الحلف الى ارستقراطية الطائف ورؤساء القبائل في شبه الجزيرة، وحتى الى خارج شبه الجزيرة.

وضمن هذه المعطيات ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، يتيم الاب، فاحتضنه جده عبد المطلب، وقام - على قاعدة ارستقراطية مكة - بدفعه الى مرضعة بدوية من بني سعد، عرفت باسم حليمة ابنة ذؤيب، ولدى حليمة، وعبر خمس سنوات، رضع محمد (صلعم) الحليب، ونال حظه من الهواء النظيف واللغة السليمة، والعادات القويمة، وبعدها عاد الى امه وجده.

وبعد عودته بقرابة عام سافرت به امه الى يثرب - المدينة - لزيارة اخوال جده، وفي طريق العودة توفيت، فأصبح يتيم الابوين يرعاه جده، ويسهر على تربيته ويؤثر فيه، ولما بلغ الثامنة من عمره توفي جده، فدخل مرحلة اليتم الحقيقية التي أشار الله تعالى اليها بقوله: «ألم يجدك يتيما فآوى»، وكان المأوى هذه المرة بيت عمه ابي طالب وكان ابو طالب فقير الحال معيلا لأسرة كبيرة، وكان بين اخوانه من هو اغنى منه مثل العباس ومثل ابي لهب الذي «ما أغني عنه ماله وما كسب»، لكن ما من واحد من هؤلاء مد اليه يد العون.


مسجد الرسول بالمدينة المنورة

وكان ابو طالب يكافح في سبيل لقمة العيش، ويسافر في رفقة القوافل، لهذا استعان بابن اخيه، واصطحبه معه اثناء عمله داخل مكة وخارجها، وهكذا زار محمد (صلعم) بقاع الجزيرة والشام وربما غيرها من البلدان، فنال بذلك خبرة ومعرفة جغرافية، وثقافة عامة، وعرف كيف يكافح من اجل العيش، وعانى من الاستغلال وعاش مشاكل امته وعصره، فرأى جشع الاثرياء ونهمهم، وأمضى وقتا طويلا مع الشقاء والحرمان، وأبصر عن كثب الصراع بين الديانات وشهد عن قرب محاولات بعض من بني قومه في البحث عن المخرج عن طريق ما عرف بالحنيفية.

وهكذا جاء خريج مدرسة الحياة، عنده المقدرة والجلد مع الصبر والعزيمة، فكان عصامي النفس، مرهف الاحاسيس، جياش العاطفة، صلب المبني، واضح الرؤى، كريم الخلق امينا بلا سلبيات، يتألم لشقاء الآخرين ويسعى بكل جهد لازالتها.

وعندما بلغ سن الشباب، اخذ يشارك في نشاطات مكة التجارية، والمدنية والحربية، فلفتت مواهبه انظار المكيين اليه، وكان بين هؤلاء خديجة بنت خويلد التي كانت «امرأة تاجرة، ذات شرف ومال» وقد تشاركت مع محمد (صلعم) وأدى نجاح اعمالهما الى الزواج، وكان هو في الخامسة والعشرين من عمره، وكانت هي ارملة ربما تقاربه في السن او تزيده قليلا.

وكان لحادث زواجه من خديجة كبير الاثر على حياته، فقد وضع هذا الزواج حدا لشقائه وفقره، ورفعه الى موقع المسؤولية التجارية والادارية كما منحه الوقت للتفكير.

وأحب محمد زوجته الهادئة المجربة

الرزينة، وتعلق بها تعلقا شديدا، وبادلته هي نفس المشاعر، وكانت تفهمه وتثق به لذلك منحته الفرصة للانقطاع طويلا للنظر في امور الكون، وللعمل في سبيل اعداد نفسه، والتهيؤ لتحمل اعباء رسالة اراد الله تعالى بها اسعاد البشرية ورفع الظلم والحيف، ونفي الضلال عنهم.

وتدعى فترة الانقطاع في حياة محمد باسم «التحنف او التحنث» اي العمل للخروج من الحنث الى جادة الصواب، وقضى جل خلواته في غار خارج مكة عرف باسم «حراء». وفي الخلوات استطاع ان يقهر قوة الذات، ويزيل «الأنا» من نفسه ويتحول الى الغيرية بلا حدود وعندما وصل الى هذه الحالة جاءه الوحي برسالة السماء، فطوى بذلك الطور الاول من حياته، وبدأ الطور الثاني، وهو طور بالغ الخطورة لا بالنسبة له فقط، وانما بالنسبة للعرب والبشرية جميعا منذئذ وحتى يرث الله الارض ومن عليها.

ولقد مر الطور الثاني من حياة النبي محمد(صلعم) بمرحلتين هما:المكية والمدنية. ففي المرحلة المكية وهي الاولى بداية وطولا، تم تبليغ مبادىء الرسالة الالهية «الجديدة الخاتمة» التي عرفت باسم الاسلام ووضعت قواعدها وبنيت مقاصدها واهدافها، وشهدت المرحلة الثانية تطوير ذلك كله مع التطبيق العملي.

وبدأ تاريخ الاسلام بنزول الوحي على «النبي الجديد»، «خاتم الانبياء» بقوله تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق» ثم اخبره بانه رسول الله الواحد الاحد، الى قومه والى البشر كافة، وان عليه تبليغ الرسالة وانارة السبل، وارشاد الناس قولا وعملا الى الطريق القويم الذي شرعه الله ولم يشرعه البشر، فالله خلق البشر، وهو سيرعى خلقه بشرعة كاملة توافقهم بلا استثناء: لونا، وزمانا، ومكانا، والمقصد من نزول هذه الشريعة هو هداية البشر الى الطريق الاقوم عبادة وسلوكا، نظريا وتطبيقيا قولا وعملا.

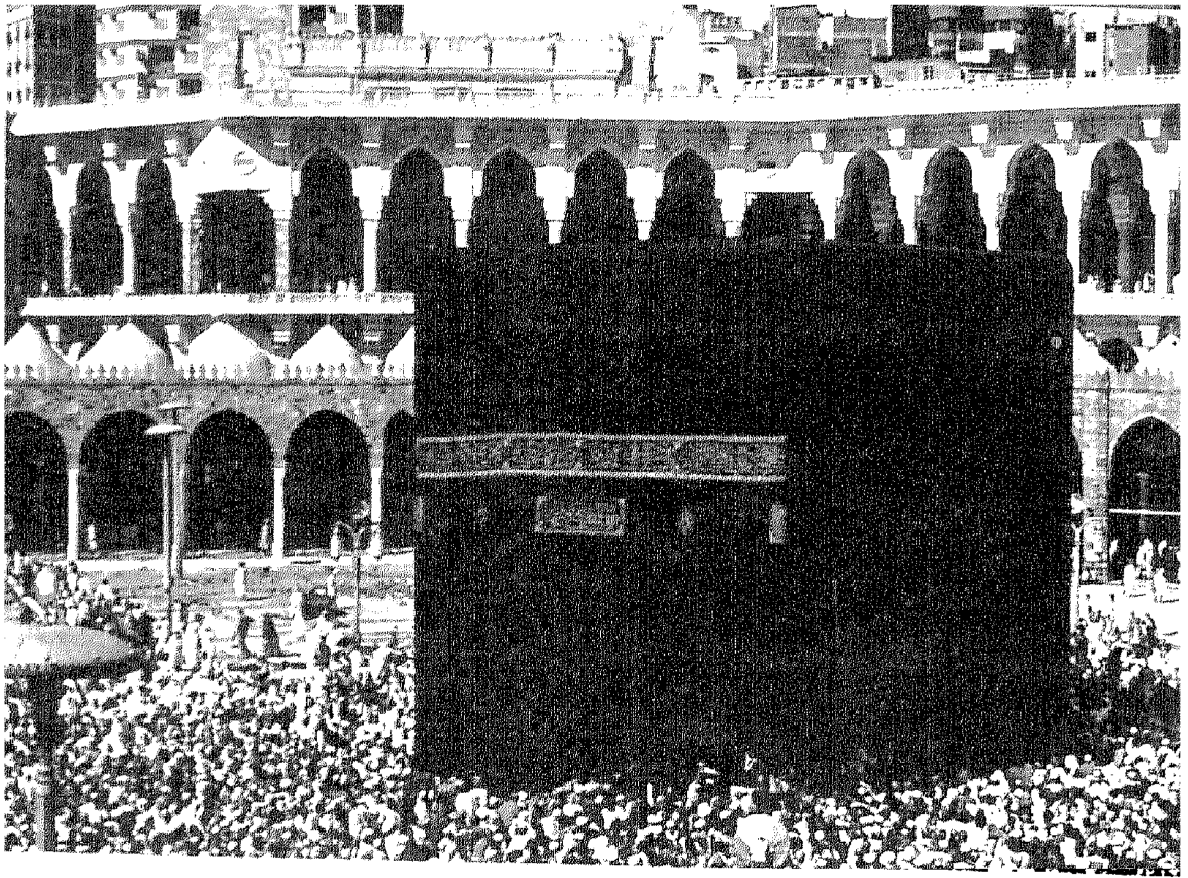
وكان نزول الوحي للمرة الاولى على النبي امتحانا قاسيا، لكن بعد ان اعتاد عليه، وترسخت معالم النبوة في نفسه، اخذ يبشر بما جاءه من عند الله، فآمن به عدد من الرجال كان اولهم ابو بكر، ابرز رجال قبيلة تيم آنئذ، ومع تطور العمل الدعوي لدى النبي صلعم تطورت معارضة قريش له، وخاصة عندما بدأ ينادي بالاصلاح الاجتماعي والمساواة ومنع الظلم والاستغلال، وبعدما أعلن الحرب على المرابين من اصحاب الاموال ثارت زعامة قريش واخذت تضطهده وتعذب كل من آمن به.

ومرت السنوات الاولى من الدعوة، واستخدمت الارستقراطية المكية جميع الادوات من ترغيب وترهيب ضدها فأخفقت واعتمدت الارستقراطية القرشية في عملياتها على دعم حلفائها لها وخاصة «بنو عدي» الذين آلت زعامتهم إلى عمر بن الخطاب.

لقد كانت معركة بين حلف الفضول وخصومه، لذلك هدف النبي(صلعم) نحو تحطيم حلف الارستقراطية، وبعد جهد طويل افلح في ذلك، حين دخل عمر بن الخطاب في الاسلام، وفور اعتناق عمر الاسلام احتل المرتبة الثالثة بين جماعة المسلمين بعد النبي(صلعم) وابي بكر.

واثر ذلك ازدادت شراسة الارستقراطية المكية، وتحرج وضع النبي وأتباعه في مكة حرجا شديدا، واقتنع النبي وصحبه بأن فرص النجاح في مكة باتت ضئيلة، وأخذ النبي يبحث عن مخرج، وهنا اقترح عليه احد المسلمين الاستيلاء على مكة على حين غرة – او بعبارة اخرى – احداث انقلاب عسكري في مكة، ومع تقدير النبي لصدق نوايا صاحب الاقتراح، وتأثره بشدة اندفاعه العاطفي، رفض الفكرة باصرار، ذلك انه كان نبيا ثوريا، وليس وصوليا، هدفه السلطة، فقد سبق له ان أعلنها مدوية «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او اهلك دونه».

وامام اشتداد المحنة، سمح النبي(صلعم) لاتباعه بالهجرة الى الحبشة، واخذ هو بدوره يتصل بالاعراب وسواهم ايام المواسم ويعرض عليهم دينه وعقيدته، فانتشر ذكره في بلاد العرب وعم بين قبائلها، وسعى النبي (صلعم) نحو التحالف مع قادة بعض القبائل من ثقيف



الكعبة الشريفة.

الطائف وسواها ولكن الترابط الارستقراطي بين زعامات القبائل وارستقراطية مكة حال دون نجاح مسعاه، وهنا توجه ببصره نحو يثرب، التي هي مدينة على بعد حوالي مائتي ميل من مكة، والى الشمال منها، وقد قامت ضمن واحة زراعية، جل انتاجها من التمر، وسُكنت المدينة آنئذ من قبل يهود وعرب، وكان هناك صراع بين اليهود والعرب اساسه اقتصادي اجتماعي سياسي، ثم ان العرب تألفوا من قبيلتين رئيسيتين هما: الاوس والخزرج، وكانتا في صراع دائم حول السيادة في يثرب، ولم يكن بالمدينة كعبة ولا ارستقراطية تجارية.

واتصل النبي (صلعم) بحجاج من اهل المدينة واثمرت الاتصالات باسلام بعضهم، ثم بانتشار الاسلام في يثرب، وبعد عمل دعوي منظم وضعت الترتيبات لهجرة النبي (صلعم) واصحابه من مكة الى المدينة، وحدث هذا في سنة ٦٢٢م، وكان هذا الحدث من الخطورة بمكان، لذلك اتخذه المسلمون فيما بعد منطلقا لتقويم خاص بهم.

وفي المدينة صنعت انجازات كبيرة للغاية منها ايجاد نواة امة عقائدية حل فيها رابط الاسلام محل رابطة الدم والنسب، ونظمت العلاقات الداخلية بين افرادها والعلاقات الخارجية مع غيرها من الامم، وصار النبي (صلعم) سيد الامة الجديدة وذلك بالاضافة لكونه نبيا، وغدا مقر سكناه ودار دعوته وادارته المسجد، وتطلبت منه مهمته الجديدة مجهودات كبرى في التنظيم والحكم والادارة، مع متابعة نشر الدعوة، وبتولي النبي للسيادة الزمنية مع صفات النبوة فيه جعل المفهوم الديني ممزوجا بالمفهوم الدنيوي، وهذه ناحية تفرد بها هذا الدين الذي لم يفرق بين القصر والمعبد.

وما ان استقر به الحال في يثرب حتى اخذ النبي يخطط لاستخدام القوة المسلحة ضد خصومه من قريش وسواهم، وكانت حاجته ماسة للسلاح، وقد استطاع تأمين اول كمية كبيرة من الاسلحة بعد غزوة بني النضير واجلائهم، وبعد ستة اشهر من غزوة بني النضير خاض المسلمون اول معركة فاصلة في تاريخهم، حيث هزموا على ارض بدر قوات القرشيين، وبعد بدر خاض المسلمون عدة معارك اخرى قادتهم اخيرا نحو فتح مكة ثم توحيد شبه الجزيرة، ووضعها تحت ادارة مركزية.

ولم تكن الجزيرة وأمر اخضاعها شغل النبي الشاغل، بل نجده يهتم بايصال الاسلام الى البلدان المجاورة ويضع الخطط البعيدة

المدى لنشر الاسلام في بقاع العالم اجمع، وبهذا المنطلق تميز النبي محمد (صلعم) عن غيره من الرسل، فالانبياء الذين سبقوه جاؤوا برسالات محلية قومية، فالنبي موسى عليه السلام اراد اخراج قومه من مصر وهدايتهم، والمسيح رضي الله عنه – تبعا للمصادر النصرانية، انما بعث لهداية الكباش الضالة من بني اسرائيل.

هـذا ولا تقاس اهمية النبي محمد (صلعم) وعظمته بالانجازات التي تمت في عصره فقط، ولكن بما نتج عن هذه الانجازات، وما تحقق بعده بقيام الفتوحات الكبرى، وتأسيس دولة الاسلام العظمى الممتدة من داخل الصين وحتى خليج عمان ومن شواطيء المتوسط في الشام حتى جنوب فرنسة ومشارف روما، مع انشاء الامة العقائدية العالمية.

ولقد كان اثر هذا، وما زال كبيرا للغاية على البشر وحضارتهم وثقافتهم واوضاعهم الاجتماعية والعقائدية والعرقية والسياسية والحربية ايضا.

وتأتي اهمية النبي محمد (صلعم) في انه اول مشرع في التاريخ قديمه ووسيطه وحديثه جاء – من عند الله – بالنظرية، وقام بعد ذلك بالتطبيق، لهذا لم يتغير جوهر التشريع الاسلامي ولم يتبدل قط، وهكذا كان الاسلام واحدا، وظل واحدا، فليس في الاسلام «كنائس» ذات ديانات متباينة بالعقائد والتشاريع كما هو الحال في المسيحية مثلا، في الاسلام مذاهب متفقة بالجوهر مختلفة حول بعض التفاصيل والالوان الخارجية.

وبات من المقرر علميا ان الانسان بجوهره هو شيء واحد، وان اختلفت الوان واشكال البشر، فهذا الخلاف ظاهري سطحي مفيد.

وتأتي عظمة النبي محمد (صلعم) وخلوده في كونه قد نفذ جميع البرامج التي وضعها، ووفى بجميع وعوده، فعندما اصبح سيد الامة الجديدة، حقق ما دعا اليه من اصلاح اجتماعي واقتصادي، حيث اوجد الاخاء، واحل العدل القائم على الشريعة الواضحة ذات المضامين الاخلاقية، محل الظلم والاعتباط، وحرر المرأة وصان كرامتها، واحاطها بسياج من القدسية والاخلاق، واوجد النظام ورفع من مكانة الارقاء، واوجد سبلا كثيرة لتحرير الرق، ومحاربة الشقاء والفقر، وحض على العمل الدؤوب المخلص.

لقد أوجد النبي محمد (صلعم) امة جديدة ككل وكأفراد، فعظمة النبي تظهر جلية في براعته في صنع القادة العظام من رجال كانوا عاديين قبله لقد اوجد النبي محمد (صلعم) الانسان العربي المتحضر بعقله وايمانه، وحسن اخلاقه ومثله وامانته، وسهر منذ بداية الدعوة على نشر الثقافة والقراءة والكتابة بين صفوف اتباعه، فهيأ طبقة من الناس ستتمكن من ادارة الدولة الكبرى التي ستقام بعد وفاته.

وبفضل ما جاء به من نظم شملت جميع جوانب الحياة، وما شرعه من قوانين اقتصادية ومالية واجتماعية وسياسية وقضائية وادارية، ثم بفضل ايجاده لفكرة الجهاد، واحلال الحرب المقدسة الهادفة، محل الحروب الداخلية واعمال الغزو، وبفضل ايجاده لشرعة الحرب التي استهدفت تحرير الانسان وصيانته سواء اكان صديقا ام خصما. بفضل ذلك كله استطاع العرب المسلمون بعد وفاته بفترة وجيزة فتح اعظم اجزاء بلاد العالم الوسيط، ولم يحدث لعرب القرن السابع ما حدث لاسلافهم من المهاجرين الى خارج الجزيرة، الذين امتصتهم حضارات البلدان التي هاجروا اليها، او مثلما حدث لمغول ما بعد القرن الثاني عشر، واستطاعوا الحفاظ على شخصيتهم المتميزة لانهم حملوا منطلقات حضارية جديدة تنبض بالحياة، فتمكنوا من صهر الحضارات القديمة في بوتقة عربية، واخرجوها للناس حضارة جديدة، ثم قاموا تحت ظل الاسلام بتطوير هذه الحضارة وتنميتها، واضافة جوانب مبدعة كثيرة عليها.

والآن حين اخذ الناس يتعرفون بشكل علمي الى تاريخ الاسلام وحضارة المسلمين، لاحظوا باكبار ودهشة ان كل خلجة وحركة تمت في ماضي المسلمين جلي فيها الاثر الكبير للنبي (صلعم) وفي هذا ريادة لا يعلوها ريادة وخلود ما بعده خلود، ولم لا فالله تعالى قال وقوله الحق: «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون».

الجزائر والمستقبل العربي



د. حافظ الجمالي

أكتب. ولعلني لا افعل شيئا غير الكتابة ومع ذلك فقلما كتبت في قضية تخص قطرا عربيا واحدا بعينه.

وعندما اكتب في قضية ظاهرها قطري، فلأن ما اكتب عنه ذو طابع قومي. والان اريد ان اكتب عن الجزائر او للجزائر. ولا اظن اني اعبر عن عاطفة شخصية ان قلت: إن ثورة المليون شهيد تحتل في قلب كل عربي اعلى منزلة، وتتسامى لتصبح فخرا عربيا بالجملة، لا فخرا جزائريا فحسب.

واتساءل احيانا: أليس في الثورة الجزائرية ما يذكرنا ببطولات شعبنا، ايام امجاده الاولى، لدى وبعد ظهور رسالة الاسلام الكريمة؟ واقول: ان الفرق كبير. في تلك الايام كان قوادنا يهاجمون بلادا غريبة، ويحتلونها، ويعربونها ويهبونها الدين كعقيدة. اما في الثورة الجزائرية، فاننا لا نزيد على ان نسترد ارضا فرطنا بها بعد اكثر من اثني عشر قرنا من احتلال اجدادنا لها. وفي الماضي كنا نهاجم ومع ثورة الجزائر كنا نقاوم. وليس الهجوم كالمقاومة. واعود فاقول: ماذا ابقي وليس الهجوم كالمقاومة. واعود فاقول: ماذا ابقي المستعمر من الجزائر وشعبها، ومؤسساتها، ولغتها، ونظمها؟ والى اي حد عدا حتى على الدين نفسه، فحاول

طمسه، وارخى الظلام عليه، وجعله ينزوي في البيوت البعيدة، والزوايا المهجورة، والمساجد المقهورة؟ ومع ذلك فقد تمكن الشعب الجزائري من استرداد ارضه. وطرد الغاصبين وانشاء دولة، لعل ما انشأته وبنته خلال السنوات القليلة التي عاشتها مستقلة، اكبر بما لا يقاس من كل منشآت الاستعمار خلال مئة وثلاثين عاما. وبكل بساطة، يمكن القول، ان العرب اعادوا فتح الجزائر من جديد، بوسائل اقل من تلك التي كان يملكها الفاتحون الاول، وضد خصم يملك من وسائل الحرب والتدمير، ما لم يعرفه لا في قليل ولا في كثير. حكام الجزائر السابقون، عهد الهجوم العربي.

وهكذا عادت الجزائر الى العروبة والاسلام، وعادت اليها لغتها وتقاليدها ونظمها، واصبحت نموذجا لعنف المقاومة التي يملكها العربي، متى حزم امره، ووحد كلمته، واستهان بالتضحيات. وما اكثر الظروف التي ينكشف فيها للشعب انه في المقاومة، اشد منه في الهجوم، وانه بالاسلحة القليلة، قادر على اثبات وجوده، اين منه وجود الاسلحة الضخمة. والجنود الكثر، والعنف الذي يبديه المستعمرون.

* * *

غير ان الجزائر لما عادت الى العروبة عادت في الوقت نفسه الى المشاركة في همومها. ولست ادري كيف تتفق الظروف على جعل الهموم واحدة، على مسافة هي تلك التي تفصل جانبي الوطن العربي الشرقي والغربي. والشمالي والجنوبي، ولو ان قادة العرب تبادلوا الادوار وحكم كل منهم مكان الآخر لوجد انه امام الهموم نفسها، كأن لم يتغير عليه شيء حتى ولو انتقل من العراق إلى المغرب، او من سورية إلى السودان او اليمن. وإذا كانت مساحة الوطن العربي ثلاثة عشر مليوناً ونصف المليون من الكيلومترات المربعة بعرض متوسط لا يقل عن ٢٥٠٠كم. وطول لا يقل عن خمسة آلاف كم. فان من الغريب ان يكون واحداً في كل شيء، ولا سيما في الهموم.

ولكن ما هي هذه الهموم، او على الاصح ما هي اكبر هذه الهموم، بغض النظر عن الصغيرة منها، او الصغيرة نسبيا، والتي يصعب احصاؤها على الباحث؟ اما انا فأشعر ان للعرب حيثما كانوا همين كبيرين، اولهما، انهم من العالم الثالث، او من شعوب الارض المتخلفة، يتوقون باستمرار الى كسب الحضارة العالمية، ويجهدون، ويجاهدون، ويتعبون، ويشقون، وتظل هذه الحضارة بعيدة عنهم، لا يتقدمون اليها خطوة، الا لتبعد عنهم خطوات، وبالتالي فان حظهم من لقاء الحياة قليل، وشقاءهم فيها كثير. والثاني انهم مهددون حتى في وجودهم نفسه. وصحيح انه ما من شيء في الظاهر يهدد استقلال المغرب او الجزائر او تونس. ولكن هذه الاقطار ملتحمة عضويا، ووجدانيا بالمشرق العربي، فان سقطت دمشق، او جدة، او الكويت، او اية امارة من امارات الخليج بين يدي الاستعمار، فان النكبة لا تكون خاصة بالاقطار التي وقعت فيها، بل تعم وتشمل الوطن العربي كله. وعندما نتحدث عن الصهاينة، وما احتلوه من الاراضي العربية، نتحدّث عن ثلاثين الف كم^2 من كل الاراضي العربية وهي مساحة صغيرة نسبيا من الارض الوطنية. ولكن اي عربي في اي قطر لا يشعر ان هذه النكبة نكبته، وان الكارثة اعظم بكثير، وبما لا يقاس، من مساحة الارض المحتلة، وانها قد تمتد في كل لحظة، لتشمل مساحات اخرى، ومن هنا لا تتحد الاقطار العربية في هم واحد، هو هم التخلف، بل تتحد في الهم الآخر، والاكبر، الذي هو هم اسرائيل.

ترى هل من علاقة بين هذين الهمين؟ لا ريب عندي ان العلاقة سببية من ناحية، وجدلية من ناحية اخرى. فلولا التخلف العربي، لما وجدت اسرائيل. وفي هذه البؤرة المرزغية، نبتت هذه الحشيشة السامة، ونمت، وترعرعت، ولا تزال، وهي تسمم الحياة العربية كلها من اقصى الشرق الى اقصى الغرب. ومن جهة اخرى فان اسرائيل تمتص الكثير من الجهد العربي والاموال العربية، مما يعرقل امكانيات التقدم، ويعرقل عجلة التطور، فكأن هذه الاسرائيل اداة جديدة من أدوات التخلف، او قل انها قنبلة موقوتة لأزمنة مختلفة، ما ان نبني في حياتنا شيئا مهدما، الا انفجرت لتقوضه من اساسه كما لو كنا لم نفعل شيئا.



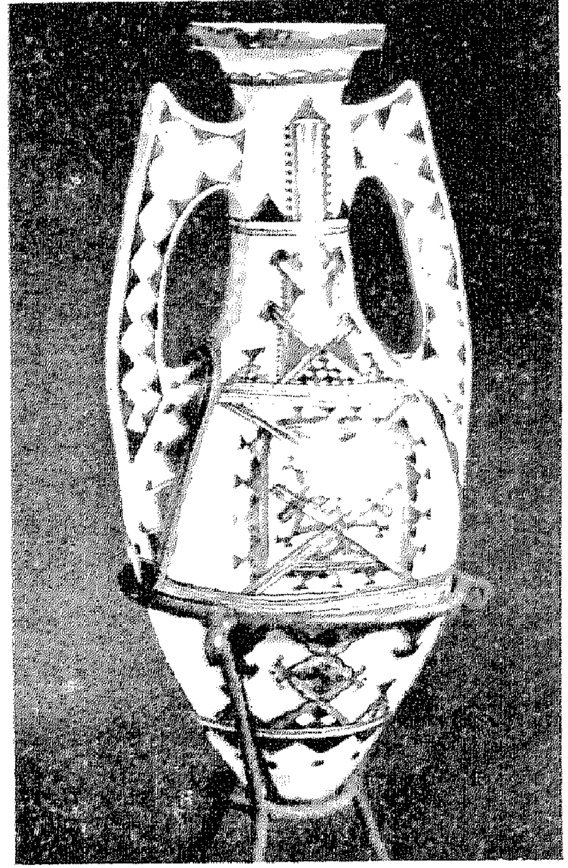
جامعة الجزائر

وأتخيل الآن مطامح الوجدان العربي ايام الصليبيين، وأرى في الخيال وحده، انه لم يكن يطمح في اي شيء آخر غير اجلائهم عن البلاد، وان البطولة الوحيدة التي ينتظرها الشعب من قادته ليست ما يبنى من المعامل، او ما ينشأ من صناعات، او ما يقام من سدود، او ما يتوفر للقرى التعيسة من مياه الشرب النقية، او الكهرباء، او شبكة الطرق، او ارتقاء مستوى الحياة في المأكل والمشرب والمسكن، بل هي ما يمكن ان يفعله القادة من اجل القضاء على الخطر الاسرائيلي. اما ما عدا ذلك فبطولات مزورة بدرجة او باخرى. وماذا يجدي على المجروح في كرامته وكبريائه ان يكون لباسه انيقا، وبيته حسن الاثاث، وحديقته ملأى بالازهار؟ ان جهنم في العز تظل ابهى المنازل، والجنة في الذل لا قيمة لها، وكل بطولة الآن، هي في هذا وحده: رد الكرامة الى الشعب العربي.

* * *

وتشاء الاقدار ان تأتلف كل الظروف لتجعل هذا الامل صعب التحقيق، ان خطر اسرائيل يلزم العرب بالوحدة، او بصورة من صور الوحدة، اقلها اجتماع الكلمة، وتوحيد الجهود. والذي نراه، هو ان الكلمة تتفرق بدلا من ان تجتمع، والجهود تتبدد بدلا من ان تتحد. ويصبح السؤال الذي يدور على لسان كل مواطن. في كل يوم: ماذا سيخترع العرب من وسائل جديدة لزيادة التفرقة، وتبديد الجهود. ولم تعد المشكلة ماذا بين الحكومات العربية من خلافات، بل ماذا سيضاف اليها من خلافات؟

وطبيعي ان كل خطوة الى الحضارة، هي في الوقت نفسه خطوة الى القضاء على خطر اسرائيل. وبالمقابل لا ندري حقا، لماذا ننشىء الجامعات، ونكثر من عدد المدارس والمتعلمين، ونسخو كل السخاء على اعداد الخبراء، والمختصين، ونقوم كل يوم بمشروع او آخر من مشاريع التنمية، ثم لا نزداد عن الحضارة الا بعدا، وعن التخلف الا قربا. ودع الآن ما تقدمه المشاريع والمصانع من خدمات لا شك في قيمتها، ودع ايضا كونها خاسرة او رابحة (وهي خاسرة اغلب الاحيان). دع هذا كله، وتساءل: هل يبدو السلوك العربي في عيون

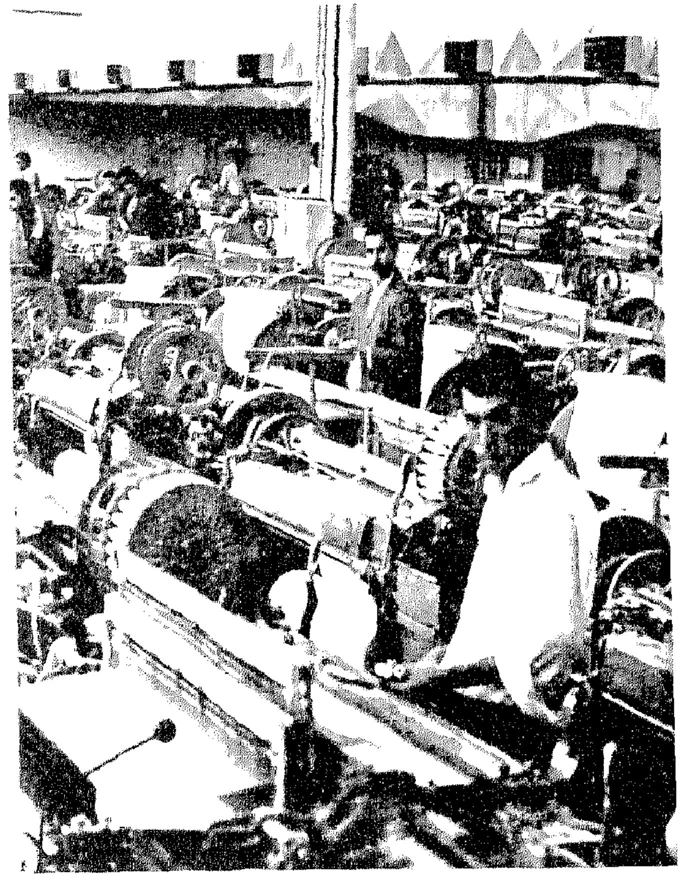


من المصنوعات الحرفية الجزائرية.

العالم عقلانيا، او غير عقلاني؟ ان هذا هو المحل الاول للتقدم الحضاري. ولكن نظرة بسيطة الى فوائض البترول وصورة تدويرها، والعبث بها، الى حد الجنون، تكفي لا لبيان حمق هذا السلوك، فحسب، بل لبيان الهبوط الكبير في مستواه الاخلاقي. ويعرف العالم كله ان الامن الغذائي في بلادنا مهدد الى ابعد الحدود. وان كل ما نستطيعه هو اضافة ثلاثين مليونا من الهكتارات الى الاراضي الزراعية، الموجودة اليوم، وزيادة مشاريع الري، وعائدية الزراعة، حتى اذا جاء آخر القرن، ولدينا ثلاث مئة مليون عربي، استطعنا، على الاقل، توفير الغذاء لهم. ويلاحظ العالم كله طبعا بحق، او بغير حق، (وبحق اغلب الاحيان) اننا نفعل كل شيء الا هذا، ولعلنا نمعن في الاذى، ونجعل اراضينا تزداد ملوحة، وتقل انتاجا، كأن الله لم يهبنا النفط الزائد الا لنضمن استيراد ما يكفينا من حاجات الغذاء. ولكن ماذا عسانا ان نفعل بعد ان يذهب النفط؟ وهل نأكل من منتجات معامل الحديد، او الاسمنت، او الاواني البلاستيكية؟

وكثيرا ما خطر ببالي ان النهضة العربية في المغرب العربي، لا بد ان تكون الاسرع والاعقل لشدة الاتصال بينه وبين الغرب، ولعمق جذور الثقافة الغربية فيه، مما يكسبه مستوى من العقلانية اكبر من المستوى السائد في الشرق. وبالتالي مستوى من حسن الاداء والانتاج اكبر من الذي نراه في سورية او العراق او اليمن. ومع ذلك فان ما اقرأه في المجلات المتخصصة، يكشف لي عن ان وتائر التقدم واحدة في الشرق والغرب معا، وان تأصل الثقافة المغربية، بدرجة اكبر، في المغرب العربي، لم يزد النمو الحضاري هناك، كبرا واتساعا، تماما كما ان كبر موارد النفط في العراق، لم تجعل سورية دونه مستوى حياة، او متوسط دخل، بفرق محسوس.

ومع ذلك فانه يبقى لي امل كبير في المغرب العربي، وفي الجزائر خاصة. فمن ينجح في ثورته كما نجحت الجزائر، يجب ان نتوقع منه نجاحا محسوسا في التقدم الحضاري، والمجابهة مع اسرائيل. وهذا ما نحن منتظرون. الا ان ذلك لا ينفي طرح سؤالين هامين، حول قيمة الحكم، اي حكم، لا في بلد معين، بل في كل بلد، واظن ان الحكم لا معنى له ان لم يهدف الى امرين معا، او الى واحد منهما على الاقل اعني العزة القومية والسلام الاجتماعي، لا بصورة مطلقة طبعا، ولكن بالصورة الموازية لوزن الشعب الذي يحكم، وما لديه من موارد بشرية واقتصادية، هي نفسها تتزايد بالضرورة. او يجب ان تكون كذلك. وهنالك طبعا الف تخطيط ممكن لتحقيق هذين الهدفين، او واحد منهما فقط، كالسلام الاجتماعي وحده، ان كانت موارد الدولة لا تسمح لها بأن تكون ذات شأن في العالم الدولي، لصغر المساحة، او ضآلة السكان، او قلة خيرات الارض. وليس هنالك الف تخطيط ممكن فحسب، بل هنالك فئات شتى من القادرين على التخطيط. واذا كان الناس مبدئيا على درجة واحدة من الحس الوطني، فلا ريب ان اجدر الفئات بعملية التخطيط هذه، هي فئة العلماء والخبراء، ورجال



التصنيع: من معالم النهضة.

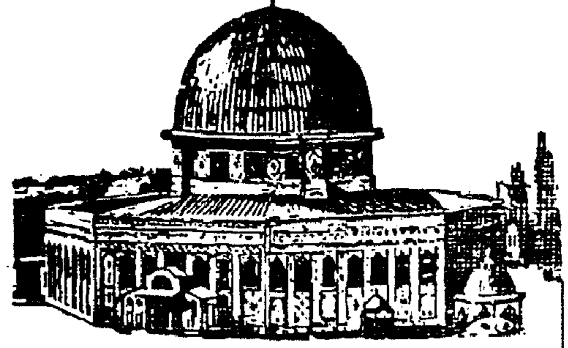
الفكر، والمثقفين، والاذكياء والنخبة النخبة من بين هؤلاء. وحتى الآن لا اعرف ان هذه النخبة تولت هي هذا التخطيط في اي بلد عربي. أفيكون معقولا ان يستبعد هؤلاء في كل مكان، في الارض العربية، عن عملية التخطيط، ونحن اشد الناس حاجة الى ما لدينا من خبرات وكفاءات؟ وهل يظن ان هذه تعمل، بصورة حرة، في جو السلطة، او بعيدا عنها؟ بل هل يمكن ان تكون هذه قد استخدمت، ثم يقول احد القادة العرب قوله المأثور: «انه لا يمكن ان تكون الاوضاع العربية اكثر سوءا منها الآن، واذن فيجب ان نبدأ بالتحسن؟» وطبعا كان في وسعه القول: واذن فيجب إما ان نبدأ بالتحسن، واما اننا سننتهي الى الموت. ولا شك انه اختار العبارة الاولى تفاؤلا منه، غير ان هذا لا يعني وجود الكثيرين من المتشائمين. واذا بقينا عند الجزء الاول من عبارته، وقلنا ان هذا انطباع شخصي لا يؤخذ على علاته، فاننا لا نجهل ان المواطن العربي في كل ارض، يأخذ بهذا الرأي، ويملك هذا الانطباع، افلا يعني ذلك ان استخدامنا لاذكيائنا وخبرائنا متخلف جدا، او ان هؤلاء لم يولدوا بعد عندنا. وفي الحالين من ذا عساه ان يكون المسؤول؟

واعود الى مشروع هرتزل الصهيوني، واراه قد تحقق خلال الخمسين سنة التي قدرها هو، في ابعد تقدير، واعترف العالم بوجود اسرائيل، كما تنبأ تماما، انها ارادة انقلبت الى واقع. في دقة الساعة، ترى ماذا اراد العرب منذ خلقت اسرائيل حتى الآن؟ أأرادوا توالي النكسات وتتابع النكبات، فحققوا ذلك بالدقة نفسها. ام أرادوا النصر، فلم يحققوا الا الهزيمة؟ واذن كيف استطاعت الارادة الجزائرية ان تحرر الجزائر من أعتى استعمار، فتحقق لها ما ارادت، بفترة اقل بكثير من تلك التي اقتضاها انشاء اسرائيل. فلماذا لا نحقق الارادة نفسها اعجوبة بطولية بمستوى تحرير الجزائر العربي؟ واذا قصرت الجزائر عن هذا، بحكم جدة نشوئها، وما خلفه الاستعمار من قضايا، ومصاعب، ومشكلات جمة، فلماذا لم يتوفر في اي قطر عربي آخر، مثل هذه الارادة الجزائرية، للتحرر من اسرائيل؟

اني لا اجهل ان اسرائيل ليست وحدها، وان ما وراءها من قوى هو الشيء الاهم في استمرار وجودها. ولكن أفي وسع حلفائها ان يضعوا وراءها من القوى ما يستطيع كل الشعب العربي حشده الآن، او في السنوات القادمة؟ ان هذا ما سأظل اشك فيه. لكن المشكلة هي ان الشعب العربي لا يتاح له، لا ادري لاي سبب، ان يعبىء طاقاته، ويجند قواه كاملة، ترى من هو المسؤول الآن؟ القيادات، ام الشعب، ام الاثنان معا؟ اما الشعب فلا ريب ان له رأيه في هذا الموضوع. ■

■ من مآسي الاستبداد انه يلبس الحق بالباطل، فيظلم وهو يزعم انه يعدل، ويهدم وهو يزعم انه يبني، ويضعف شأن الامة ويزعم انه يعلي مكانتها بين الامم.

مدارس القدس في العهد العثماني



المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام
«فلسطين» ١٩ - ٢٤ نيسان ١٩٨٠

د. هشام نشابة

تقديرا من مجلة «تاريخ العرب والعالم» للمؤتمر الثالث لتاريخ الشام الذي عقد مؤخرا في عمان ما بين ١٩ - ٢٤ نيسان ١٩٨٠ الموافق ٤ - ٩ جمادي الثانية ١٤٠٠هـ اعد «مركز التوثيق والابحاث» في مجلة «تاريخ العرب والعالم» صورة ملخصة عن بعض البحوث التي قرئت في المؤتمر وكانت على جانب كبير من الاهمية والاثارة. على ان تنشر متتالية في المجلة ابتداء من هذا العدد. والاولوية حسب اسبقية موافقة الكاتب.

وفي هذا المجال تود أن تؤكد انها تقدر جميع البحوث المقدمة الى المؤتمر، كما انها تقدر الجهود الكبيرة التي بذلتها جامعة عمان وجميع الجهات الرسمية وغير الرسمية التي عملت في سبيل انجاح هذا المؤتمر ونتمنى ان تستمر الجهود في جميع أنحاء الوطن العربي لدرس تاريخ العرب دراسة متعمقة مكثفة تضمن للعرب رؤية أوضح لتاريخهم وثقة أكبر بأن هذا التاريخ يكون ركيزة أصيلة لانطلاقهم في مجال بناء تاريخهم الحديث بناء سليما ثابت البنيان.

كما نود أن نشكر جميع الباحثين والمؤرخين الذين أبدوا موافقتهم مشكورين على نشر أبحاثهم او ملخصا عنها في مجلة «تاريخ العرب والعالم».

لمدينة القدس في التاريخ الاسلامي مكانة لا تضاهيها إلا مكانة مكة المكرمة والمدينة المنورة. والمكانة المرموقة لمدينة ما في بلاد الاسلام تتمثل بأوجه عديدة تتناول مختلف نواحي الحياة في المدينة ولا تقتصر على الاهتمام بأماكن العبادة فيها. ولذلك نلاحظ ان العناية بمدينة القدس شملت جوامعها وأسواقها وتوفير الموارد المالية لرعاية مرافقها المختلفة.

ولئن ذخرت كتب التاريخ باخبار القدس في ايام الفتح الاسلامي باعتبار انها اولى القبلتين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم في ايام الحروب الصليبية عندما وقعت في ايدي الفرنج، فان ما كتب عن القدس بعد استرجاعها من الصليبيين على يد صلاح الدين الايوبي، وخاصة بعد انتهاء الحروب الصليبية ليس بالشيء الكثير.

كتب المؤرخون عن تاريخ القدس وفضائلها وأحوالها وطبقات علمائها، وانشد الشعراء ما طاب لهم الانشاد ذاكرين محاسن المدينة طالما كانت بأيدي الصليبيين، فإذا عادت إلى أيدي المسلمين قل ذكرها نسبياً. واحسب ان ذلك راجع إلى حرص المؤرخين والكتاب والشعراء على تذكير الامة الاسلامية بضرورة انقاذ القدس من ايدي الفرنجة، فإذا تحقق ذلك اطمأنوا واستراحوا. فلما جاء العهد العثماني

ندرت المعلومات عن اوضاع القدس، وقلت المراجع بشكل ملفت للنظر. فالتاريخ لمدارس القدس في العصر العثماني عسير، ويستدعي من الباحثين الرجوع إلى مصادر تتحدث عن القدس وفلسطين بصورة عامة تستنتج منها استنتاجات تنقصها غالباً الدقة العلمية المطلوبة.

فالمراجع والمصادر التي بين ايدينا لا توفي القدس حقها من حيث ما كان يقوم فيها من نشاط علمي، وانما نستدل على هذا النشاط من اشارات عابرة منثورة هنا وهناك في كتب الاخبار الطبقات وتواريخ الرجال.

والجدير بالذكر ان الحياة العلمية في المدن الاسلامية عامة لا ترتبط بالمدارس وحسب وانما تتصل ايضاً بالجوامع والتكايا والربط والزوايا والخانقاهات وبيوت العلماء والكتاتيب. ذلك ان التربية الاسلامية توسلت هذه المؤسسات جميعاً وغيرها لنشر المعرفة بين الناس.

وقد عني اصحاب البلاد بعد ان استعادوا مدينة القدس من الصليبيين بتعزيز مؤسساتها التعليمية تأكيداً لطابعها الاسلامي الاصيل من جهة وتعبيراً عن تعلقهم بها من جهة اخرى، وهكذا بدأوا باصلاح المساجد التي كان الصليبيون قد اعتدوا عليها ومنها المسجد الاقصى الذي كان الصليبيون قد اتخذوه مساكن لجنودهم واماكن للذخيرة وغير ذلك.

وكان في القدس قبيل الاحتلال الصليبي لها، تسعة وثلاثون مسجداً، منها في المدينة القديمة، داخل السور، تسعة وعشرون مسجداً اهمها فضلاً عن المسجد الأقصى(١):

١ – مسجد الخانقاه إلى الشمال الغربي من كنيسة القيامة.

٢ – الجامع العمري: قبلي كنيسة القيامة.

٣ – مسجد طريق النبي داود: على طريق النبي داود.

٤ – مسجد البراق: ملاصق لحائط البراق.

٥ – جامع قبة موسى: في ساحة الحرم.

٦ – جامع باب الغوانمة.

كما اقام السلطان صلاح الدين الايوبي في القدس **البيمارستان** ويقال ان الذي اقامه اصلاً هم الفاطميون. كما انشأ **مدرسة الخانقاه** سنة ١١٩٢، وعمّر ما تهدم من سور المدينة، واقام جامع الجبل على جبل صهيون، وبنى مقبرة المجاهدين وقبة يوسف في فناء الصخرة. وبنى ايضاً **المدرسة الصلاحية** سنة ٥٨٨/١١٩٢ م.(٢).

اما في عهد ابناء صلاح الدين فقد انشأ الملك الافضل **المدرسة الافضلية** ورمم المسجد العمري.

وانشأ الملك العادل **المدرسة الجراحية** حوالي سنة ١٢٠٢ م. وانشأ الملك المعظم شرف الدين عيسى **المدرسة المعظمية** سنة ١٢١٣ م، **والمدرسة النحوية** وكان بناؤها سنة ٦٠٤ هـ/١٢٠٧ م(٣).

كما انشأ في بيت المقدس الامير الايوبي ميمون بن عبد الله **المدرسة الميمونية**، وانشأ الامير بدر الدين بن ابي القاسم **المدرسة البدرية**(٤).

اما **المدرسة الناصرية** فلا بد انها انشئت اصلاً في العصر العباسي، فقد سمّيت الغزالية لفترة من تاريخها لاقامة الامام ابي حامد الغزالي (توفي سنة ٥٠٥ هـ/١١١١ م) فيها وقد اعاد بناءها الملك المعظم عيسى الايوبي وجعلها زاوية لقراءة القرآن الكريم والاشتغال بالنحو، ووقف عليها كتباً من جملتها **اصلاح المنطق** لابن السكيت وذلك سنة ٦١٠ هـ/١٢١٣ م. وقال مجير الدين المقدسي، «وقد دثرت الزاوية المذكورة في عصرنا ولم يبق لها نظام». وقد بقيت المدرسة قائمة، ناشطة حتى العهد العثماني لان مجير الدين قد توفي سنة ٩٢٧ هـ/ ١٥٢٠ م(٥).

واقام الملك المنصور سيف الدين قلاوون رباط قلاون سنة ٦٨١ هـ/١٢٨٢ م ووقفه على الفقراء من زوار القدس وانشأ بعض المساجد. واما السلطان الناصر ابن الملك المنصور سيف الدين فقد انشأ في القدس عشرين مدرسة منها **المدرسة الدوادارية** عام ٦٩٥ هـ/١٢٩٥ م. **والمدرسة الارغونية** نسبة إلى الامير ارغون الكاملي وقد دفن فيها الملك حسين بن علي الذي

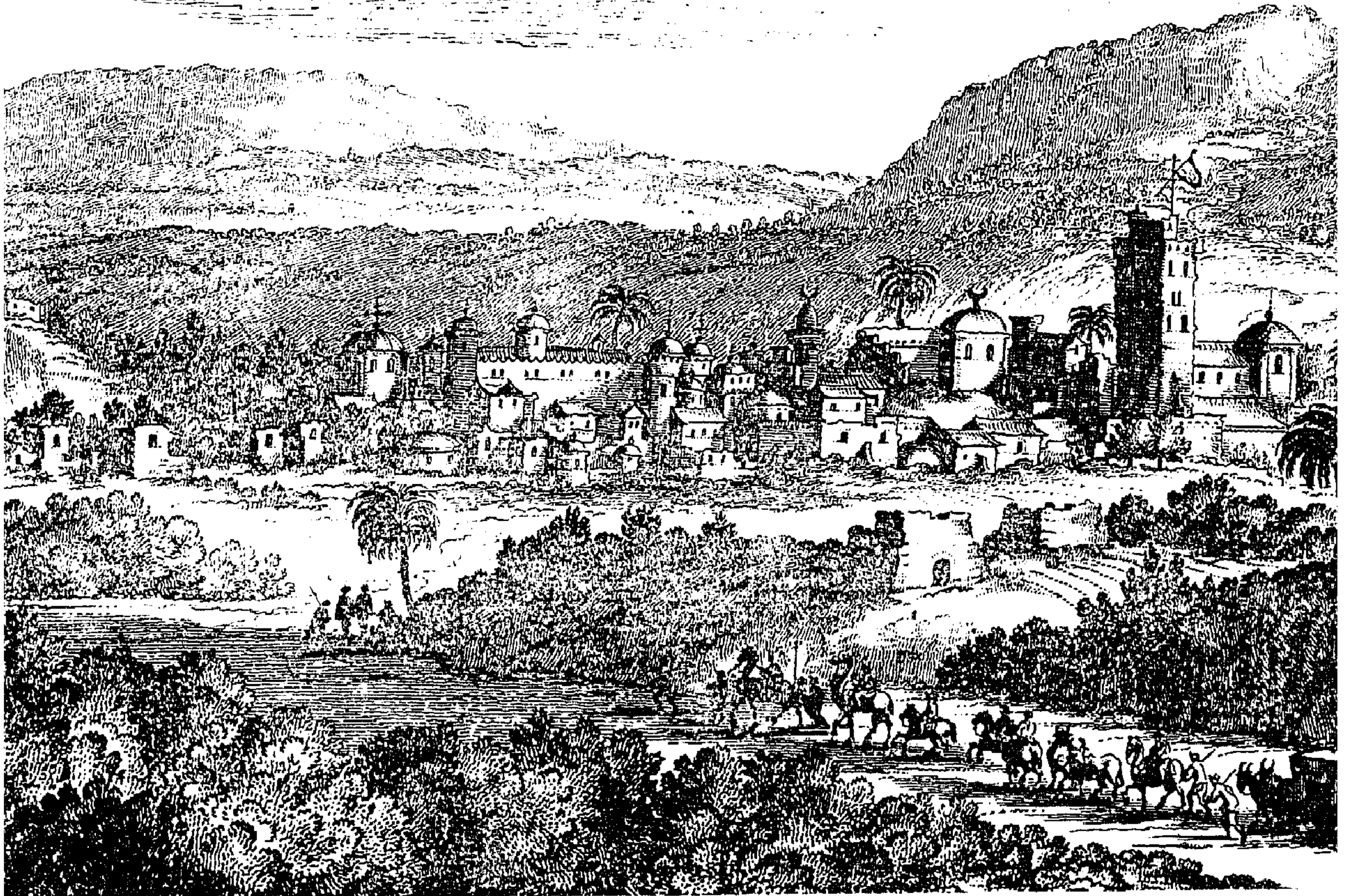
ثار على العثمانيين اثناء الحرب العالمية الاولى.

والمدرسة الاسعردية والمدرسة الخاتونية.

ويذكر الاستاذ عارف العارف(٦) بالاضافة إلى المدارس المذكورة آنفاً مدارس اخرى انشئت في القدس قبل الفتح العثماني هي:

- دار الحديث بجوار التربة الجالقية من جهة الغرب بباب السلسلة. انشئت سنة ٦٦٦ هـ/١٢٦٧ م.
- الرباط المنصوري انشأه الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨١ هـ/١٢٧٢ م.
- رباط الكرد امام المدرسة الارغونية بباب الحديد انشىء سنة ٦٩٣ هـ/١٢٩٣ م.
- المدرسة الاباصيرية بجوار باب الناظر وكانت رباطاً ثم اصبحت مدرسة سنة ٦٦٦ هـ/١٢٦٧ م.
- المدرسة السلامية اوقفت حوالي سنة ٧٠٠ هـ/١٣٠٠م.
- المدرسة الوجيهية اوقفت في اواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.
- المدرسة الموصلية اوقفت سنة ١١٧٥ هـ/١٧٦١ م في فترة الحكم العثماني.
- المدرسة الخاقونية اوقفت سنة ٧٥٥ هـ/١٣٥٤ م.
- المدرسة التشتمرية اوقفت سنة ٧٥٩ هـ/١٣٥٧ م.
- المدرسة الجهاركسية انشئت في اواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.
- المدرسة الطولونية انشئت سنة ٨٠٠ هـ/١٣٩٧ م.
- المدرسة النصيبية اوقفت سنة ٨٠٩ هـ/١٤٠٦ م.

الرملة (١٦٦٨) بناها الخليفة سليمان بن عبد الملك عام ٧١٥م واتخذت عاصمة لجند فلسطين منذ عام ٧١٦ ولمدة ٤٠٠ سنة.



– المدرسة الصبيبية انشئت في اوائل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي.
– المدرسة الغزية كانت موجودة في اوائل الفتح العثماني وتاريخ انشائها غير معروف بالضبط.
– المدرسة الكاملية اوقفت بتاريخ ٨١٦ هـ/١٤١٣ م.
– المدرسة الباسطية تم انشاؤها سنة ٨٣٤ هـ/١٤٣٠ م.
– المدرسة القادرية انشئت سنة ٨٣٦ هـ/١٤٣٢ م.
– المدرسة العثمانية انشئت سنة ٨٤٠ هـ/١٤٣٧ م.
– المدرسة الجوهرية اوقف لها سنة ٨٤٤ هـ/١٤٤٠ م.
– المدرسة المزهرية كان الفراغ من بنائها في سنة ٨٨٥ هـ/١٤٨٠ م.
– المدرسة الزمينية انشئت سنة ٨٨٦ هـ/١٤٨١ م.
– المدرسة القرقشندية تاريخ انشائها غير معروف.
– المدرسة الاشرفية كان بناؤها سنة ٨٧٥ هـ/١٤٧٠ م.
– المدرسة الجالقية انشئت سنة ٧٠٧ هـ/١٣٠٧ م.
– المدرسة الجاولية اصبحت مدرسة سنة ٧١٥ هـ/١٣١٥ م.
– المدرسة الكريمية انشئت سنة ٧١٨ هـ/١٣١٩ م.
– المدرسة الامينية انشئت سنة ٧٣٠ هـ/١٣٢٩ م.
– الخانقاة الفخرية انشئت في مطلع القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.
– المدرسة الحنفية تاريخ انشائها غير معروف.
– دار السلام القرآنية انشئت سنة ٧٦١ هـ/١٣٥٩ م.
– المدرسة المنجكية انشئت سنة ٧٦٢ هـ/١٣٦٠ م.
– المدرسة المحدثية انشئت سنة ٧٦ هـ/١٣٦٥ م.
– المدرسة الحسنية انشئت في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.
– المدرسة الطازجية اوقفت سنة ٧٦٣ هـ/١٣٦٢ م.
– المدرسة البلدية اوقفت في اواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.
– المدرسة الطشتمرية انشئت سنة ٧٨ هـ/١٣٦٢ م.
– المدرسة الملكية (مدرسة الجوكندار) انشئت سنة ٧٤١ هـ/١٣٤٠ م.
– المدرسة الفارسية اوقفت سة ٧٥٥ هـ/١٣٥٤ م.
– المدرسة البارودية اوقفت سنة ٧٦٨ هـ/١٣٦٦ م.
– المدرسة اللؤلؤية كانت موجودة سنة ٧٨١ هـ/١٣٧٩ م.

اما فيما يتعلق بالنشاط التعليمي في المسجد الاقصى وقبة الصخرة فنورد فيما يلي ما جاء في كتاب تاريخ الجامعات الاسلامية:

«وفي العصرين الأيوبي ثم المملوكي انشئت بداخله وحوله عدة مدارس اكدت صبغته العلمية وجعلت منه جامعة اسلامية كبرى اهمها المدرسة الشريفة السلطانية الاشرفية داخله بالقرب من باب السلسلة. وسبب بنائها ان الامير حسن الظاهري، من امراء المماليك، كان قد بنى المدرسة القديمة للملك الظاهر خشقدم ثم بعد وفاته سأل الملك الاشرف قايتباي قبولها فقبلها منه ونسبت إليه ورتب لها شيخاً وصوفية وفقهاء وصرف لها المعاليم. ثم حضر الملك الاشرف قايتباي إلى القدس سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م فلم تعجبه وهدمها وانشأ اخرى مكانها اوسع مساحة وافخم بناء.

«ومما انشيء حول المسجد من المدارس المدرسة الناصرية التي سميت فيما بعد بالغزالية... والمدرسة النحوية على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة إلى الغرب. بانيها الملك المعظم عيسى... والمدرسة التنكزية واقفها الامير تنكز الناصري نائب الشام في العصر المملوكي

وهي مدرسة عظيمة ليس في المدارس اتقن من بنائها - كذا يقول المقدسي - وهي بخط باب السلسلة.

«والمدرسة الكريمية، بناها كريم الدين عبد الكريم من رجال الدولة المملوكية بالقرب من باب يسمى باب حطة»(٧).

وجاء في وصف المدرسة التنكزية الانفة الذكر، ان فيها بلغ الفن البنائي القمة ولا سيما زخرف الابواب العالية والاحجار الملونة والمقرنصات التي تغطي التغيير من الشكل المربع إلى شكل القبة. وقد غشيت بطبقات رقيقة من الرخام . يضاف إلى ذلك افريز يمتد على طول الواجهة، وقد استعملت الكتابات ايضاً كمظهر من مظاهر الزينة»(٨).

ان هذه المدرسة الرائعة قد هدمها اليهود بعد احتلالهم القدس في حزيران ١٩٦٧ كما هدموا الزاوية الفخرية الملاصقة للمسجد الاقصى بالاضافة إلى عددمن الممتلكات الثقافية الاسلامية والمسيحية حسب ما جاء في تقارير اليونسكو(٩).

* * *

وهكذا عندما فتح العثمانيون بلاد الشام وفلسطين في عهد السلطان سليم الاول كانت لمدينة القدس قدم راسخة في العلم، غنية بمساجدها وعلمائها ومدارسها ومرافقها العامة. كما استمرت عناية المسلمين بمدينة القدس يؤرخون لها ولرجالاتها ويكتبون عن فضائلها ومزاياها ولعل خير من كتب في هذا المجال مجير الدين الحنبلي المقدسي المتوفي سنة ٩٢٧ هـ/ ١٥٢٠ م. اي بعد ثلاث سنوات ونيف على فتح القدس من قبل العثمانيين، والشيخ عبد الغني النابلسي المتوفي سنة ١١٤٤ هـ/ ١٧٣١ م.(١٠).

ولقد استمرت غالبية المدارس التي انشئت في القدس في عهد الايوبيين وعهد المماليك عاملة ناشطة خلال فترة الحكم العثماني بحكم ما كان لها من اوقاف. كما بقي العديد من الزوايا التي يؤمها الحجاج من مختلف بلدان العالم الاسلامي كالزاوية النقشبندية وزاوية الهنود وزاوية القادرية التي يكثر ذكرها في المراجع التي تؤرخ للمعالم الاثرية في القدس. ورغم ان هذه الزوايا كانت تستعمل كمضافات، غير انها كسائر الزوايا في العالم الاسلامي تقوم بدور تعليمي خاصة في مواسم الحج وشهر رمضان المبارك.

وشهدت مدينة القدس في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ م - ١٥٦٦ م) حركة عمرانية واسعة شملت المدارس والجوامع والقلعة والاسوار واقنية المياه، ونقتصر هنا على ذكر ما اتصل من هذه الحركة العمرانية بالمدارس.

ففي سنة ١٥٣٦ م انشأ السبيل الكائنة بباب السلسلة امام المدرسة التنكزية التي سبق ذكرها. وفي عهده انشئت التكية المعروفة **بتكية خاصكي سلطان** وذلك سنة ١٥٥٢ . وتعتبر من خيرة الاماكن الخيرية التي انشأها الاتراك العثمانيون بالقدس(١١). ويضيف الاستاذ عارف العارف: منذ تأسيسها إلى الآن يقدم المشرفون عليها الغذاء لعدد كبير من الفقراء مجاناً وفي كل يوم. نفقاتها تدفع من ريع الاملاك التي وقفتها السيدة المشار إليها (زوجة السلطان سليمان روكسلانة وهي من اصل روسي) ولها منشآت خيرية كثيرة - مساجد وتكايا وحمامات - في استانبول ومكة وادرنة وغيرها من الجهات(١٢).

وهناك ايضاً المدرسة **الرصاصية** التي ورد عنها في كتاب الاستاذ عارف العارف بما يلي(١٣):

«بنيت في زمن السلطان سليمان الاول. والذي بناها هو بايرام جاويش بن مصطفى. وكان ذلك بتاريخ ٢٠ ربيع الاول ٩٤٧ هـ/٢٥ تموز ١٥٤٠ م. بناها بعد ان اتم عمارة السور. إذ كان السلطان سليمان قد اقامه ناظراً على أعمال البناء فقام بأعمال عمرانية جمة. مات في القدس ودفن فيها. وهي كائنة عند ملتقى طريق الواد بطريق باب الناظر وعقبة التكية».

«كانت في بادىء الامر رباطاً. وكانوا يسمونه (رباط بايرام). ثم صارت مدرسة. وقد اتخذها الاتراك، طيلة وجودهم في القدس، مدرسة لتعليم ابناء القدس. ولقد تعلم فيها مؤلف هذا الكتاب علومه الاولية».

«وهناك فوق مدخلها بلاطة نقشت عليها

الكلمة الآتية بالنسخ العثماني بأحرف كبيرة: (هذا المكان المبارك رباط وقفه لسكن الفقير الامير بايرام جاويش بن مصطفى دام عزه بتاريخ عشرين ربيع الاول سنة سبع واربعين وتسعماية) وفيها ضريحه».

«وفي مكان آخر من نفس العمارة بلاطة نقشت عليها هذه الكلمات: جدد عمارة هذا المكان المبارك بايرام جاويش وجعله مكتباً لقراءة الاولاد لله تعالى في سنة ٩٤٧ هـ. ويظهر ان بايرام جاويش ترك اوقافاً. إذ نقرأ في سجلات المحكمة الشرعية ان القاضي عينّ ناظراً على تلك الاوقاف».

ويقول اوليا جلبي الذي نزل القدس سنة١٠٨١ هـ/١٦٧٠ م انه كان في القدس في ذلك الوقت اربعون مدرسة للبنين، وتكايا لسبعين طريقة منها الكيلانية والنقشبندية والبدوية والسعدية والرفاعية والمولوية. فإذا اخذنا في الاعتبار ان سكان القدس في ذلك الوقت كانوا ستة واربعين الف نسمة اكثريتهم الساحقة من المسلمين ادركنا كم كانت الحركة التعليمية في القدس نشيطة في ذلك الزمان[١٤].

وتذكر المصادر الاحدث عهداً ان المسلمين بنوا في القدس ٥٦ مدرسة، وكان يأتي إليها الطلاب من انحاء العالم الاسلامي. وقد اوقف عليها المسلمون المصاحف والمخطوطات النادرة وما زال الكثير من هذه المدارس قائماً حول الحرم بأبوابها الحديدية المزخرفة. وكان بالمسجد الاقصى مكتبة كبيرة كما كان الحال في جامع قرطبة والقيروان والازهر الشريف»[١٥].

غير ان اهتمام العثمانيين انصب بالدرجة الاولى على بناء الطرق والجوامع ذات المآذن المستديرة، والمنظر الانيق، وخصّوا بالرعاية الحرم فلا يأتي سلطان الحكم إلاّ ويجري فيه تحسين او تزيين اكتساباً لمرضاة الله.

وآخر ما انشأه العثمانيون من المدارس في القدس هي المدرسة الرشيدية الواقعة تجاه السور بباب الساهرة، وتنسب إلى احمد رشيد بك متصرف القدس في زمن السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٦م[١٦].

ولا بد من الاشارة إلى مراكز التعليم التي بناها المسيحيون في القدس في العهد العثماني، وهي غالباً داخل الاديرة وبجوار الكنائس داخل المدينة وخارجها، وتعتبر جميعها من المقدسات عند الطوائف المسيحية، منها للروم الارثوذكس، والروم الكاثوليك، والكاثوليك، واللاتين، والأرمن، والأقباط، والأحباش، والسريان، والموارنة.

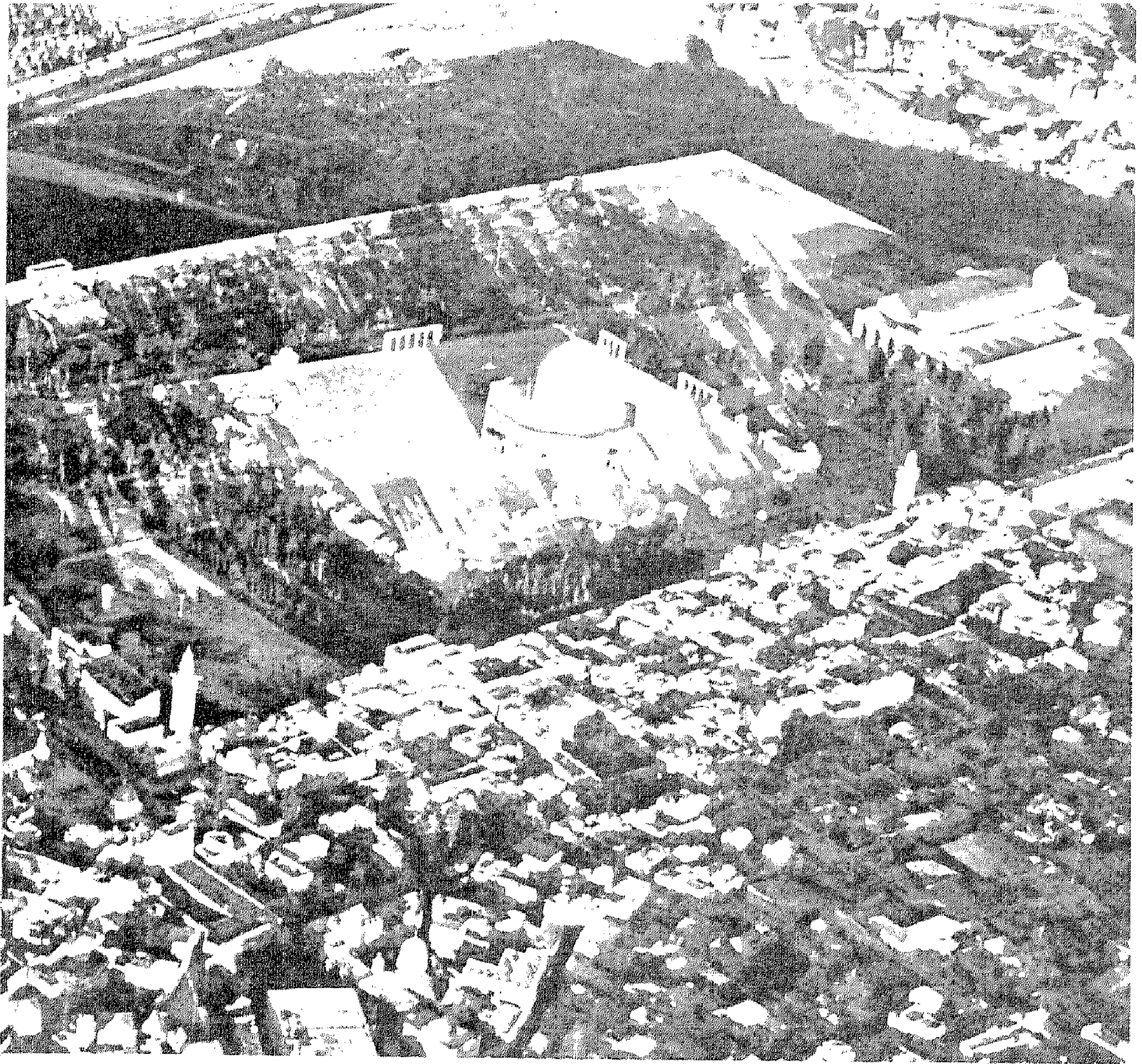
اما اليهود فلم تكن لهم مدارس طيلة هذه الفترة، او ان عددها كان من الضآلة بحيث لا تسترعي الانتباه. فقد جاء في كتاب الاحصاءات للبعثات الارسالية في العام لسنة ١٩١٤ ان ليس لليهود سنة ١٩١٢ اية مدرسة في الامبراطورية العثمانية[١٧] وان اليهود الموجودين في فلسطين كانوا يؤمون مدارس الارساليات المسيحية ويستعملون هذه المدارس لخدمة مآربهم[١٨].

ولم يكن عدد اليهود في بداية العهد العثماني يبرر وجود مدارس خاصة بهم «فمن احصاء اجرى عام ١٥٧٢ م، في القدس تبين ان عدد اليهود لم يزد على ١١٥ شخصاً اسماؤهم في سجل الحرم الشريف صفحة ٢٠٧ سجل رقم/٥٥»[١٩].

اما في القرن التاسع عشر الميلادي فقد بذل اليهود المحليون بمساعدة اليهود الاوروبيين جهوداً كبيرة لتأسيس مدارس لهم وجاءت من مختلف الدول الاوروبية بعثات يهودية للقيام بعمل ما في هذا المجال. غير ان محاولاتهم تلك لم تثمر في بادىء الامر لان عدد التلامذة في المدارس الصغيرة التي انشئت لم يتجاوز الاربعة او الخمسة وفي احسن الحالات الخمسة والعشرين[٢٠].

اما في اواخر القرن التاسع عشر فقد نجح اليهود في تأسيس ثلاث مدارس هي الميتم اليهودي سنة ١٨٨١ الذي ضمت إليه سنة ١٨٨٧ مدرسة «ليمل» لقلة عدد تلامذتها. ومدرسة ايفلين روتشليد سنة ١٨٦٣، ومدرسة الاليانس اليهودية الفرنسية سنة ١٨٨٢[٢١].

وفي مطلع القرن العشرين حرص اليهود على تأسيس مدارس لهم في مدن فلسطين دون القدس وكان للجمعية الالمانية لمساعدة اليهود (Hilfsverein der Deutsehen Juden) نشاطاً ملحوظاً في هذا المجال في حيفا ويافا خاصة[٢٢]. وكان من نتائج هذا النشاط ان



القدس القديمة

اصبح لليهود في سنة ١٩١٤، اثنتا عشرة مدرسة في عموم فلسطين[٢٣].

بقي انشاء المدارس طيلة فترة الحكم العثماني نشاطاً فردياً يقوم به حاكم او وزير او سلطان او امير او رجل من رجال الثراء احتساباً لوجه الله، تماماً كما كان الامر بالنسبة لانشاء الجوامع والزوايا والتكايا والربط. وكانت تنفق الاموال على هذه المدارس من الاوقاف او الحبوس المخصصة لها جملة او لواحدة منها بوجه خاص. غير ان مدارس القدس كانت في العصر العثماني تستفيد لا من اوقافها الخاصة بها وحسب، وانما تستفيد ايضاً من الاوقاف العامة في مختلف الولايات الشامية وكان شيخ الحرم في مدينة القدس يجمع هذه الاوقاف اما بنفسه او بواسطة احد ممثليه في الولاية[٢٤].

ولم يكن يستفيد من اوقاف الولايات بهذا الشكل إلا الجوامع والمدارس والتكايا في مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس[٢٥].

وكان النظام التربوي في بلاد الشام وفلسطين خلال فترة الحكم العثماني نظاماً لامركزياً، ففي كل ولاية مدارسها الخاصة بها. وكانت اهم بيوت العلم في بلاد الشام في حلب ودمشق، واهمها في فلسطين في القدس ونابلس[٢٦]. ويذكر المرادي ما يفيد بأن طالب العلم في مدينة القدس لم يكن يحتاج إلى الارتحال إلى مدينة اخرى لطلب اعلم، إذ كان فيها من المدارس والعلماء ما يغنيه عن الارتحال. وكانت القدس تضم علماء من جميع

المذاهب وانما كثر فيها علماء الحنابلة بوجه خاص خلال القرن الثامن عشر الميلادي[٢٠].

ومما يدل على المكانة المرموقة التي ظلّت مدينة القدس تتمتع بها خلال الحكم العثماني ان قاضي القدس كان من بين كبار قضاة السلطنة العثمانية المرشحين لمركز «شيخ الاسلام» في استانبول[٢٨]. كما كان «نقيب الاشراف» في مدينة القدس ذا سلطة واسعة تميزه عن نقباء الاشراف في سائر المدن، إذ نراه سنة ١٧٠٦ م يطرد حاكم القدس ويحول دون ممارسته السلطة، مما اضطر تدخل الحكومة المركزية في استانبول لوضع الامور في نصابها[٢٩].

وظل الوضع التربوي في مدينة القدس على هذا النحو حتى منتصف القرن التاسع عشر عندما ادخلت تعديلات اساسية على النظام التربوي العثماني نتيجة ما يعرف «بالتنظيمات». وقد ادت هذه «التنظيمات» إلى اتباع النظام التربوي الفرنسي في جميع الولايات العثمانية ابتداء من سنة ١٨٦٩ م. وقضى النظام التعليمي الجديد ان يتكوّن السلّم التعليمي من ثلاث مراحل هي المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية. وبموجب هذا النظام انشئت سنة ١٩٠٦ المدرسة الرشدية في القدس وقد سبق ذكرها اعلاه، كما انشئت مدارس مماثلةحوالي هذا التاريخ في سائر المدن الكبرى في فلسطين وبلاد الشام.

وعندما نشطت الارساليات الاجنبية في تأسيس المدارس، خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ونشأت في القدس المدارس الروسية والفرنسية والانكليزية والالمانية، انشأ الالمان في القدس معهداً لاعداد المعلمين.

وقد ادى هذا النشاط التبشيري إلى شعور اهل البلاد بضرورة التصدي له بنشاط وطني مماثل يحافظ على تنشئة الاجيال الصاعدة على مبادىء الدين الاسلامي والالتزام القومي. غير ان هذا النشاط الوطني لم يلق من الدولة العثمانية اي تأييد، بل على العكس من ذلك، كانت ترى فيه مصدراً للافكار الجديدة المطالبة بالاصلاح واللامركزية مما لم تكن تقره الدولة العثمانية.

وفي سنة ١٩١٤ م عشية الحرب العالمية الاولى، كان في فلسطين كلّها ٩٥ مدرسة ابتدائية تضمّ ٧,٧٥٨ تلميذاً. وكان من اصل هذه المدارس، ١٣ مدرسة للبنات تضم ١,٤٧٠ تلميذة كما كانت في فلسطين مدرستان متوسطتان، ومدرسة ثانوية «سلطاني» واحدة، تضم جميعها /٤٧١/ تلميذاً. وتأسست اثناء الحرب العالمية الاولى الكلية الصالحية في القدس. وقد عنيت هذه المدرسة بالتوجيه الاسلامي واعداد المعلمين، وكانت تدرّس باللغتين العربية والتركية. وبالاضافة إلى هذه المدارس الحديثة بقيت الكتاتيب التقليدية والجوامع تضم العدد الاكبر من طلبة العلم في فلسطين عامة[٣٠].

هذه صورة مختصرة عن مدارس القدس في العهد العثماني أُلحق بها، ثبت باسماء العلماء المقدسيين الذين ذكرهم المحبي في **خلاصة الاثر**. والعهد العثماني، كما هو معروف، لم يتميز بانتشار المدارس ولا كثرة العلماء، بل يعتبره المؤرخون عامة من عصور الانحطاط، ولكن القدس، رغم ذلك بقيت محافظة على مكانتها المرموقة طيلة هذا العهد، فضمت جوامعها ومدارسها وزواياها العديد من العلماء الاجلاء الذين عرفوا في البلاد العربية والاسلامية وكان لها الاسهام الوفير في الحفاظ على التراث العربي والاسلامي في هذه المدينة، قبلة المسلمين الاولى وعاصمة أرضهم المقدسة■

ملحق ———

علماء القدس في العهد العثماني الذين ذكرهم محمد المحبي في **خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر**(*)، اجزاء طبع بيروت (دون تاريخ).

عرفت القدس في العهد العثماني عدداً كبيراً من العلماء ذكر العديد منهم المرادى مؤرخ القرن العاشر الهجري وفيما يلي العلماء الذين ذكرهم المحبي مؤرخ القرن الحادي عشر وهم قلة من كثرة.

---

* محمد المحبي، **خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر**، ٤ اجزاء، دار صادر، بيروت (دون تاريخ).

الاسم	الصفحة
في الجزء الاول	
ابو اللطف الحصكفي المقدسي	١٤٥
ابو الهدى العلمي القدسي الولي	١٥٦
احمد القدسي العلمي الفقيه	٢١٩
اسحق بن ابي اللطف المقدسي	٣٩٤
بشير الخليلي القدسي الاديب	٤٥٢
جمال الدين بن العجمي القدسي	٤٨٩
حافظ الدين السروري المقدسي	٥٠٠
في الجزء الثاني	
درويش الدجاني القدسي الشافعي	١٥٦
زكريا المصري المقدسي الحنفي	١٧٢
سليمان الداودي المقدسي الشافعي	٢١١
شرف الدين العسيلي القدسي الاديب	٢٢٥
طه الديري المقدسي الحنفي المكني بأبي الرضا	٢٦٠
عبد الباقي المقدسي المصري امام الاشرفية	٢٨٥
عبد الصمد العلمي القدسي	٤٢١
عبد الغفار القدسي الحنفي المعروف بالعجمي	٤٣٣
عبد القادر العلمي المقدسي	٤٦٧
في الجزء الثالث	
عرفة بن احمد الدجاني المقدسي	١١٠
علي بن غانم المقدسي	١٨٠
عمر بن عبد الصمد بن محمد العلمي	٢١٢

الاسم	الصفحة
عمر بن محمد ابي اللطف المقدسي الشافعي	٢٢٠
محمد بن احمد القدسي الخريشي	٣٤٠
محمد بن احمد الدجاني	٣٥٦
محمد بن حافظ الدين بن محمد المعروف بالسروري المقدسي	٤١٤
محمد بن صالح ابو الفتح، شمس الدين الدجاني	٤٧٥
محمد بن عبد الحق بن ابي اللطف الملقب كمال الدين القدسي	٤٨٢
في الجزء الرابع	
محمد الملقب شمس الدين العلمي	٤٣
محمد العلمي المقدسي	٧٨
محمد بن خصيب المقدسي	١٥٤
محمد ابو اليسر القدسي العسيلي	٢٠٢
محمد بن مصلح الرومي نزيل القدس	٢٢٨
محمد العسيلي القدسي	٢٣٤
محمد الناصري القدسي	٢٦٤
محمد الديري القدسي	٣١٣
محمود الغتياني القدسي	٣١٨
مرعي الكرمي المقدسي الاديب	٣٥٨
مصطفى العلمي القدسي	٣٨٥
يحيى المعصراني القدسي	٤٨٢
يوسف الرضي القدسي	٥١١

مصادر البحث

- احمد شلبي: **تاريخ التربية الاسلامية**، بيروت ١٣٥٤م.
- المرادي، محمد: **خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر**، ٤ اجزاء، بيروت (دون تاريخ).
- مجير الدين المقدسي: **الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، القاهرة ١٢٨٣هـ.
- المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية: **حول بيت المقدس**، القاهرة، ١٩٦٩.
- عارف العارف:**المفصل في تاريخ القدس**، القدس ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.
- عبد الرحمن غنيمة: **تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى**، تطوان ١٩٥٣.
- الدكتور عبد الحميد زايد: **القدس الخالدة**، القاهرة ١٩٧٤.
- محمود العابدي: **قدسنا**، القاهرة ١٩٧٢.

□ Gibb, H. A. R., and Bowen, H., **Islamic Society and the west** Vol. I, **Islamic Society in the Eighteenth century,** partII, Oxford 1957.

Tibawi, ,. L., **Islamic Education,** lonlon 1972

Ma oz, M., **Studies on Palestine During the Ottoman Period,** Jerusalem, 1915.

هوامش

(١) محمود كمال «تاريخ مدينة القدس» في كتاب **حول بيت المقدس**، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ص ٣٧ – ٣٨.

(٢) عارف العارف، **المفصّل في تاريخ القدس**، القدس ١٢٨٠هـ/١٩٦١م ص٢٣٦.
(٣) راجع احمد شلبي، **تاريخ التربية الاسلامية**، بيروت ١٩٥٤، ص ١٠٤ - ١٠٥.
(٤) مجير الدين المقدسي، **الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، المجلد الثاني، القاهرة ١٢٨٣ هـ، ص٢٨٧ وما بعدها.
(٥) المرجع السابق.
(٦) عارف العارف، **مفصّل...**، ص٢٣٦-٢٥٩.
(٧) **عبد الرحمن غنيمة، تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى**، تطوان ١٩٥٣ ص ٣٧ - ٣٨.
(٨) محمود العابدي، **قدسنا**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٢، ص ١١١.
(٩) عبد الحميد زايد، **القدس الخالدة**، القاهرة ١٩٧٤، ص ٢٥٧.
(١٠) نذكر من الكتب الدالة على عناية المسلمين الموصولة بالقدس فضلاً عن تلك التي ذكر مؤلفوها في متن هذه الرسالة الكتب التالية:

- **فضائل القدس**، لابن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م.
- **الانس في فضائل القدس**، لابن هبة الله الشافعي من القرن السابع الهجري.
- **مثير الغرام بفضائل القدس والشام**، لابن سرور المقدسي المتوفي سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م.
- **الجامع المستقصى في فضائل المسجد الاقصى**، لابن عساكر المتوفي سنة ٩٤٨هـ/١٥٤١م.
- **باعث النفوس إلى زيادة القدس المحروس**، لابن قاضي الصلت المتوفي سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م.
- **فضائل القدس**، لابن المعالي المشرف بن المرجي.

(١١) عارف العارف، **المفصّل...** ص ٣٠٧.
(١٢) المرجع السابق.
(١٣) المرجع السابق ص ٣٠٧ - ٣٠٨.
(١٤) عارف العارف، **تاريخ قبة الصخرة والمسجد الاقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس ١٩٥٥، ص ٣٥.**
(١٥) **د. عبد الحميد زايد، القدس الخالدة**، القاهرة ١٩٧٤، ص ٢٦٢.
(١٦) عارف العارف، **مفصّل**، ص ٣٠٨.

(17) Grunwald, K., Jewish Schools Under Foreign Flags in Ottoman Palestine, in **Studies on Palestine During the Ottoman Period,** Moshe Ma oz ed Jerusalem 1975, p. 165.

(١٨) المرجع السابق ص ١٦٤ - ١٧٤.
(١٩) د. عبد الحميد زايد، مذكور آنفاً، ص ٢٥٦.

(20) Grunwald, **OP. CIT., P. 160ff.**

(٢١) المرجع السابق.

(22) Landau, J. M., The Educational Impact of Western Culture on Traditional Society in Nineteenth Century Palestine. **Studies on Palestine..., of. eit.**. PP. 499-
(23) Tibawi, A.L., **Islamic Education, London** 1972, p. 105.

(٢٤) راجع المرادي، محمد خليل، **سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر، الجزء الثالث القاهرة ١٨٨٣، ص ١٦٦.**

(25) Gibb, H. A. R., and Bowen, H , **Islamic Society and the west,** Vol. I., **Islamic Society in the Eighteenth Century,** Part II, OXford, 1957, p. 174.

(٢٦) المرجع السابق ص١٥٥.
(٢٧) راجع المرادي، مذكور آنفاً، الجزء الاول ص ٨٢، و١٩١ - ١٩٢ والجزء الثالث ص ٤١ والجزء الرابع ص ٣١ - ٣٢.
(٢٨) راجع. Gibb and Bown, **op. cit.**, vol. I, Part II, p. 89.
(٢٩) المرجع السابق ص ١٠٢.

(30) Tibawi, **op. eit.**, 104



الوصف الأثري والمسح الأثري

د. نقولا زيادة



منظر عام لحفريات تل مرديخ يمثل المدخل الجنوبي الغربي ومعالمه.



كان الرحالة، على اختلاف العصور، اول من لفت النظر الى الآثار التي خلفها القدماء. فليس ثمة زائر مر بمصر ولم يكتب عن اهرامها. وهذا ابن بطوطة يزور القسطنطينية فيحدثنا عن كنائسها مثلاً. وهذه العناية كانت مقصورة على الظاهر من الآثار، اي الابنية او ما تبقى منها. وقد جاء وقت عل عدد كبير من الرحالة الاوروبيين كانت الآثارالكلاسيكية، يونانية ورومانية، موضع اهتمامهم، وخاصة اولئك الذين كانوا يعنون بالناحية الفنية من تلك الآثار، لما فيها من روعة، ولارتباطها بعصر النهضة الاوروبية وما حملته تلك النهضة من العناية بالناحية الجمالية من ابداع الاوائل.

على ان الشرق، بسبب ارتباطه بالكتاب المقدس بشكل خاص، لم يلبث ان جذب اليه السياح المعنيين بالآثار. ولما توغل هؤلاء الرحالون في نواح مختلفة من ديار الشام والعراق ومصر وتركية والسودان لفتت انظارهم اماكن وآثار لم تكن متصلة بالكتاب المقدس، ولكنها فرضت نفسها عليهم. فدونوا ما شاهدوه في تلك البقاع.

وليس من الممكن ان نتحدث في هذه العجالة عن اولئك الرحالين الذين وصفوا الآثار

جميعاً، ولكننا نود ان نضع بين يدي القراء نماذج من هؤلاء الرحالين الاوروبيين الوصافين للآثار في ديارنا.

في اواسط القرن الثامن زار سورية ولبنان، كما زار غيرهما من البلاد المجاورة، اثنان هما روبرت وود وجيمس دوكن، وكان من نتيجة هذه الزيارة ان وضع اولهما كتابين الواحد عن آثار تدمر صدر سنة ١٧٥٣، والثاني عن آثار بعلبك صدر سنة ١٧٥٧.

ونحن اذا اخذنا ايا من الكتابين وجدنا المؤلف يعرض تاريخا مقتضبا للمدينة ويصف الآثار القائمة، وهي بطبيعة الحال كانت اقل بكثير مما نشاهده اليوم لان اكثر هذه الآثار كانت يومها مدفونة تحت الرمال. ولكن بالاضافة الى الوصف نجد ان روبرت وود قد رسم تلك الاطلال وقاس ابعاد اجزائها مستعينا على ذلك بادوات كانت تعتبر يومها دقيقة.

ومثل ذلك يقال عن الرحالة بركارت الذي زار جرش سنة ١٨١٠ ووصفها ورسم كثيرا من الموجود فيها. وقد كان الناس في جهات الاردن يتحدثون عن آثار وادي موسى. فلما زارها بركارت اعتبرها هي البتراء النبطية، فوصفها بشكل خاص، ولكنه تجنب قياس الاماكن فيها حتى لا يشك به انه يفتش عن كنوز.

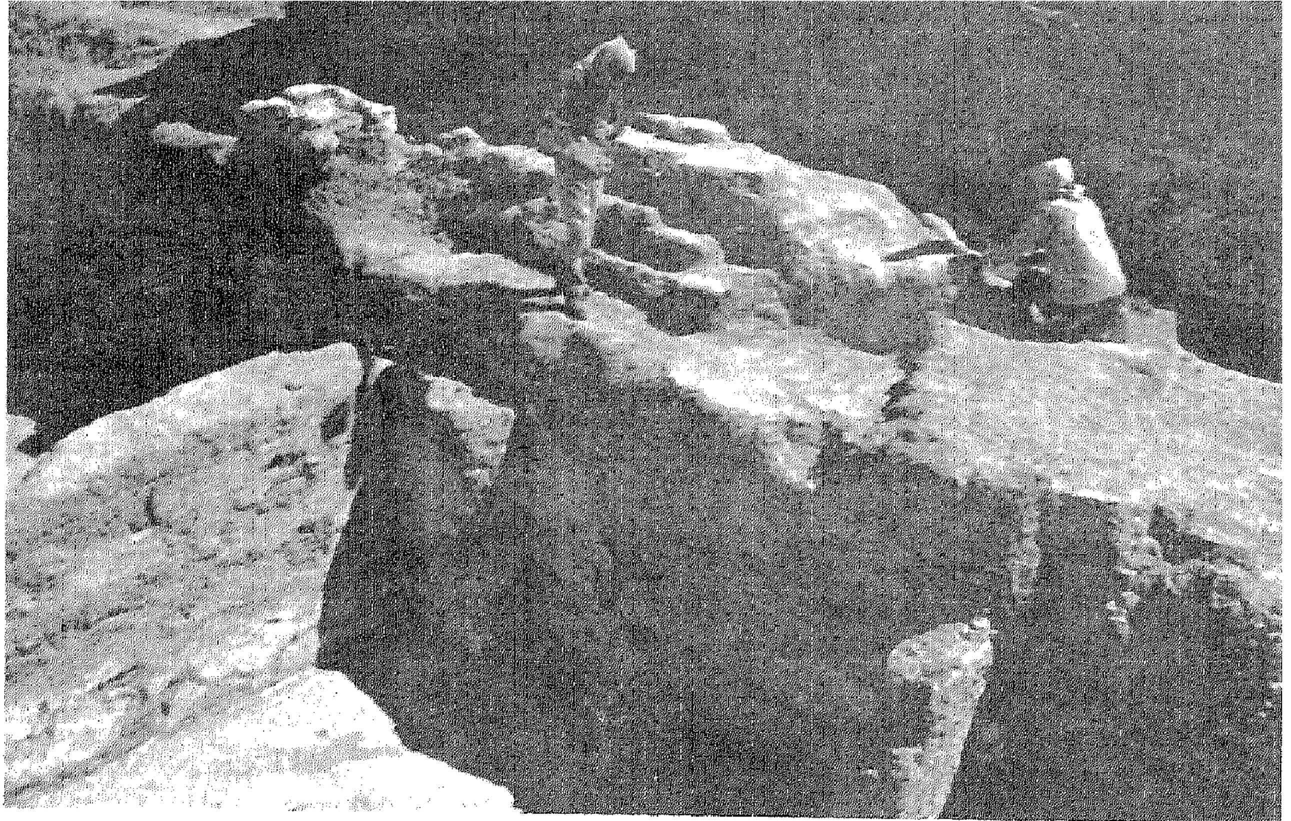
ولكن هناك نوع آخر من الرحالين الاوروبيين الذين عاشوا في القرن التاسع عشر والذين انتبهوا، في شمال اوروبة خاصة، الى انتشار قطع من الصوان يبدو ان اليد صقلتها بشكل او بآخر، وذلك بقصد استعمالها للقطع او للكسر. واهتم هؤلاء بوصفها ايضا. وكانت هذه هي المادة الاولى لما عرف فيما بعد بالعصر الحجري من عصور ما قبل التاريخ.

واذا كان هؤلاء الرحالون، الذين يعدون بالمئات، هم الذين وصفوا لنا الآثار الظاهرة بدقة، فان هناك جماعة، اكثرها من اهل القرن التاسع عشر، قامت بمسح اثري لبلاد معينة او مناطق خاصة منها.

في سنة ١٧٩٨ وصل نابليون الى مصر فاتحا لها. وكان في جملة الرجال الذين جاء بهم الى مصر مجموعة من العلماء المختصين في كل ناحية من نواحي المعرفة. وعلى يد هؤلاء انشىء المعهد العلمي الذي استمر في العمل ونشر بين سنتي (١٧٩٩ و ١٨١٣) كتاب وصف مصر. والذي يهمنا من هذا الكتاب هو ما القاه من الضوء على الآثار المصرية. فهناك وصف للآثار الظاهرة من الهياكل والاهرام والقبور الملكية والابنية، وحتى التلال التي قد تخفي تحتها شيئا ما. وقد رافق هذا المسح الاثري، في مصر كما في غيرها من الاقطار الشرقية، جمع التحف الاثرية الصغيرة مما يمكن نقله الى متاحف الغرب.

وفي سنة ١٨٢٨ تم مسح اثري ثان لمصر. قام به روزيليني بمساعدة شمبليون نفسه. وفي هذه المرة ادخلت المناطق الجنوبية من مصر الى الشلال الاول عند اسوان في اطار المناطق الممسوحة. وفي سنة ١٨٤٠ قام لبسيوس بمسح لآثار النوبة الى الخرطوم. وهكذا فانه لم يكد القرن التاسع عشر ينتصف حتى كانت المواقع الاثرية الهامة والآثار الرئيسية موضحة على خرط دقيقة، كانت بانتظار الرفش والمعول.

وكانت فلسطين ولبنان وسورية ايضا من المناطق التي افادت من الحماسة التي انتشرت في سبيل القيام بالمسح الاثري. فقد انتقلت العدوى من اوروبة ومن مصر اليها. وكانت رحلات بركارت في اوائل القرن التاسع عشر قد لفتت الانظار الى البتراء وغيرها، فجاء ادوارد روبنسون وقضى في فلسطين اربعة عشر عاما، ونشر سنة ١٨٥٢ كتابه المسمى «دراسات توراتية في فلسطين». وكان كتاب رينان عن المسح الاثري للبنان. وهو نتيجة دراسة اثرية شاملة لفينيقية قد نشر سنة ١٨٦٠ كل ذلك هيأ الجو لاعمال مسح اثرية شاملة. وفي سنة ١٨٦٥ انشئت في لندن جمعية الكشف الاثري في فلسطين. وبعد قيامها بخمس سنوات بدات بالعمل في البلاد نفسها. وكان العمل اصلا مسح البلاد مسحا اثريا شاملا بحيث يمكن وضع الاسس الرئيسية للتنقيب عندما يحين الوقت. وكان بين الذين عملوا في هذا المجال في فلسطين كوندر ودراك وضابط شاب هو الذي اصبح فيما بعد لورد كتشنر. ونتج عن هذا العمل كتاب «مسح فلسطين» الذي عين كل



تل مرديخ: المخزن الذي وجدت في داخله ١٥,٠٠٠ لوحة من ارشيف دولة ابلا والذي اكتشف عام ١٩٧٥

مكان يمكن ان يعثر فيه على آثار، بقدر ما وصل الى ذلك علم القائمين على المشروع.

بدأ مسح فلسطين سنة ١٨٧١ وكان القائمون على الامر مدربين على العمل الطوبوغرافي واصحاب معرفة بالجيولوجية والتاريخ. ولذلك فان عملهم كان، بقدر ما يمكن لما وضع في ذلك الوقت ان يكون، تاما تقريبا، ولا شك ان التجارب التي كانت قد تمت في اماكن اخرى، افادت القائمين على العمل. فقد اتبع العاملون في الحقل طرق المسح الصحيحة مع مقابلة بين مسحين هنا وهناك لضبط المواقع. واهتموا بتدوين الملاحظات المتعلقة بالسطح والمرتفعات والنباتات والحيوانات والحرارة. وسجلوا اسماء جميع الامكنة التي مرت معهم. والكتاب الذي اشرنا اليه قبلا، اي «مسح فلسطين» يحتوي في اجزائه الثلاثة على تسعة الاف اسم. وهذه الاسماء اخذها المساحون من اهل البلاد وقابلوها، عن طريق آخرين على ما رواه الجغرافيون والرحالة العرب وغيرهم للتثبت من صحتها. كما ان الجماعة رسموا الخرط اللازمة للبلاد والمدن وصورا لبعض الاماكن الهامة.

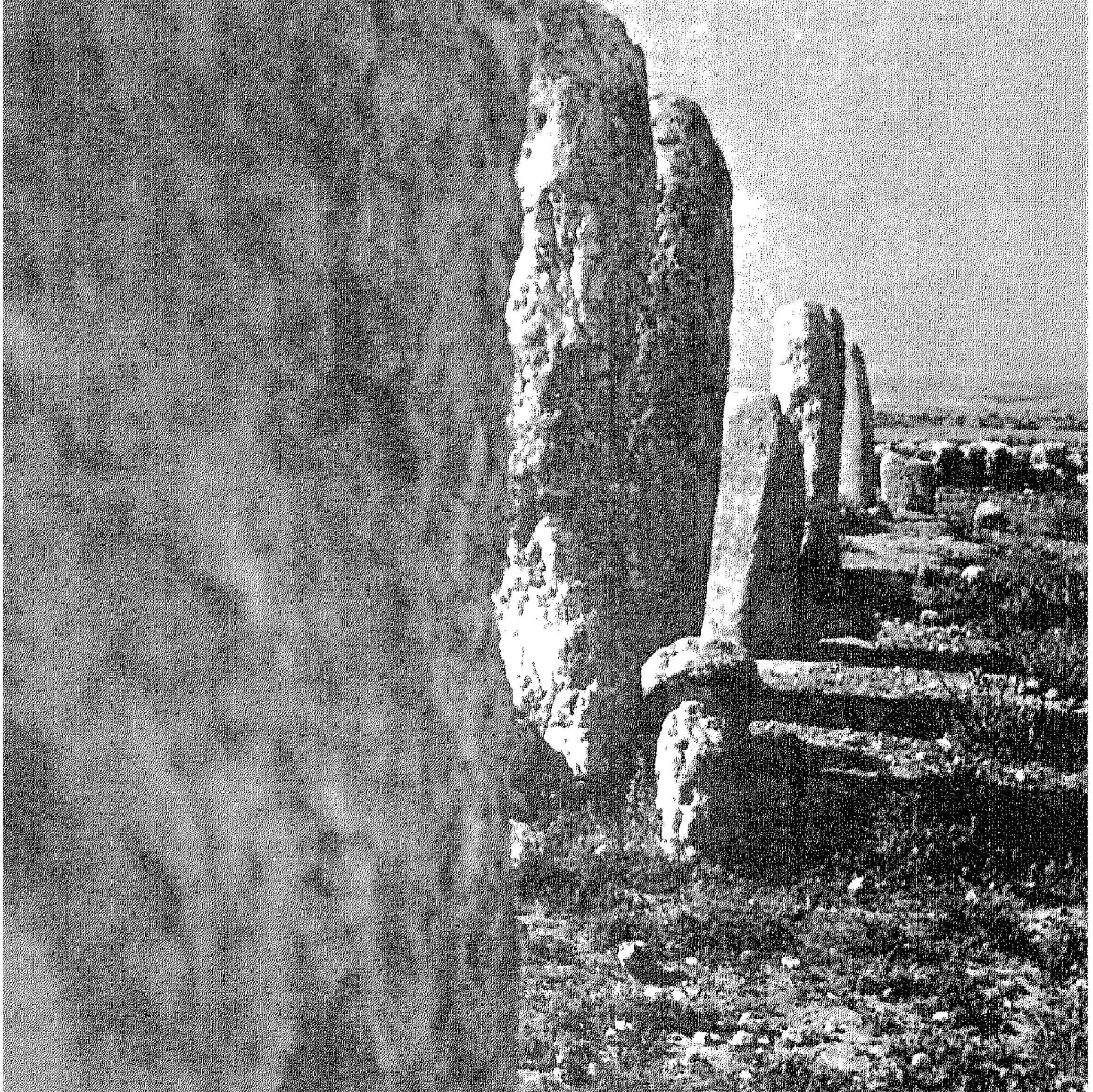
والذي يهمنا، في هذه المناسبة، هو ان قلة من الاماكن الاثرية في فلسطين فاتت هؤلاء. وحَريّ بالذكر ان هؤلاء المساحين خصوا اماكن معينة بتفصيل خاص. فالقدس لها خرط خاصة، كما انهم اهتموا بالأماكن التالية وهي عتليت وقيسارية وأرصوف وبيسان وكوكب الهوا ونابلس وعسقلان وغزة وتل جازر او خربة ابو شوشة وبيت جبرين. ومن الأماكن التي اهتم بها خارج فلسطين صور في لبنان وقلعة الشوبك في الاردن.

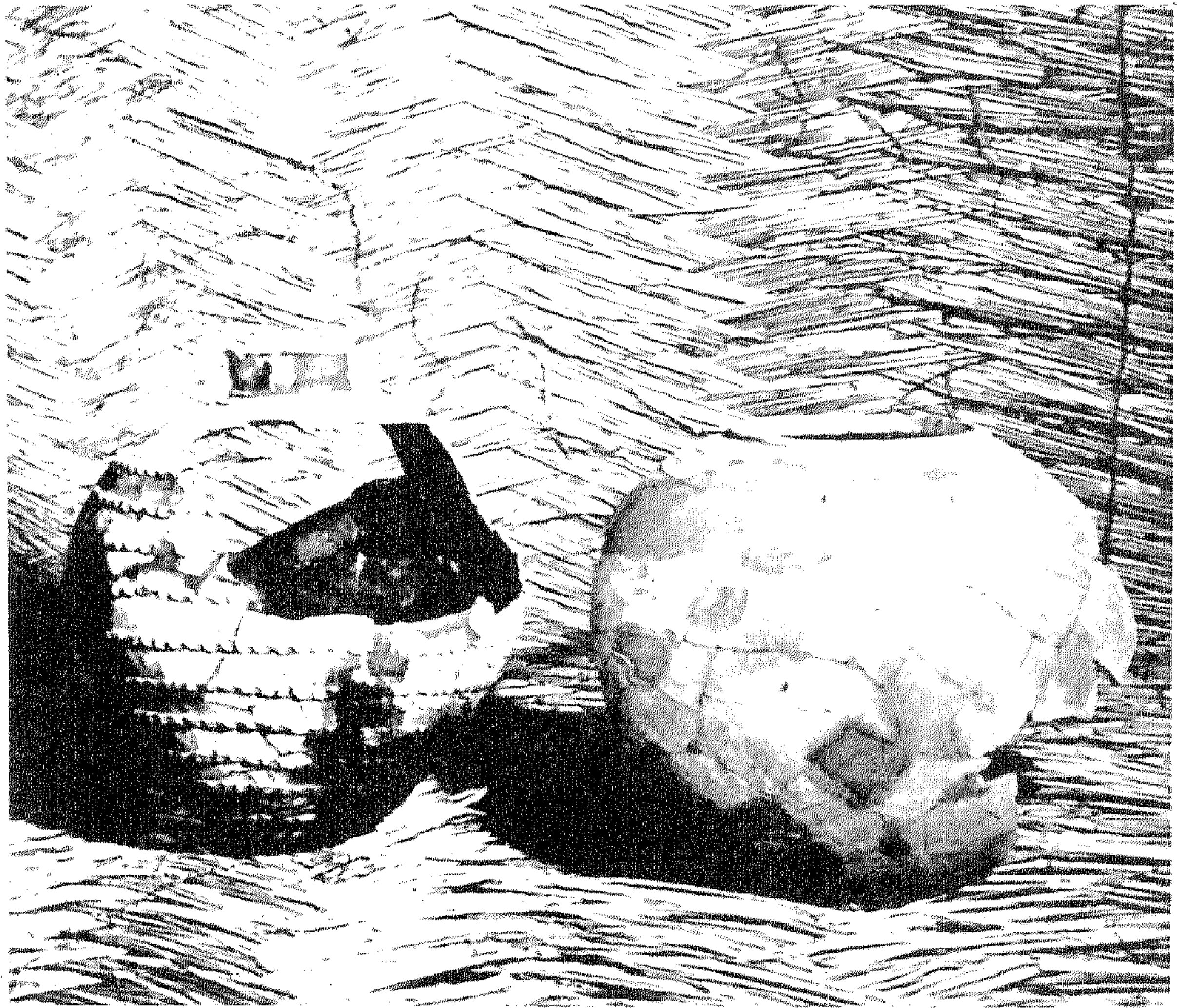
ولم يكن للعراق حظ الحصول على نوع من المسح الاثري العام قبل البدء بالحفر والتنقيب، ولكن لا بد من ذكر ما قام به لوفتوس وتشرشل سنة ١٨٤٩ من وصف جنوب العراق وصفا شمل قسما كبيرا من التلال الصناعية القائمة فيه، والتي ثبت فيما بعد انهاكلها كانت بقايا مدن قديمة.

علم الآثار: المحتوى و الأسلوب

يعنى علماء الآثار اليوم بدراسة ما خلفه الانسان على سطح هذه الارض منذ ان بدأ حياته عليها. وهناك مجالات مختلفة يعنى بها الباحثون. فعلم الآثار الكلاسيكية يعنى اصلا بما خلفه اليونان والرومان من أبنية على اختلاف أنواعها وأشكالها وتخطيطها وزخرفها. وعلم الآثار الاسلامية مثلا يتناول ما خلفته الحضارة العربية الاسلامية من آثار البناء والمعمار والفنون الصغرى الزخرفية والصناعية. وهناك من علماء الآثار من يقتصر في دراسته على ما شاده الفراعنة القدماء عبر الزمان. ولكن بالاضافة الى هذا كله فعلم الآثار يشمل مخلفات الانسان قبل ان كتب هذا الانسان تاريخه اي قبل التاريخ المدون، سواء كانت

أحجار ضخمة تعود الى زمن الكنعانيين ١٥٠٠ ق. م.





آنيتان فخاريتان من المدنية الاولى وجدت في قلعة البحرين ٢٥٠٠ ق. م.

المدونات نقوشا او آجرات او اوراق البردي. ذلك بأن الانسان بدأ حياته على الارض قبل الاف السنين. وقبل ان ينصرف الى البناء والكتابة مرت عليه ادوار كان فيها يعيش على جمع النباتات وصيد الحيوانات ثم انتقل إلى تدجين الحيوان واختراع الدولاب واكتشاف النار. هذه الفترة الطويلة من حياة الانسان كان يستعمل فيها الحجر اولا للقطع والكسر وخياطة الجلود وكشطها. ثم جاءه وقت عرف فيه مزج النحاس بالقصدير ليحصل من ذلك على البرونز او الشبه واخيرا اكتشف الحديد. وفترة استعمال الحجر طويلة. واذا نحن اخذنا بعين الاعتبار تطور الوسيلة التي صقل بها الانسان الصوان وهيأه للاستعمال وجدنا ان العصر الحجري بالذات يقسم إلى القديم والمتوسط والحديث. وليس هنا مجال تفصيل الفروق بين الادوات او الآلات، إذا جاز التعبير، التي صنعها الانسان في هذه الازمنة الحجرية الثلاثة. ولذلك نكتفي بالقول بأن الفرق الاساسي هو فرق في طريقة صنع هذه الادوات وتنوعها وتنويعها.

فعلم الآثار اذن يتناول هذه الآثار المادية التي بقيت بعد ان زال صانعوها ومستعملوها، فيعمد العلماء الى نبشها من مظانها، ليدرسوها ويصنفوها ويفسروا ارتباطها بالحياة في فترة من فترات ازمنة ما قبل التاريخ. واذن فالعالم الاثري هو الذي يوجه همه الى الاشياء الموجودة ليحاول ان يفهم ما صنعه الانسان وكيف صنعه وكيف استعمله، وليسبر غور الحياة اليومية لهذا الانسان القديم جدا.

وعلم الآثار حديث العهد، ويمكن القول ان عناية الباحثين بهذه المخلفات البشرية ترجع

اصلا الى الفترة الممتدة من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٧٠. ولعل السبب الاصلي الذي حفز الباحثين على الاهتمام بهذه الآثار القديمة هو تطور علم الجيولوجية اي طبقات الارض وظهور نظرية التطور. ذلك ان الدراسات الجيولوجية ادت الى اكتشاف بقايا بشرية متحجرة في طبقات قديمة من الارض في كنت بانكلترا وفي نيندرتال بالمانية. وكان المعنى الأول لذلك هو ان الانسان قديم على سطح البسيطة، اي ان وجوده لم يكن يتفق مع نظرية اشر القائل بأن الانسان وجد على سطح البسيطة سنة ٤٠٠٤ ق. م. كما ان ظهور كتاب داروين سنة ١٨٥٧، الذي يقوم على اساس ان الحياة البشرية قديمة متطورة، حمل الباحثين على التنقيب عن آثار هذا الانسان للتمعن في نوع الحياة التي كان يحياها، والاسلوب الذي كان يحصل فيه على طعامه، والمكان الذي كان يأوي اليه، والاله الذي كان يعبده. ولم يلبث الباحثون ان عثروا حتى على آثار فنية ترجع الى نحو اربعة عشر الفاً من السنين في شمال اسبانية في كهف التميرا.

ومن هنا كثر الاهتمام بالرفش والمعول وسيلتين لازالة الأتربة التي كانت تغطي الادوات والمساكن والكهوف.

وقد كانت اعمال الحفر والتنقيب الاولى تسير على غير نظام معين. ونحن اذا اخذنا العالم الفرنسي ماريبت الذي بدأ عمله في مصر سنة ١٨٥٠ والذي استمر في التنقيب نحو ثلاثين سنة، حفر أثناءها في نحو ثلاثين موضعاً فقد كانت عنايته موجهة اصلا الى البراق من الموجودات. فلم تكن ثمة خطة معينة، ولم يكن هناك نظام يتبع. وكان يجمع ما يعثر عليه دون تقييد وترتيب. ومع ذلك فقد كان الرجل رائدا في الميدان. ويكيفيه انه حال دون نهب الآثار ونقلها الى الخارج في الفترة التي كان فيها مديرا لمصلحة الآثار المصرية.

ومثل هذا يمكن ان يقال عن اعمال الحفر الاولى التي تمت في ارض الرافدين بين سنتي ١٨٤٣ و ١٨٧٧. فقد كان في العمل سباق ومنافسة بين منقبين فرنسيين وانكليز. ومع ذلك فقد توصل هؤلاء المنقبون الرواد الاوائل الى التعرف الى نينوى وارك القديمة وهي تل ورقة اليوم ولارسا وهي سنكرا الحالية وأور الكلدانيين في تل المقير واريدو المسماة حاليا تل ابو شهرين. وكل هذه مدن قديمة اخرجت كنوزها فاوضحت لنا شيئا عن حياة المدن الاولى واتساع تجارتها وانماط بنائها الرسمي والديني والشعبي.

على ان علم الآثار في القرن العشرين تقدم كثيرا في اتجاهين. الاول ان المنقبين الان، على اختلاف نزعاتهم، اكثر تعاونا، ومن ثم فالتخطيط العام للقيام باعمال الحفر ممكن. والثاني ان الوسائل التي يلجأ اليها علماء الآثار تطورت كثيرا ولعل هذه تحتاج الى شيء من التوضيح.

واول ما يجب ان يذكر هو ان العالم الأثري الآن يهتم بعلم طبقات الارض والدراسات المناخية والنباتية والحيوانية وعلم الطبيعة والكيمياء. ذلك انه يحتاج الى هذه كلها للتعرف الى الطبقة المعينة من التربة التي يعثر فيها على آثار الانسان العادية والى نوع النباتات او العظام التي قد تعترض تنقيبه والمناخ الذي سيطر على جماعة معينة في وقت ما.

وقد كان العالم الأثري في حيرة من امر الزمن الذي تعود اليه موجوداته المستخرجة من التراب المتراكم. فكان يلجأ الى المقارنات. ولكن امرين ساعداه على ضبط الامور بعض الشيء. اولهما التقدم الذي اصاب علم الجيولوجيا او طبقات الارض من حيث ثخن الطبقات الصخرية والترابية وتتابعها وارتباط هذين بعمر هذه الطبقات. ومن ثم فقد اصبح بامكان العالم الأثري ان يستعين بهذه الامور ليقرر، من ترسبات التربة وطبقاتها، عمر ما عثر عليه من آثار الانسان - ادوات والات وآنية ومساكن وما الى ذلك. والامر الثاني هو اهتمام العلماء الأثريين بالفخار. ذلك ان الكثير من مخلفات الانسان يتعرض للفناء، كالخشب والجلد او للذوبان مثل اللبن وقد يصدأ الحديد ويضيع شكله الاصلي. لكن الفخار لا يفنى. قد يتكسر ويتهشم وينتثر، ولكنه لا يذوب ولا يفنى ولا يضيع شكله. فاذا عثر البحاثة على قطع فخارية، فقد يمكنه ان يجمع المتكسر منها الى



تمثال صغير وجد
في مستوطنة دلمون

الصور من كتاب

B. C. The
Archaeology
Of The
Bible Land Magnus
Magnusson

بعضها البعض، ويخرج من ذلك بوعاء او قدر. واذا كان هذا الفخار مزخرفا امكن للزخرفة ان تساعد في تعيين عمر الفخار. ومن ثم زمن الجماعة التي استعملته. والفضل في وضع الفخار في هذه المنزلة يرجع الى السير فلندرز بتري الذي صرف ستة عقود او يزيد في التنقيب الأثري في مصر وفلسطين.

على ان اهم وسيلة علمية للتأكد من عمر المواد العضوية، مثل العظام والفحم العادي، هي التي توصل اليها ويلارد ف. ليبي، وهو اول من نال جائزة نوبل في الآثار. فقد توصل الى الكشف عن حقيقة علمية هامة وهي انه عندما يموت جسم عضوي، فان ما يحتويه الجسم من «كربون ١٢» يظل ثابتا، أما ما يحتوي عليه من «كربون ١٤» يتحلل تدريجا وعلى اساس ثابت. ومن ثم فان مدى انحلال «كربون ١٤» يعين المدة التي مرت على الجسم العضوي منذ ان فقد الحياة.

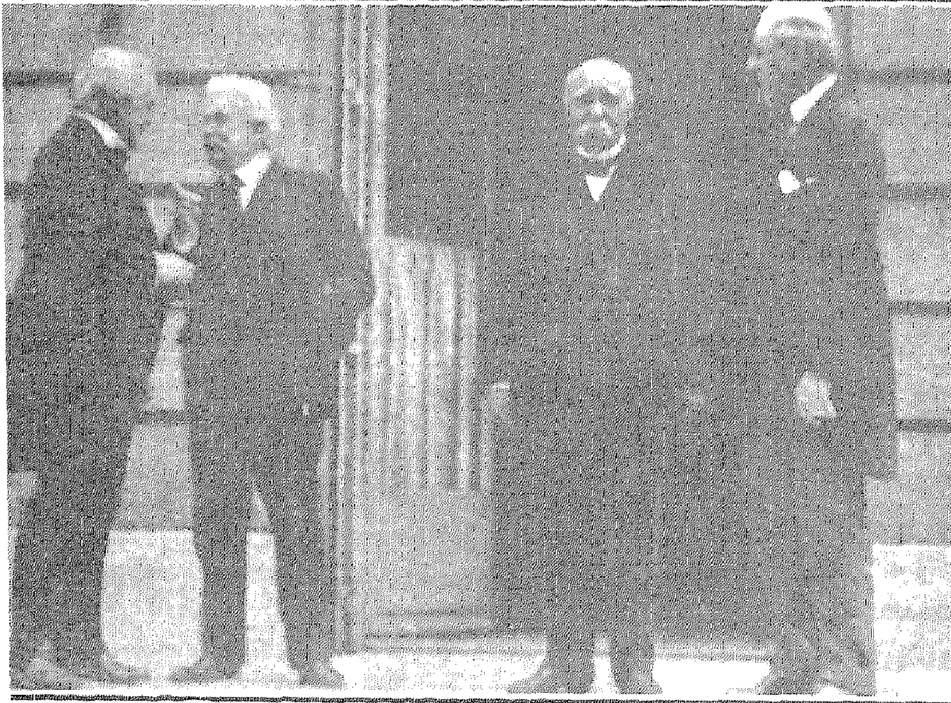
هذه الحقيقة اتخذت مقياسا لا يطاله الخطأ لتحديد الزمن في هذه الحالات. هذه هي التجربة المعروفة باسم تجربة «كربون ١٤».

فنحن اذا القينا نظرة على تطور البحث الأثري والتنقيب الأثري وترتيب ما يعثر عليه وتنظيمه وتصنيفه وتعيين مداه خلال مئة وخمسين من السنين، وجدنا ان ما كان مغامرات بالرفش والمعول لجمع الطريف من العاديات ونقلها خارج بلادها الاصلية، اصبح الآن علما مادته ما خلفه الانسان. وغايته درس ما صنع الانسان وكيف صنع ذلك وكيف افاد منه، ووسائله وسائل علمية متفق على اكثر قواعدها.

■

حسان حلاق

الأزمة اللبنانية بين مؤتمر فرساي ولجنة التحقيق الدولية ١٩١٩



الاربعة الكبار من اليمين: ويلسون، كليمنصو، اورلندو ولويد جورج.

مؤتمر فرساي ١٩١٩:

عقد مؤتمر الصلح في فرساي قرب باريس في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ لبحث نتائج الحرب العالمية الاولى، وقد حضر المؤتمر عن الولايات المتحدة الاميركية الرئيس «ويلسون» (W. Wilson) ورئيس الوزراء البريطاني «لويد جورج» (L. George) ورئيس الوزراء الفرنسي «جورج كليمنصو» (G. Clemenceau) كما حضره ممثلون عن اليابان وايطاليا.

وفي هذه الفترة كان اللبنانيون في حالة غليان شديد تبعا لمواقفهم المتباينة من مستقبل لبنان. ومن هنا بدأ الصراع الشديد بين اللبنانيين في الميدانين الداخلي والخارجي. ولما كانت فرنسا تريد احكام قبضتها على لبنان فقد قامت بتشجيع مجلس ادارة جبل لبنان للسفر الى باريس لتقديم مطالبه الهادفة الى استقلال لبنان تحت الحماية الفرنسية. وأوعزت السلطة


اميل اده

الفرنسية في لبنان في الاول من كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ الى مجلس الادارة لاستصدار مضبطة فُوِّض بموجبها داوود عمون ليكون رئيسا لوفد مجلس الادارة الذي تألف ايضا من: اميل اده، نجيب عبد الملك، وعبد الحليم الحجار. ويذكر بشارة الخوري من ان حبيب باشا السعد ايد على الفور سفر الوفد لا لشيء الا «أملا بان يصفو له الجو بغياب مارونيين بارزين كان يبني آمالا كبارا على تنافسهما. ولم تلبث الاخبار ان جاءت من باريس تنقل تفاصيل اختلافهما، فكل من عمون واده حديدي الطبع عصبي المزاج ينزع الى الاستئثار ويطمع باحتلال المركز الاول في لبنان، فابتسم حبيب باشا في سره ورأى امله يتحقق».

هذا وقد استقبل مؤتمر فرساي وفد ادارة جبل لبنان برئاسة داوود عمون وقدم مطالبه وهي المطالب نفسها التي سبق ان أصدرها مجلس الادارة وهي:

١ - توسيع نطاق جبل لبنان الى ما كان معروفا به من التخوم تاريخيا وجغرافيا.

٢ - تأييد استقلال لبنان بادارة شؤونه الادارية والقضائية بواسطة رجال من اهله.

٣ - انشاء مجلس نيابي يؤلف على مبدأ التمثيل النسبي حفظا لحقوق الاقلية، وينتخب من الشعب.

٤ - طلب مساعدة فرنسا لتحقيق ذلك، ومعاونتها الادارة المحلية في تسهيل نشر العلوم والمعارف.

ويلاحظ من دراسة هذه المطالب بعض الاتجاهات السياسية لفئة من اللبنانيين يمكن تلخيصها على النحو التالي:

١ - اتجاه سياسي انفصالي عن سوريا ورفض الوحدة السورية.

٢ - الاصرار على توسيع رقعة جبل لبنان بضم الاجزاء اللبنانية الساحلية والداخلية اليه وليس العكس.

٣ - ان الاصرار على الحماية والمساعدة الفرنسية امر يناقض الاستقلال.

٤ - اعتبر الوفد ان الحماية الفرنسية تساعد لبنان على الاستقلال عن سوريا وضمانة لمنع الامير فيصل من ضمه ضمن اطار الوحدة السورية.

والامر الملاحظ ان سكان الساحل والداخل لم يرسلوا وفدا خاصا الى مؤتمر فرساي على غرار وفد مجلس الادارة، بل اعتبروا انفسهم انهم جزء من سوريا الكبرى وان فيصلا هو ممثلهم الى مؤتمر الصلح. وبالفعل فقد وصل الامير فيصل الى بيروت قادما من دمشق بصحبة «لورنس» ويقول امين الريحاني في هذا الصدد «فدخلها مثلما دخل دمشق زعيما محبوبا، وكان له فيها استقبال الدمشقيين رونقا وبهاء». وبعد ان مكث في بيروت ثلاثة ايام أبحر منها في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨. ولما وصل الى باريس واجهته هناك ثلاثة مؤتمرات كبرى تتمثل بمصلحة بريطانيا في العراق وفلسطين، ومصلحة فرنسا في سوريا، والمصلحة الصهيونية القومية في فلسطين، على حد قول جورج انطونيوس.

وفي الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ قدم الامير فيصل مذكرة الى مؤتمر الصلح اشار فيها الى مطالب العرب الاستقلالية ورفضهم للسيطرة الاجنبية، وان اللغة العربية تجمع بين العرب في البلاد الواقعة ضمن خط يمتد من الاسكندرونة الى ايران وجنوبا الى المحيط الهندي «وان هدف الحركة القومية العربية... هو توحيد العرب في امة واحدة.. ونحن نؤمن ان سوريا... تستطيع ان تدير شؤونها الداخلية بنفسها، كما اننا نشعر ان اية مشورة تقنية اجنبية تقدم الينا تشكل عنصرا



الامير فيصل
بن الشريف
حسين

ذا قيمة عظيمة للتنمية الوطنية. نحن على استعداد ان ندفع ثمن هذه المشورة نقدا، اذ انه لا يمكننا ان نضحي في سبيلها شيئاً من الحرية التي ظفرنا بها نحن انفسنا بقوة السلاح...».

والجدير بالذكر ان رؤساء المؤتمر لا سيما رئيس الوزراء الفرنسي لم يتجاوب مع هذه المذكرة لما فيها من تناقض مع اطماع فرنسا في البلاد السورية ولما فيها من تناقض مع مذكرة مجلس ادارة جبل لبنان. غير ان بريطانيا كان يهمها جدا تقليص النفوذ الفرنسي في المنطقة حتى تتفرد بها لوحدها. ومن اجل ذلك ظهرت الخلافات بين رؤساء المؤتمر حول العديد من المشكلات المطروحة لا سيما المشكلة اللبنانية التي اظهرت انقسام اللبنانيين ساحلا وجبلا ما بين مؤيد للوحدة السورية وما بين رافض لها. ولذلك صرح «كليمنصو» انه لا بد من ايجاد تفاهم بين الدول الكبرى حول المشكلات المطروحة على المؤتمر، غير ان الرئيس «ويلسون» انتقده لان فرنسا تحافظ على سياستها التقليدية القديمة الهادفة الى استمرار التوسع والاستعمار.

والحقيقة ان مصالح بريطانيا وفرنسا في المناطق العربية كانت من الاسباب التي اعاقت مهمة الامير فيصل، فقد استاء كليمنصو من ازدواجية مواقف الحكومة البريطانية التي اظهرت حينا تأييدها للطموحات الفرنسية في الشرق وتأييدها حينا آخر لمطالب الامير فيصل، الامر الذي دعا كليمنصو لرفض مقابلة فيصل في البدء. وكانت فرنسا تعتبر ايضا ان مجيء فيصل الى باريس واشتراكه في المؤتمر ليس هو الا مناورة بريطانية هدفها تقليص النفوذ الفرنسي في سوريا ولبنان. ومما يجب ذكره في هذا المجال ان فرنسا استطاعت ان تستغل مذكرة مجلس ادارة جبل لبنان وتجعلها «ورقة رابحة» كي تواجه بها الامير فيصل ومطالبه، وبذلك يمكن القول ان هذه المذكرة شكلت عائقا في وجه الامير.

رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو



ومن الاهمية بمكان القول انه نتيجة للمساومات السياسية الدولية والمحلية فقد امكن ترتيب لقاء ومباحثات جانبية بين فيصل وكليمنصو ادت الى اتفاق بينهما، وبمقتضى هذا الاتفاق فان فرنسا تعترف بوحدة الاراضي السورية وان يتحد السوريون «ليحكموا انفسهم بانفسهم بصفتهم امة مستقلة»، ومقابل ذلك فقد اعترف الامير فيصل بحاجة السوريين الى معاونة ومشاورة فرنسا لتنظيم جميع الادارات الملكية والسورية، وان تمثل فرنسا ايضا البلاد السورية في الخارج، بالاضافة الى اعتراف فيصل باستقلال لبنان تحت الوصاية الفرنسية وبالحدود التي سيعلنها له مؤتمر السلم.

ويذكر المؤرخ محمد جميل بيهم في هذا الصدد بان وفد مجلس الادارة كان يلاقي حفاوة كبرى في باريس لان مطالبه تعبر عن رأي فرنسا، ولكن ما ان تم اتفاق فيصل - كليمنصو حتى بادر المسؤولون الفرنسيون الى اقناع اعضاء الوفد بوجوب الانضمام الى دمشق والقبول بالامر الواقع «فشعروا بخيبة الامل، عادوا يحملون النقمة على هؤلاء المسؤولين في عاصمة الام الحنون» غير ان أمين الريحاني ذكر بان داوود عمون صرح في باريس بان بين لبنان وسوريا علاقات تجارية وصلات متينة تستوجب الا يفصل الشقيق عن شقيقه «فاجتمعت كلمتنا - كلمة الوفد - على وجوب انضمام الاثنين تحت لواء مراقبة واحدة». واضاف بانه ازاء ذلك ظهرت احتجاجات المسيحيين في لبنان على تصريحات القائد الفرنسي «بيشون» (Pichon) حول هذا الموضوع ظنا منهم ان فرنسا باتت تفضل المسلمين عليهم، وقد تضحي بهم في سبيل السياسة والمصلحة.

وفي الوقت الذي ذكر بيهم والريحاني - وهما معاصران للاحداث - هذه الظروف حول اتفاق فيصل - كليمنصو، نرى ان الشيخ بشارة الخوري - وهو معاصر للاحداث ايضا - ذكر ان الفرنسيين عندما قابلوا فيصل اخذتهم الحيرة ووقعوا بين نارين: مجاملة الامير من جهة، وابقاء لبنان خارج نطاق نفوذ الامير من جهة ثانية. ولهذا راحوا يراعون شعور



الشيخ بشارة الخوري.

بعض اللبنانيين تحسبا للغد فيما اذا سيطروا على سوريا ولبنان. واضاف بشارة الخوري قائلا «وكانت نتيجة تلك الحيرة ان الحكام الفرنسيين اعدوا للامير فيصل عند عودته من فرنسا ومروره في بيروت استقبالا رسميا عزّ نظيره. واوعزوا الى اللبنانيين [يقصد المسيحيين] من طرف خفي بان يظهروا تمسكهم باستقلالهم فتنادي قسم كبير منهم الى تظاهرة حماسية في بعبدا نادت باستقلال لبنان في ربيع سنة ١٩١٩» وأكد بشارة الخوري معارضته للوحدة العربية السورية منذ تلك الفترة المبكرة من تاريخه السياسي، فقد اكد اشتراكه في تلك التظاهرة مع ميشال زكور وسواه من المتظاهرين الرافضين اشتراك لبنان في وحدة مع سوريا، وقد قرأ بشارة الخوري يومذاك قصيدة يوسف السودا ومطلعها:

ابناء لبنان الكرام
وحسبكم هذا اللقب

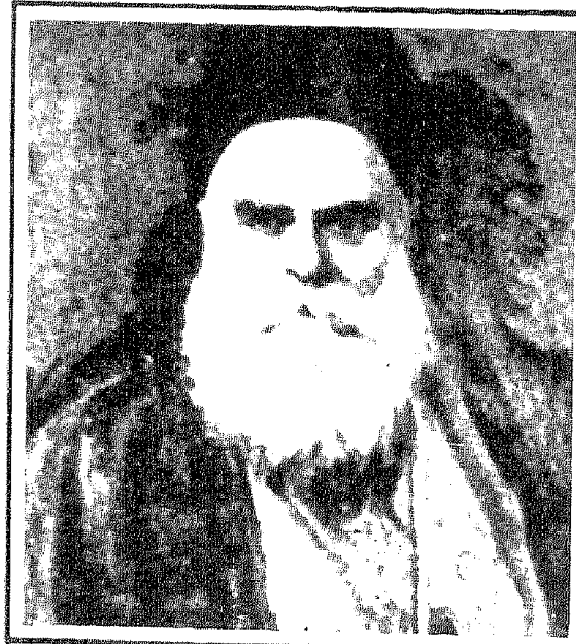
والجدير بالذكر ان سبب فشل فيصل في تحقيق ما تم الاتفاق عليه ليس كما اورده بشارة الخوري، وهي عدم اقتناع الفرنسيين بذاك الاتفاق ومحاولتهم مجاملته، اذ ان فرنسا لم يكن يهمها هوية الاشخاص بقدر ما كان يهمها تكريس وجودها في المنطقة. اما اذا تمت الوحدة السورية تحت قيادة فيصل فان ذلك لم يكن يضيرها طالما انه اعترف مقابل ذلك بالوجود الفرنسي في سوريا ولبنان، وكأنه اصبح عربيا

بتاج فرنسي. والحقيقة ان سبب الاستقبالات التي جرت في بيروت في ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩١٩ للامير فيصل هي الاسباب نفسها التي دعتهم لاستقباله يوم جاء من دمشق الى بيروت للسفر منها الى باريس، وهي ان الوحدويين كانوا لا يزالون يثقون به كرائد للاستقلال التام وللوحدة السورية الشاملة، وكان هؤلاء غير مطلعين بعد على مضمون اتفاق فيصل - كليمنصو، وما ان حل بدمشق وانتشر مضمون ذلك الاتفاق حتى تأكد فشله، لانه قوبل بمعارضة شديدة من السوريين واللبنانيين والوحدويين، وبسبب الضغط الذي تعرض له من قبل الاوساط التي يسميها زين زين بانها متطرفة. وكاد السوريون ان يثوروا على الامير فيصل بسبب ذلك الاتفاق حتى اضطروه الى التراجع عنه، بل اضطروه الى تأليف العصابات وامدادها بالمال والاسلحة للتحرش بالفرنسيين وازعاجهم فانقطع الامل بابقائه على عرش سوريا على حد قول خالد العظم.

هذا وكان صدى اتفاق فيصل - كليمنصو بين اللبنانيين مؤلما ايضا كل حسب ميوله واتجاهه السياسي، كما انبرت الجمعيات اللبنانية في مصر وامريكا الى تقديم الاحتجاج عليه لمؤتمر الصلح. ولما حاول ممثل الحكومة الفرنسية في بيروت حمل البطريرك الماروني الحويك على التسليم بالحاق لبنان بحكومة دمشق العربية وشدد عليه اجابه البطريرك: «ان الموت في ظل صخورنا خير لنا من الانضمام الى دمشق».

والحقيقة ان تراجع فيصل عن اتفاقه مع كليمنصو جعله يستعيد شعبيته بين الاوساط السورية المسيحية والاسلامية وبين الاوساط الوحدوية اللبنانية، وان كان قد خسر ثقة وتأييد فرنسا. وكان الامير فيصل قد القى خطابا في بهو دار الحكومة في دمشق في ٥ ايار (مايو) ١٩١٩ عرض فيه الحالة الراهنة. وبعد القاء الخطاب بدأت المناقشة بين فيصل والوفود السورية، ولوحظ ان الجميع ايدوا نشاط ومواقف فيصل، بل ان البعض تطرق عاطفيا في هذا التأييد. ومما قاله بطريرك الروم الكاثوليك لفيصل: «كما تأمرون سموكم فمروا بما تشاؤون» اما بطريرك الروم الارثوذكس فقال: «بيننا وبين سموكم اتفاق في هذه القاعة على شرائط معدودة، لا تبرح ذاكرتكم الشفافة، فنحن عليه راسخون». اما مطران السريان الكاثوليك ومطران الروم الكاثوليك فقد ايدا ما جاء على لسان بطريرك الروم الارثوذكس، غير ان مطران طائفة السريان القديم كان اشد تأييدا لفيصل قال: «اقول بلسان السريان في سوريا انها طوع امرك. تبايعك بقلوبها وتعتمد عليك».

اما طلاب الوحدة فقد ايدوا مجددا الامير فيصل، فقال له سعيد باشا سلمان - موفد



البطريرك الياس الحويك

بعلبك - «عموم اهل قضاء بعلبك تحت امرك، مئات والوف رهن اشارتك» بينما قال ابراهيم الخطيب - موفد الشوف - «فوضناك ان تكون سلطانا. جبل لبنان جزء متمم لسورية لا ينفك عنها» اما رضا الصلح - موفد بيروت - فقد قال مخاطبا الامير فيصل «ان الامة العربية تعتمد عليك» بينما نجله رياض الصلح - موفد صيدا - فقد قال: «ان آمال الامة معلقة على سموك وهي تفديك بارواحها ودمائها. وانني اتطوع منذ الآن بصفة جندي بسيط» اما الامير اسعد الايوبي فقد تحدث عن مس!

لبنان بشكل عام وقال: «نفوض سموكم التفويض التام للاستقلال التام» وعن دروز لبنان قال مصطفى العماد: «نوكلك وكالة مطلقة فكل ما تراه حسن فهو حسن».

والامر الملاحظ ان مثل هذه المبايعة للامير فيصل وان كانت تعبر عن تأييد الزعامات السورية واللبنانية له، غير انها كانت مبايعة عاطفية وتتسم بروح المدح والمجاملة اكثر مما تتسم بروح الجد والعمل.

ومما يجب ذكره ايضا ان الامير فيصل كان واعيا للمسألة اللبنانية وعيا تاما انه عندما جاءه وفد لبناني لتهنئته بالعودة من باريس خطب فيهم خطبة اشار فيها الى انه يجب ان يضم الى لبنان القسم اللازم الوافي لحياة اهاليه الزراعية، فيستفيدون من توسيع ارضهم، كما تستفيد هذه البلاد من ذكائهم ونشاطهم. واضاف قائلا: «اقول بكل حرية ان لبنان مستقل داخليا واداريا ويلزم ان يبقى ما يلحق به مستقلا وممتازا... مع المحافظة على الارتباط بالوحدة السورية. ولكن هذا الانضمام لا يكون اجبارا بل اختيارا... اني مستعد ان اعطي الضمانة الخطية بكل ما اقول. وليعلم اللبنانيون وهم اخواننا بل قلوبنا التي بها نحس وعقولنا التي بها نفكر اننا نحن واياهم لا يفصلنا فاصل طبيعي او مادي.. ما كان عندنا ولا يكون ادنى فرق بين لبناني ودمشقي او بين مسلم ومسيحي ودرزي».

وبهذا المفهوم حاول فيصل ان يفهم اللبنانيين لا سيما سكان جبل لبنان الرافضين للوحدة السورية الشاملة، بان ليس من اهدافه اقامة الوحدة بالقوة او رغم ارادة اللبنانيين، مع العلم انه في حال قيام الوحدة فان لبنان سيتمتع باستقلاله الداخلي والاداري، ولكن يظهر ان مثل هذه الدعوات لم تلق آذانا صاغية لدى سكان جبل لبنان.

لجنة كنغ - كراين King-Crane ١٩١٩

بعد اقتراح الامير فيصل وبلس (Bliss) رئيس الجامعة الاميركية في بيروت - على مؤتمر الصلح وعلى الرئيس الاميركي ويلسون ارسال لجنة دولية لتقصي الحقائق في البلاد



الرئيس الاميركي ويلسون

السورية، وافق المؤتمر على هذه الاقتراحات. وكان من المقرر ان يشترك في اللجنة اعضاء ينتمون الى الدول الاربع، وقد وافقت في البدء كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا سرعان ما رفضت فيما بعد الاشتراك في اللجنة، كما كان من المقرر ان تتقصى الحقائق في كل من سوريا وفلسطين والعراق وارمينيا ايضا. وبعد تملص بريطانيا وفرنسا بالذات قرر الرئيس ويلسون تشكيل لجنة اميركية مؤلفة من شخصين هما: هنري كينغ وتشارلز كراين.

هذا وقد زارت اللجنة فلسطين وسوريا ثم زارت بيروت وطرابلس وصيدا وصور وبكركي. وتبين ان اللبنانيين انقسموا الى عدة اتجاهات تمثلت بما يلي:

١ - فريق نادى بالاستقلال تحت الحماية الفرنسية.

٢ - فريق نادى بالاستقلال تحت الحماية الاميركية.

٣ - فريق ثالث نادى بالاستقلال مع الارتباط مع الحكم الفيصلي في دمشق.

ولا بد من الاشارة من ان الاتجاهات السياسية الجديدة التي تمثلت بتأييد فئات للسياسة الاميركية، انما هي من نتاج لجنة

التحقيق الاميركية ومن نتائج سياسة الرئيس ويلسون. وكانت فئات لبنانية قد اسست في القاهرة حزبا جديدا مواليا لاميركا وهو «الحزب السوري المعتدل» وكان يحظى بعطف الوكالة الاميركية، وكان انطوان الجميل قد سبق له ان كتب في ٣ شباط (فبراير) ١٩١٩ الى يوسف السودا اشار الى «ان فكرة اميركا استهوت بعض اخواننا فانسحبوا وانضموا الى الحزب الاميركي».

والواقع ان الاتجاهات السياسية اللبنانية المتعددة سواء نحو فرنسا او اميركا او نحو الوحدة العربية، انما شكلت خطا هاما في صلب السياسة اللبنانية المستقبلية، كما انها شكلت اتجاها لسياسيي عهد الانتداب والاستقلال معا.

هذا ولا بد لي من ان أؤكد خلافا لما ذكره المؤرخ فيليب حتي من انه جاء في تقرير لجنة كنغ – كراين ان اكثرية اللبنانيين اظهروا ميلا للانتداب الفرنسي وطالبوا بلبنان الكبير من صور الى طرابلس وبلبنان مستقل استقلالا تاما عن سوريا، اللهم الا اذا قصد باللبنانيين سكان جبل لبنان فحسب. لانه تبين من خلال دراسة تقرير اللجنة ان اللبنانيين انقسموا: طلاب وحدة وطلاب استقلال مع حماية فرنسية، كما برز اتجاه ثالث نادى بالاستقلال مع حماية اميركية. ونستطيع ان نؤكد ذلك من خلال تقرير اللجنة الذي قسم الاتجاهات اللبنانية تبعا للعرائض المقدمة له وهي:

١ – لبنان كبير فرنسي مستقل.
٢ – لبنان كبير مستقل.
٣ – لبنان اداري ضمن اطار الوحدة السورية.

وقد طلب أصحاب البرنامج الاول فصل لبنان الكبير عن سوريا واستقلاله التام مع سهول البقاع وطرابلس. وطلب اصحاب البرنامج الثاني الاستقلال بدون وصاية فرنسية، اما اصحاب البرنامج الثالث فقد طالبوا بلبنان كبير مستقل ضمن الوحدة السورية. ولم يرد ذكر وصاية في هذا البرنامج على الاطلاق.

والجدير بالذكر ان تقرير لجنة كنغ كراين اكد بأن اصحاب البرنامج الاول المطالب بالوصاية الفرنسية قدم عرائض مطبوعة في مختلف المناطق كانت صورة طبق الاصل وبصيغة واحدة، مما يشير الى ان مسألة العرائض لم تكن موضع ثقة، لا سيما اذا علمنا ان الفرنسيين في لبنان شجعوا اصحاب الاتجاه الاول على تقديم تلك العرائض. بينما اكد تقرير اللجنة بان اصحاب الاتجاه الثالث الوحدوي قد قدموا عرائض مكتوبة بخط اليد من مختلف المناطق، ولم توجد عريضة واحدة مماثلة للاخرى، مما يشير الى ان اصحاب الاتجاه الوحدوي في لبنان كانوا يطالبون بالوحدة مطالبة ذاتية وعن ايمان بها بينما كانت الفئة الاولى والثانية تحث الناس على التوقيع على عرائض مطبوعة سلفا ومعدة للتوقيع فحسب. هذا مع العلم ان امين الريحاني يناقض ايضا رأي فيليب حتي ويقول «ان الاقلية اللبنانية فقط طلبت الانتداب الفرنسي ولم يشمل هذه الاقلية الطوائف المسيحية كلها».

ومن الاهمية بمكان القول ان التقرير اكد ازدياد طلاب الوحدة السورية من المسلمين والمسيحيين على السواء، فقد اشار بهذا الخصوص «زاد طلب الوحدة السورية ظهورا وتأكيدا في العرائض التي رفعت الى اللجنة احتجاجا على استقلال لبنان الكبير وعددها (١٠٦٢)، بعضها مندمج في برنامج دمشق وبعضها من البروتستانت والمصادر المسيحية الاخرى في لبنان. واظهر (٣٣) وفدا من اللبنانيين الممثلين للمسلمين والمسيحيين خوفهم من المستقبل الاقتصادي اذا فصل لبنان عن سوريا وطلبوا ان يكون مستقلا ضمن الوحدة السورية، وفسر بعضهم الاستقلال الاداري باستقلال في حكومة لامركزية».

واخيرا وبعد ان طافت اللجنة البلاد السورية في (٤٢) يوما عادت الى باريس في ٢١ تموز (يوليو) ١٩١٩ ومن ثم الى واشنطن لتقديم تقريرها الى الرئيس ويلسون ووزارة الخارجية الاميركية، غير ان عودة الولايات المتحدة الى سياسة العزلة، وعدم تأييد الاميركيين لسياسة ويلسون وتبدل الاوضاع السياسية جعل تقرير اللجنة عديم الجدوى بل ان (Howard) يشك

تقسيم سورية والعراق

في ان يكون الرئيس ويلسون قد اطلع على التقرير النهائي او قرأه قبل ابتعاده عن الرئاسة في آذار (مارس) ١٩٢١.

ويلاحظ ان القوى الموالية لفرنسا استغلت اثناء وجود لجنة التحقيق الاميركية بعض الناقمين على الامير فيصل. وكان في مقدمة هؤلاء الامير سعيد الجزائري - حفيد الامير عبد القادر الجزائري - الذي وصل بيروت من دمشق وسط الانقسامات اللبنانية حول مستقبل لبنان، وقد صرح للجنة التحقيق الاميركية بأن مطالبه تكمن في:

١ - عدم انفصال فلسطين عن سوريا.

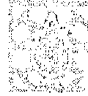
٢ - حماية الجمهورية الفرنسية لفلسطين وسوريا.

٣ - استقلال لبنان الكبير الاداري والسياسي كما يطلب الشعب اللبناني والحكومة اللبنانية والبطريرك اللبناني.

٤ - ان لا يكون الامير فيصل ادنى علاقة بسوريا لانه غريب عنها.

٥ - جعل الحكومة السورية جمهورية يختار شعبها رئيسها.

وفي هذه الفترة كانت القوى المارونية لا تزال رافضة جميع الصيغ المستقبلية باستثناء الوصاية الفرنسية. ومن اجل ذلك سافر البطريرك الماروني الياس الحويك الى باريس على رأس وفد من الاحبار والكهنة في اواخر صيف ١٩١٩، وفي ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه قدم البطريرك مذكرة الى مؤتمر الصلح طالب فيها الاعتراف باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي. وعلق امين الريحاني على هذه الاتجاهات المارونية بقوله: «فبينما كان الامير فيصل يدعو الناس الى وحدة سورية قومية لا تفرق بين الدمشقي واللبناني، او بين المسلم والمسيحي والدرزي قام اللبنانيون والاكليروس يستحثهم ويغريهم يطالبون بوحدة لبنانية، فقلدوا بطريركهم الكبير زمام امرهم، فجعلوا المسألة دينية مذهبية» وقد تحقق بالفعل ما طالب به الوفد وذلك في مؤتمر «سان ريمو» (San Remo) الذي عقد في ٥ ايار (مايو) ١٩٢٠. ■



مصادر البحث

١ - امين الريحاني: ملوك العرب، جـ ٢، بيروت ١٩٥١.
٢ - بشارة الخوري: حقائق لبنانية، جـ ١، درعون - حريصا ١٩٦٠.
٣ - جورج انطونيوس: يقظة العرب، تعريب: ناصر الدين الاسد، احسان عباس، بيروت ١٩٦٦.
٤ - حسن الحكيم: مذكراتي ١٩٢٠ - ١٥٨، القسم الاول، بيروت ١٩٦٥.
٥ - مذكرات خالد العظم، جـ ١، بيروت ١٩٧٣.
٦ - زين زين: الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، بيروت ١٩٧١.
٧ - ساطع الحصري: يوم ميسلون، بيروت ١٩٤٨.
٨ - فيليب حتى: لبنان في التاريخ، تعريب: انيس فريحة، مراجعة: نقولا زيادة، بيروت - نيويورك ١٩٥٩.
٩ - محمد جميل بيهم: سورية ولبنان ١٩١٨ -١٩٢٢، بيروت ١٩٦٨.
١٠ - محمد جميل بيهم: لبنان بين مشرق ومغرب، بيروت ١٩٦٩.
١١ - يوسف السودا: في سبيل الاستقلال، جـ ١ - ١٩٠٦ - ١٩٢٢، بيروت ١٩٦٧.
١٢ - يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، جـ ٢، بيروت (بدون تاريخ).

1 — S. N. Fisher; The Middle East A History, London 1960.
2 — H. Howard; The King-Crane Commission, Beirut 1963.
3 — A. Ismail; Le Liban, Histoire D'Un Peuple, Beyrouth 1965.
4 — E. Rabbath La Formation Historique Du Liban Politique Et Constitutionnel, Beyrouth 1973.
5 — A. Williams; Britain And France In The Middle East And North Africa, Newyork-London 1968.

جمال الدّين الأفغاني في القاهرة

■ جمال الدين الافغاني شخصية من ألمع الشخصيات الاسلامية فهو علم من أعلام النهضة الفكرية الحديثة، وزعيم روحي، ومصلح اجتماعي عصري، وداعية سياسي ثوري.



د. عثمان أمين



اجتمعـت له مـواهب عقليـة نـادرة وصفات تجذب النفوس. فهو باعتراف الجميـع كاتب مبـدع وخطيب بليـغ ومجادل مقنع ومتحدث بارع. وهو ايضا كما وصفه تلميذه الامام محمد عبده: سليم القلب حديدي المزاج شديد العزم شجاع مقدام كثير البذل قوي الاعتماد على الله لا يبالي بصروف الزمان، قليل الحرص علـى الدنيـا، بعيد عن الغـرور بمتاعهـا وزخرفهـا، راغب عن المـادة متعفف عن لذات الحس، مؤثر لمتع الروح، كلف بمباهج المعرفة. لم يتزوج وأبى ان يعلق قلبه بالمال أو البنين او الرتب والمناصب، وانما أراد ان يقضي حياته حرا طليقا كالهواء او كالطير على الغصون او كالليث لا يعدم فريسة اينما ذهب «كما وصف هو نفسه».

ولد السيد جمال الدين الافغاني في قرية «أسعد أباد» من قرى كنر، من أعمال كابول في أفغانستان، وأبوه «صفتر» من سادة الافغانيين ينتسب الى السيد الامام الحسن بن علي بن ابي طالب، وقد كانت اسرة جمال الدين ذات بأس وقوة ومكانة في أفغانستان.

وقد تنافس كتاب الشرقيين في نسبة جمال الدين الى بلادهم فذهب بعض الايرانيين الى انه ايراني، ولد في «أسعد أباد» بايران، وحـاول بعض الاتراك ان يثبتوا انه من أصل تركي وانه ولد في أذربيجان، كما ذهب بعض الهنود الى انه نشأ في قرية «شيرون» في بلاد الهند، فترجمت الى «أسعد أباد» لاسباب دبلوماسية.

ويحلو لنا بصدد اختلاف الاقوال في نسبة جمال الدين الى الافغـان ان نقول مـا قالـه «دالامبير» بصدد نزاع من هذا القبيـل: «ان الرجال الممتازين لا ينتسبون في الحقيقـة الى المدينة ولا الى القرية ولا الى الامة التي تفاخر بهم: إنهم قليل عددهم، وقد ألقت بهم المقادير على سطح الارض. فليسوا زينة ولا قنية لأحد، بل هم أفذاذ من النوع الانساني الذي لا سبيل الى تعريفه».

والحق انه لم يكن لجمال الـدين وطن يستقر به، وانما عاش منـذ طفولتـه سائحـا جوابا، فكان وطنه الشرق كله: أقام بالأفغان وفـارس والهند والعـراق، وزار مصر وتـركيا، وسافر الى كثير من عواصم اوروبا، وقيل ايضا انـه زار اميركا وكتب في الصحـف الشرقيـة والعربية وخطب في المحافل والمجـامع العـربية والاوروبية، وخالط رجال العلم والدين والادب والسياسة، في الشرق والغرب.

ولقد ترك الزعيم الافغاني في نفس المفكر الفرنسي «رنان» انطباعا قويا اشار اليه «رنان» في ايار (مايو) سنة ١٨٨٣ بقوله: «كنت اتحدث اليه (اي الى الافغاني) فكان يخيل الى من حرية فكره ونبالة طبعه واخلاص قلبه أنني ارى وجها لوجه احد معارفي القـدماء، واني اشهـد ابن سينا او ابن رشد او احدا من اولئك الأحرار العظام الذين مثلوا خلال خمسة قرون تقاليد الفكر الانساني». ذلك جمال الدين الافغاني في رأي «رنان».

ولا يتسـع المقام لاستيفـاء تاريـخ ذلك النـابغة الافغـاني الذي اختلفت فيـه الاقوال وحارت في فهمه العقول. حتى قال فيه الكاتب الفـرنسي «روشفور»: «السيـد جمـال الـدين الافغاني من سلالة النبي، ويكاد هو نفسه ان يكون نبيا». فبينما يراه رنان فيلسوفـا كبيرا ومفكرا دينيا متحـررا يراه روشفـور من كبار دعاة الاديان وقريبا من طبقة الانبياء.

كان هذا الرجل ذو العبقرية الفذة رائد الحرية الـدينية والسيـاسية في نظـر الشعوب الشرقية كما قال «ولفرد بلنت»: فقد جذبت اليه قوة شخصيته وسحرها في القاهرة وفي استانبول قبلها جماعـة من الشبان المتحمسـين كان في وسعه ان يذيع بينهم في غير ما تحفظ ذخيرة معارفه المتنوعة ويوليهم قبسا من روحه النافذة، ويبث فيهم شيئا من شجاعته النادرة. والواقع انه كان لا بد للانسان في ذلك العصر من ان يكون ذا حظ عظيم من الشجاعة حتى يعبر عن

جمال الدين الافغاني.



الخديوي اسماعيل.



آرائه في حرية: فلم يكن الخديو اسماعيل يطيق اي معارضة، وكانت السلطات الدينية العليا التي لاذت بالصمت ازاء المظالم عهدا طويلا قد استكانت الى تلك الحال وأيدتها بالسمع والطاعة.

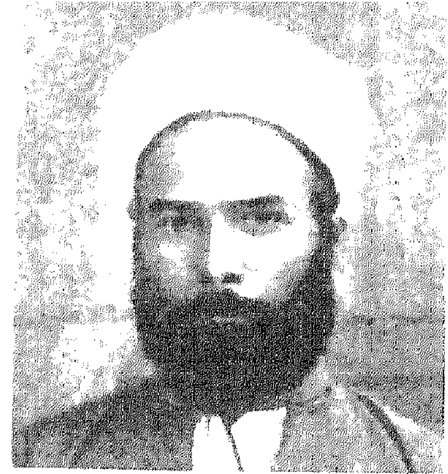
في تلك الظلمة الحالكة التي أطبقت على الحياة الاخلاقية والعقلية في القاهرة في ذلك الحين، انبثقت تعاليم جمال الدين الجريئة كبريق يأخذ بالابصار.

الافغاني وتلاميذه في القاهرة

التف حول جمال الدين صفوة القوم في القاهرة، ونشط الافغاني لبث تعاليمه الحرة التي لم يكن للناس عهد بها من قبل، واخذ يقرأ لتلاميذه طائفة من الكتب العربية القديمة والكتب الاوروبية المعربة في الفلسفة والتاريخ والسياسة والاجتماع، فكان ذلك فتحا جديدا في موضوعات التعليم - ومن المحقق ان جمال الدين كان يفيض قوة ذاتية وسحرا فطريا. فاستطاع ان ينفخ من روحه في تلاميذه كما قال جرجي زيدان: «ففتحوا أعينهم واذا هم في ظلمة وقد جاءهم النور فاقتبسوا منه، فضلا عن العلم والفلسفة، روحانية» أرتهم حالهم كما هي، إذ تمزقت عن عقولهم حجب الاوهام فنشطوا للعمل في الكتابة، وانشأوا الفصول الأدبية والحكمية والدينية.

قدم السيد الافغاني الى القاهرة للمرة الاولى سنة ١٨٦٩ وكانت شهرته قد سبقته الى هذه البلاد. ولما سمع الشيخ محمد عبده بمقدم ذلك النابغة الكبير ذهب لزيارته في صحبة الشيخ حسن الطويل الذي كان استاذا للمنطق في الازهر وتحدث السيد جمال الدين الافغاني الى زائريه احاديث طليّة طريفة في تفسير القرآن وفي التصوف الاسلامي، فكانت شخصيته تخلب الباب سامعيه. ولما عاد جمال الدين الى القاهرة للمرة الثانية سنة ١٨٧١ بادر محمد عبده الى لقائه، وتتلمذ له، وأصبح يلازمه كظله، ووجد الشاب المصري عند السيد الافغاني روحا جديدة غير مألوفة لدى شيخ الازهر آنذاك: وجد عنده مذهبا فلسفيا واحدا، ونظرة الى الحياة عميقة، وصورة عن الكون منظمة، وبالاجمال وجد عنده تلك الفلسفة المنسقة الشاملة التي تتناول مجالي النظر والعمل وتشمل الله والعالم والانسان. وكان طبيعيا - وقد اتصل الشاب الازهري بتلك الشخصية الجذابة القوية - ان يفتن بها وان ينساق الى الطريق التي رسمها له: فلا بدع اذن ان نرى محمد عبده الذي كان يناصر في كتاب «العقيدة المحمدية» آراء السنيين والاشاعرة - وهم يمثلون حزب المحافظين في الاسلام - لا يتردد الآن في التحول عن تلك

الطريق، واذا به في كتاب «الحاشية على شرح العقائد العضدية» ينقلب مناصرا المعتزلة والعقليين وجميع النظار من الاحرار والمتسامحين. ولا بدع ايضا ان ينصرف الشاب الصوفي عن ممارسة الزهد وعن اعتزال الناس، وان يأخذ في تذوق الحياة العاملة مقتديا بأستاذه جمال الدين، وان يقبل على دراسة العلوم المختلفة التي خلت منها مناهج التدريس في الازهر كالفلسفة وعلم الكلام والرياضيات والاخلاق والسياسة. وقضى محمد عبده في صحبة جمال الدين شهورا يحيا حياة الفكر والروح وهو مبتهج متحمس نشوان متعطش الى ارتشاف المعرفة من ينابيعها الصافية، متشوق الى شهود العهد الميمون الذي تتحقق فيه مثل الحق والخير والجمال. ولم يفته ان يسجل، في



الشيخ محمد عبده

نغمة صوفية حارة، اعجابه باستاذه وحماسته له: فمن ذلك ما كتبه في نسخة نقلها بخطة من كتاب قديم حيث قال في خاتمتها: «وكان الفراغ من قراءته وتقريره عند لسان الحق وقائد الخلق الى جانب الحق خلاصة من تحلى بالحكمة ومنقذ الضالين في تيه الجهالة والغمة محي الحق والدين، أستاذنا السيد جمال الدين». ثم هو لا يتردد في اعلان حماسته تلك لاستاذه في باكورة مصنفاته: نجده يتحدث عن الافغاني سنة ١٨٧٤ في بداية «رسالة الواردات» فيصفه

بصمات الحكيم والحق القائم: الافغاني المصلح الديني والسياسي

كان جمال الدين رائدا لحركة تحرير ديني وسياسي. وكان يرى ان اساس حركة الاصلاح الديني هو الاهتمام بقلع ما رسخ في عقول العوام والخواص من فهم العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الحقيقي، مثل حملهم القضاء والقدر على معنى ما يوجب الا يتحركوا لطلب مجد ولا للتخلص من ذل، ومثل فهمهم لبعض الاحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمان فهما حملهم على عدم السعي وراء الاصلاح والنجاح. فلا بد من بث العقائد الدينية الحقة بين افراد الجمهور وشرحها لهم على وجهها الصحيح، لكي تقودهم الى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة.

ولذلك دعا جمال الدين المستنيرين من المسلمين الى النظر في حالهم لتحقيق نهضة دينية تجديدية تلائم مقتضيات العصر الحديث وتبين لهم ان الاسلام اذا فهم على وجه الصحيح يستطيع ان ينمو نموا طبيعيا وان يتقدم تقدما يجمع بين المصالح المتجددة للحياة العملية وبين المطالب العالية للنفس الانسانية.

وما من قطر من اقطار الشرق اثر فيه جمال الدين مثل تأثيره في مصر: فهو من اول العاملين على تطور الروح الوطني في هذه البلاد. وقد نسب اليه - بحق - الدور التاريخي لـ «ابن القومية». وقد استطاع الرجل بخطبه الملتهبة ان يبث في النفوس نزوعا الى الحرية، ورغبة في العدالة. خطب مرة قبل خلع الخديو اسماعيل فقال: «انت ايها الفلاح المسكين تشق قلب الارض لتستنبت ما تسد به الرمق وتقوم بأود العيال. فلماذا لا تشق قلب ظالمك؟ لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة اتعابك؟». بهذه الجرأة كان جمال الدين يخطب ويتكلم، وكان لكلامه اثر عميق في ايقاظ الناس وتنبيه المحكومين الى حقوقهم قبل الحاكمين: فاتجه الناس الى نقد تصرفات أصحاب السلطان،

وأخذت تتضاءل عقيدة سيادة الحاكم وحقه المطلق في التصرف في شؤون الرعية، وكذلك بذل جمال الدين جهدا كبيرا في تنبيه المصريين الى مضار الاستكانة لتدخل الاجانب في شؤونهم، وطفق يخاطبهم مستثيراً فيهم معاني العزة القومية. ومما قاله مرة في خطاب له: «لو كان في عروقكم دم ينبض وفي رؤوسكم اعصاب تتأثر فتثير الشعور والحمية، لما رضيتم بهذا الذل ولما قعدتم على الرمضاء وانتم تضحكون. تناوبتكم أيدي الغزاة من كل جنس، وانتم كقطع الصخر الملقاة في الفلاة لا صوت لهم ولا حس»!

وعلى اثر ذلك اخذت الحركة الفكرية الوطنية في الظهور، واخذ الوطنيون يطالبون الخديو بانشاء مجلس نيابي، وبدا الخديو وكأنه مرحب بهذه المطالب، فانبرى جمال الدين محذرا الوطنيين من الاستنامة للوعود المعسولة وقال: «ايها الأخوان: ان القوة الوطنية لاي امة لا يمكن ان تحوز معناها الحقيقي إلا إذا كانت نابعة من نفس الامة. واي مجلس نيابي يأمر بتشكيله ملك او امير او قوة اجنبية محركة لهما فثقوا ان حياة تلك القوة النيابية الموهومة موقوفة على ارادة من أحدثها. فأي مجلس نيابي يقوم على ارادة خارجة عن ارادة الامة - مثل هذا المجلس لا قيمة له ولن يعيش طويلا ولا ترجى منه للأمة فائدة».

وما لبث الوطنيون ان تأثروا بأفكار جمال الدين وما فيها من التغير من السياسة البريطانية في مصر وقد ترجمت أقوال السيد وأرسلت الى جرائد انجلترا. وبلغ من اهتمامهم بها هناك ان تولي غلادستون رئيس الوزارة البريطانية أمر مناقشتها. وداخل الخوف مستر فافياني قنصل انجلترا اذ ذاك، فجمع عن طريق من بثه من الرقباء والجواسيس ما أرهب به الخديوي الذي كانت في نفسه اشياء من جمال الدين، اذ لم ينس ما سمعه منه شخصيا في المقابلة التي أشرنا اليها فأصدر امره بإخراج السيد جمال الدين من مصر،، فغادرها سنة ١٨٧٩.

معارضة جمال الدين والطعن فيه

كان طبيعيا ان يثير موقف جمال الدين معارضة له وسخطا عليه من كل صوب: من رجال الدين المحافظين الذين اخذوا يتقولون عليه ويرتابون في تعاليمه بدعوى انها خطر على العقيدة، وكذلك من الحكام المستبدين ومن الاجانب الطامعين. وكانت احوال مصر السياسية والمالية قد ساءت مما ادى الى التدخل الاوروبي في شؤونها بحجة «المراقبة الثنائية» من انجلترا وفرنسا، ثم الى عزل الخديوي اسماعيل نتيجة بذخه وطغيانه. وكان توفيق قبل ارتقائه الى العرش قد عاهد جمال الدين الافغاني وأصحابه الاحرار على تأييدهم في مطالبهم الاصلاحية. ولكن سرعان ما تنكر لهم حين آل الحكم اليه وانتهى به الامر الى ابعاد السيد جمال الدين عن مصر، كما سبق ان بيّنا - إرضاء لناصحيه من الانجليز والفرنسيين الذين كانوا يخشون اقامة حكم نيابي في البلاد.

كثرت الاقاويل والمفتريات التي روجها المغرضون بقصد ان يحجبوا انظار الجمهور عن الشخصية الحقيقية للسيد جمال الدين، شخصية المفكر المصلح الذي لم يكن يبغي من دعوته إلا استنهاض العالم الاسلامي الذي قضى عليه بالعجز والعقم نتيجة تخبط المحترفين من رجال الدين والحكام السياسيين.

ومن قبيل المفتريات البذيئة التي وجهت للطعن في شخصية جمال الدين وريقات نشرت في القاهرة بعنوان «تحذير الامم من كلب العجم» كلها تجريح وقبح وتهجم رخيص، لا لشيء الا لانه اعتنق قضية الفكر الحر والثورة على الفساد ايا كان وحيثما كان: حتى قيل فيه انه كان يتناول السعوط بيمناه ويوزع الثورة بيسراه!

أشرنا فيما سبق الى أثر جمال الدين في الاصلاح السياسي، وليس هنالك شك في ان لجمال الدين يدا في الحركة العرابية. ومن المحقق ان المبدا الوطني الذي سيطر على تلك

الحركة من غرسه كما قال شكيب ارسلان: «وان كان هب على ذلك الزرع من سموم الجهل ونقصان التربية السياسية ولفحة الدسائس السياسية ما ضيع نضرته، شأن تلك الدسائس على كل نهضة تحدث في الشرق، او حركة اصلاح تشفق من ورائها الدول ان تتمزق حجب الغباوة التي هي أصدق اعوان الاستعمار».

الجامعة الشرقية

على ان جمال الدين قد عرف بالدعوة الى «الجامعة الاسلامية» التي ترمي الى اتحاد جميع الشعوب التي تعيش في كنف الاسلام لكي يتيسر لها التخلص من سيطرة الاجنبي. وقد كان السيد يقول بهذا الصدد: ان الدول الغربية تنتحل الاعذار في هجومها وعدوانها على البلاد الاسلامية، واذلالها واكراهها بقولها: «ان الممالك الاسلامية هذه انما هي من الانحطاط والهوان بحيث لا تستطيع ان تكون قوامة على شؤون نفسها بنفسها في حين ان تلك الدول عينها لا تكف عن التذرع بألوف الذرائع، حتى بالحرب والحديد والنار، للقضاء على كل حركة من حركات النهضة والاصلاح في البلاد الاسلامية. ومن ثم يجب على العالم الاسلامي ان يتحد في حلف دفاعي كبير ليستطيع بذلك ان يصون نفسه من الفناء.

غير ان جمال الدين لم يكن يعني بالجامعة الاسلامية احلال الدين محل القومية، وانما كان يرغب في ان تتحد جميع الاقطار الاسلامية مع استقلال كل منها عن الآخر رامية الى هدف واحد هو التحرير السياسي. ومن أجل النهوض بالوطن الافغاني او المصري او التركي او الفارسي كان يعمل على نهضة الاسلام الذي يتغلغل في الحياة السياسية والاجتماعية للاقطار الاسلامية المختلفة. على ان عبء النهوض بمهمة الاصلاح الديني سيقع في صميمه على عاتق تلميذه الغيور محمد عبده الذي سيكون رائد الاصلاح في مصر.

ولكننا نعتقد ان الجامعة الاسلامية التي اشتهر جمال الدين بالدعوة اليها لم تكن الا تمهيدا لتحقيق جامعة اوسع هي ما يمكن ان نسميه «بالجامعة الشرقية» فهو قد رأى في الشرق تخلفا ناشئا عن ضعف الارادة وانحلال القومية وتفرق الكلمة والاستسلام والتخاذل، ورأى في الغرب تقدما ماديا عقليا وروح تعصب على الشرق وعدوانا على بلاده وسعيا الى اذلال شعوبه، بحجة ضعف الشرق عن ان يكون قواما على شؤون نفسه. فسعى سعيا حثيثا لجمع شتات اهل الشرق وتوحيد كلمتهم وايقاظ هممهم للذود عن كيانهم والخلاص من الخطر المحدق بهم. ورأى ان السبيل الى ذلك ان يسعى كل ملك او امير في الشرق الى ترقية شعبه وتحصينه بالحكم الدستوري ووقفه على اسرار التقدم الغربي وتقويته للتحالف على الاتحاد مع الامم الشرقية الاخرى، لتلتقي جهود الجميع عند الغرض المشترك وهو التحرر السياسي.

وقد كان الشرق هو الهم الاكبر لجمال الدين يهتف باسمه ولا ينقطع عن ذكره ليله ونهاره.

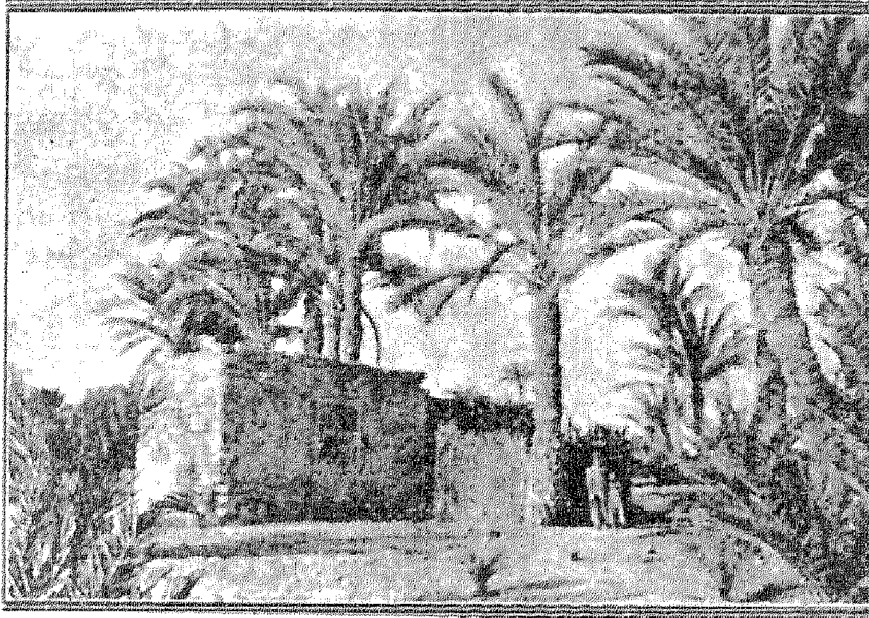
روى المخزومي باشا ان الافغاني كثيرا ما كان يقول: «الشرق! الشرق! لقد أعملت فكري لتشخيص دائه وتحري دوائه، فوجدت أقتل أدوائه وما يعترض سبيل توحيد الكلمة فيه، داء انقسام اهلية وتشتيت آرائهم واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف. فقد اتفقوا على الا يتفقوا ولا تقوم على هذا لقوم قائمة!».

والحق ان قدوم السيد جمال الدين الى مصر كان مبدأ النهضة الفكرية والسياسية التي ظهرت آثارها منذ قرن من الزمان وامتدت الى وقتنا هذا، رامية الى اكتناه اسرار القوة الغربية واعادة الشرق الى سيرته الاولى من العلم والمدنية.

وما أحسب الجامعة الشرقية التي دعا اليها جمال الدين الا جامعة المستقبل، وما أحسب الا اننا سائرون في طريقها لانها مناط امل الشرق في دفع مطامع الغرب.■

ملف الوطن العربي

سيناء



الصور من كتاب تاريخ سيناء – القديم والحديث وجغرافيتها نعوم بك شقير.

قسطنطين خمار



كثر الحديث عن شبه جزيرة سيناء في العقود الثلاثة الاخيرة من جراء كونها احد ميادين القتال الرئيسية بين الامة العربية والصهيونية المتمثلة باسرائيل فلقد كانت من المواقع الحربية الهامة في حروب ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ و١٩٧٣ وشبه الجزيرة هذه كانت على مدى العصور الحصن الطبيعي لمصر بسبب موقعها شرقي دلتا النيل مباشرة إذ هي الممر الوحيد لجميع جيوش التاريخ التي غزت مصر من الشرق كما وللجيوش المصرية المنطلقة من مصر لفتح بلاد الشام وما يليها ولذا تعتبر قنطرة النيل الى الاردن والفرات صلة الوصل بين الجنوب الغربي لقارة آسيا والشمال الشرقي للقارة الافريقية.

وهي على شكل مثلث قاعدته على البحر الابيض المتوسط ممتدة من رفح شرقاً الى بور سعيد غرباً، أما رأسه فجنوبا عند البحر الاحمر ويعرف برأس محمد وهذا عبارة عن تل علوه نحو (١٢٠) مترا، وعلى بعد (٢٠) ميلا الى شماله رأس آخر يعرف برأس النصراني وبين الاثنين ميناء شرم الشيخ، وتجاهه جزيرتا تيران وسنافر، ويضم الجزء الاوسط والجنوبي من شبه الجزيرة ذراعان أيمنهما خليج العقبة وأيسرهما خليج السويس. يحدها شمالا البحر الابيض المتوسط وجنوبا البحر الاحمر، وشرقا فلسطين والمملكة الاردنية الهاشمية والمملكة العربية السعودية والواقع ان ليس هناك حدود طبيعية بين سيناء وفلسطين إذ ليس ثمة اختلاف طبيعي بينها وبين المناطق الصحراوية

المجاورة لها في النقب بل هي جزء متمم لها. أما حدودها الغربية فهي قناة السويس التي افتتحت عام ١٨٦٩ ثم خليج السويس وكانت حصون الفراعنة الاقدمين تمتد على برزخ السويس، فلا عجب ان عين المؤرخون القدامى أمثال هيرودتس وبلني حدود بلاد العرب بحيث تشمل الجزء الاكبر من سيناء والذي أطلقوا عليه اسم «بلاد العرب الحجرية» كما أن الكثير من المؤرخين والجغرافيين العرب أمثال الهمذاني وياقوت يدخلون سيناء كلها في بلاد العرب.

أقصى اطوالها (٣٠٠) ميلاً وأقصى عرض لها يقدر بنصف ذلك اما محيطها فيقدر بنحو ٦٣٠ ميلاً.

اسماؤها:

قيل انها دعيت سيناء بمعنى الحجر لكثرة جبالها او نسبة الى (سين) إله القمر البابلي وكانت عبادته قد انتشرت حتى جنوب الجزيرة العربية وليس ثمة ما يمنع انتشارها الى سيناء ايضا. وقد تكون نسبت الى القمر لبهاء لياليها المقمرة وصفائها ورقة نسيمها. اما المصريون القدماء فدعوها (توشويت) اي ارض الجدب والعراء كما عرفت عند الاشوريين باسم (مجان) وقد يكون هذا الاسم حرف فيما بعد الى (مدين). وورد ذكرها في التوراة باسم (حوريب) اي الخراب. وعرفت عند اليونان باسم (العربية الصخرية). ولم يبق خالداً من جميع هذه الاسماء الا (سيناء) وكثيراً ما ورد ذكرها في القرآن والتوراة، فكانت بذلك في عرف اديان التوحيد الثلاثة اراض ذات قدسية خاصة.

سكانها

اقدم سكانها من اصول سامية وقد خلفوا من آثارهم نواويس وبقايا اكواخ من الحجر والطين مبنية على شكل حلزوني... ومنذ اقدم العصور كثرت غارات بدوها من مواطنهم الجرداء الى المقاطعات الشرقية من وادي النيل الخصيب وكان اعظمها غزوة الهكسوس في القرن الثامن عشر ق. م. وبسبب تكرار هذه الغزوات وضخامتها كان القسم الشرقي من مصر المجاور لسيناء يدعى (الاقليم العربي) أو (المقاطعة العربية). وقد دعا المصريون القدماء سكان سيناء (هيروشاتيو) اي (اسياد الرمال) كما اسمتهم التوراة (العمالقة). وكانت هذه الغارات تكثر او تقل، وتعنف او تضعف تبعا لقوة مصر وضعفها. وكثيرا ما كانت تؤم شبه الجزيرة هذه موجات سلمية للسكن والرعي كهجرة الكنعانيين في عهد الهكسوس.

وفي العهود المسيحية الاولى اخذ الرهبان والنساك يؤمونها ويستوطنون بها اما هربا من اضطهاد او لملاءمة طبيعتها للوحدة والعزلة ومن ثم التعبد حتى زاد عددهم على الستة آلاف واكثر سكناهم كان في الجزء الجنوبي الجبلي. ولدى بدء امتداد الفتوحات الاسلامية نزل قسم كبير من نصارى العرب وغالبيتهم من غسان المنطقة الشمالية من سيناء وسكنوا الحصون في رفح والعريش والورادة والبقارة، وكانوا على ما ذكر بعض مؤرخي الفتوحات الاسلامية يؤدون الجزية للمقوقس صاحب مصر حتى ان النجدة التي ارسلها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لمساعدة عمرو بن العاص قابلت جمعا من هؤلاء بلغ نحو ثلاثة آلاف نسمة من قبائل غسان ولخم. ثم بعد انتشار الفتوحات الاسلامية اخذت بعض القبائل العربية تستقر في سيناء وتتخذها وطنا ثابتا.

على ان بدو سيناء وهم على ما هم من الاملاق والحرمان في اراضيهم القاحلة كثيرا ما كانوا يغيرون على القوافل التي تمر في ديارهم ويمعنون فيها قتلا وسلبا ونهبا، ولذا كانت الدول المسيطرة في مختلف عصور التاريخ كثيرة الاهتمام بتامين القوافل فالرومان اقاموا المحطات الحربية على طول الطرق كما اوجدوا الحاميات في المراحل المختلفة من هذه الطرق. اما في عهد المماليك فاضطر التجار الى طلب الحماية من القبائل التي كانت تفرض على القبائل ما تشاء من رسوم، وذلك مقابل اتاوة سنوية يؤدونها لشيوخ هذه القبائل وذلك لقاء حراسة هذه القوافل ولقاء نقل المسافرين من الحجاج وبقي الامر كذلك الى اوائل القرن التاسع عشر الميلادي اذ اخذ والي مصر محمد علي

باشا هذه القبائل بالشدة واخضعها وعاقب لصوصها وبذلك امن الطرق وجدد اجور نقل التجار والحجاج فآثرت بعض هذه القبائل الهجرة الى مصر والشام الا انها استمرت في العودة الى مواطنها الاصلية في مواسم الحصاد وجمع التمور.

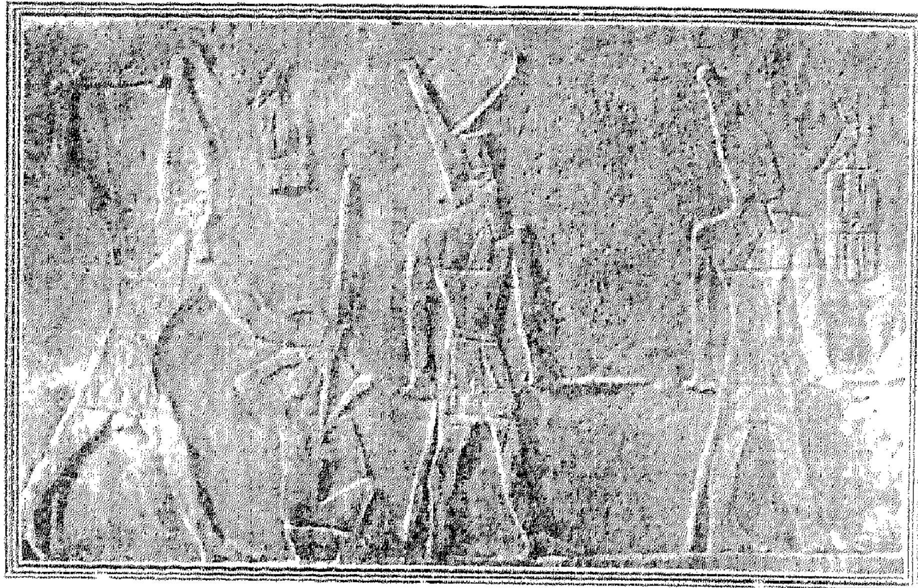
سيناء في التاريخ:

شهدت سيناء منذ اقدم العصور مرور اضخم الجيوش القادمة من الشرق بغية الاستيلاء على مصر اذ هي طريقها الاوحد زمن ضعف حكامها، كما شهدت عكس ذلك، مرور الجيوش المصرية عبرها ايام قوتهم مبتغية توسيع رقعة ملكهم في آسيا. ولطالما كان بدو سيناء يقومون بغزو ارض مصر الخصيبة فينهبون ثم يعودون من حيث أتوا. وأول من اشتهر من الفراعنة بغزوهم في عقر دارهم كان (سنفرو) من ملوك السلالة الثالثة (٢٧٥٠ ق.م) كما قام هو وخلفاؤه من بعده بتشييد سلسلة من القلاع على حدود سيناء الغربية لصد غاراتهم.

اما أول من غزا سيناء من ملوك بابل فكان (نارام سين) وذلك حوالي عام ٢١٧٠ ق.م حاملا منها الى بلاده حجر الديورايت الاخضر (المعروف بحجر الحية) وأمر بان يصنع منه عدة تماثيل نقش على قاعدة احدها اخبار غزوته هذه. وفي مطلع القرن الثامن عشر ق. م غزاها الهكسوس ومعنى اسمهم (حكام البلاد الاجنبية) وفي قول آخر (ملوك الرعاة) واستولوا على السلطة في مصر نفسها (١٧٣٠ - ١٥٨٠ق. م) كما غزاها الفرعون (أحموس) من السلالة الثامنة عشرة (المتوفي عام ١٥٤٦ ق. م) لدى طرده الهكسوس نهائيا من مصر لاحقا بفلولهم عبر سيناء الى ستوريا التي منها أتوا ثم تحوتمس الاول من بعد حوالي (١٥٢٠ ق. م) الذي وصل الى الفرات الاعلى ثم المحارب المشهور في مصر القديمة تحوتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦ق. م) الذي قام بست عشرة حملة حربية مجتازا سيناء الى سوريا. وتلت ذلك فترة من الهدوء طوال القرن الرابع عشر ق. م لم تتوغل جيوش الفراعنة في سيناء لاجتياح سوريا حتى جاء رعمسيس الثاني (١٣٠١ - ١٢٣٤ق. م) من السلالة التاسعة عشرة الذي اجتازها الى سوريا لتأديب الحثيين.

أما من حيث توغل قدماء المصريين في شبه الجزيرة نفسها فقد كان جل همهم منصبا على التنقيب عن الفيروز وبصورة خاصة في القسم الجنوبي الغربي منها وقد استمروا في تعدينه من عهد السلالة الاولى حتى السلالة العشرين في جبال المغارة وفي صميم بلاد الطور، ومن آثارهم هناك شعار الملك سنفرو (من السلالة الثالثة) وهو تمثال صقر، كما بنوا في جبل (سرابيت الخادم) هيكلا للالهة (هاتور) - وكانت تلقب بملكة الفيروز واقاموا كثيرا من الانصاب التي نقشوا عليها اخبار ملوكهم وحملاتهم وأحدثها نصبان للفرعون رعمسيس الثاني ومعبد الملوك وهو من آثار الملكة حتشبسوت وعلى جدرانه نقوش ورسوم تمثل الملكة وهي تقدم القرابين الى الالهة وقد دعي هذا الجبل (سرابيت الخادم) نسبة الى هذه الانصاب لان السربوت هو الصخرة الكبيرة والخادم هي الجارية السوداء. كما عثر على اكثر من ثلاثين صخرة نقشت عليها كتابات هيروغليفية في وادي المغارة جاء في احدها ان (٧٣٤) رجلا اتوا الوادي من مصر كحملة واحدة لتعدين الفيروز مستخدمين الحمير لنقل المؤن والماء وفي حملات اخرى مستخدمين خمسمائة حمارا. الا ان بدو المنطقة عبثوا بمعظم هذه الصخرات وشوهوها ظنا منهم انه يمكن استخراج الفيروز بين ثناياها وأقدم هذه الصخور صخرة (سميرخت) واكثر الاشكال المنقوشة عليها تمثل الفرعون ممسكا بناصية بدوي جاث امامه وهو يهم بضربه بهراوة.

وقد جاءت بعد ذلك فترات من الوهن والضعف في الدولة المصرية وانحسرت موجة الفتوحات فلم تعبر سيناء اية جيوش حتى اجتاز الفرس سيناء بقيادة ملكهم (قمبيز) الذي تمكن من الاستيلاء على مصر لفترة من الزمن حتى زمن الاسكندر الكبير الذي بعد ان استولى على بلاد الشام وفتح غزة عام ٣٣٢ ق. م عبر سيناء واستولى على مصر



صخرة سمرخت سابع ملوك الدولة الاولى. اقدم اثر في سيناء

مؤسسا الميناء الشهير الذي عرف باسمه (الاسكندرية) في اقصى الشمال الغربي لدلتا النيل. وفي عهد خلفائه البطالمة عادت مصر الى التوسع الخارجي عبر سيناء لاسترداد قسم من الاراضي الفلسطينية، وبعدهم دخلت سيناء تحت حكم الرومان شأنها شأن بقية البلاد الشامية والمصرية حتى عهد الفتوحات الاسلامية فاجتازتها الجيوش العربية بقيادة عمرو بن العاص الذي أتم فتح مصر عام ٦٤١ م. وهكذا نرى ايضا حركة مستمرة كرا وفرّا عبر سيناء من مصر واليها زمن الغزو الصليبي في القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين ثم اجتياز العثمانيين لها لفتح مصر بقيادة السلطان سليم عام ١٥١٧م، حتى حملة نابليون على فلسطين عبرها بعد ان استتب الامر له في مصر عام ١٧٩٨م وبعده حملة ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا على سوريا الذي اجتازها عام ١٨٣٢م متوجها لاخضاع الولايات التابعة للسلطنة العثمانية ثم اندحاره وعودته الى مصر عبر الطريق نفسه عام ١٨٤٠م. اما بعد الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م. فأضحت سيناء حلقة الاتصال بين مصر والولايات العثمانية في آسيا. وفي الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) فقد ظهرت الحملة التركية في سيناء قاطعة شبه الجزيرة مرتين عام ١٩١٥ بغية مهاجمة قناة السويس وبعدها كرت الجيوش البريطانية قاطعة سيناء الى جنوبي فلسطين وجاعلة منها خط الدفاع عن قناة السويس لابعاد اي غزو عنها.

كل ما ذكر آنفا يظهر الاهمية الحربية لسيناء ومكانتها كمعبر للجيوش من آسيا وافريقيا، فعلى الرغم من كونها بيداء فهي بسبب هذا الموقع الجغرافي الفذ كحلقة اتصال بين القارتين الكبيرتين آسيا وافريقيا كانت وستبقى ذات اهمية بالغة كميدان حربي شهد جيوشاً غازية واخرى متقهقرة تمر عبرها على مدى العصور اكثر من اي موقع آخر وقد بلغت اهميتها الحربية الذروة بعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩ م اذ ان سلامة القناة تقتضي ان تكون حدود سيناء الشرقية منطقة الدفاع عنها.

مكانة سيناء الاقتصادية

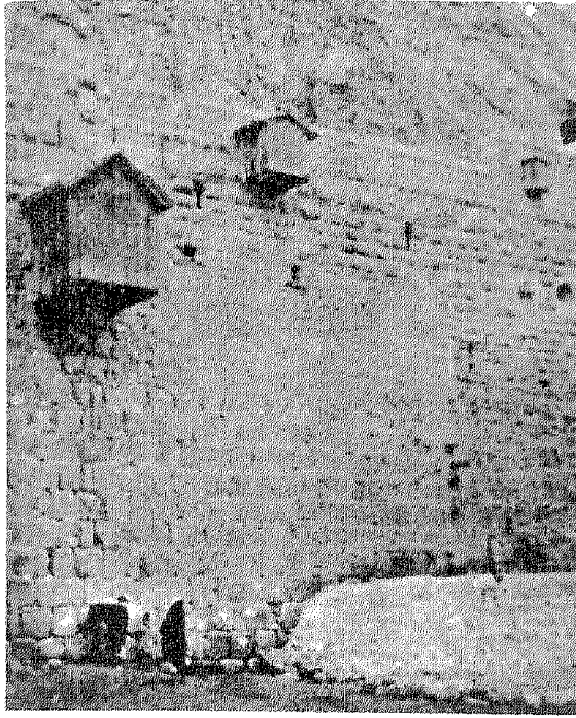
لم تكن أهمية سيناء التجارية لتقل خطورة عن مركزها الحربي كثيرا، فعلى الرغم من ان حظها من مرور منتوجات الشرق الادنى (المعروف حاليا بالشرق الاوسط)، وجنوب الجزيرة العربية كان ضئيلا نوعا ما، الا ان جانبها الغربي كان ذا أهمية بالغة خلال بعض

الفترات التاريخية كطريق لمرور التجارة عبره الى مصر، فالمواد التي كانت تأتي من بلدان المحيط الهندي وجنوب الجزيرة العربية وتخزن في موانيء البحر الاحمر كانت تنقل الى ميناء (الطور) الواقعة على الساحل الجنوبي الغربي من سيناء والى الشرق من خليج السويس، ومن هذا الميناء القوافل الى وادي النيل. وقد ألمح الى الاهمية التجارية لهذه الميناء الكثيرون من جغرافيي العرب كأبي الفداء (١٢٧٣ - ١٣٣١ م) الذي يصفها بكونها (ميناء عظيمة تصلها البضائع الثقيلة بحرا لتأخذها القوافل وتوزعها حيث تشاء) وكالقلقشندي (١٣٥٥ - ١٤١٨م) والمقريزي (١٣٦٤ - ١٤٤٢ م).

ومن أشهر المواد التي كانت تأتيها البهارات فقد كانت تصل اليها مرتين في العام. واما في الجانب الشرقي من سيناء فقد كانت الطرق التجارية تصلها بالموانيء الفلسطينية، فمنذ اقدم الازمنة التاريخية كانت القوافل تحمل من سوريا عبر هذه الطرق، الجواري والثيران (الحثية) والخيل والملح والخشب والآلات الموسيقية والمصنوعات الجلدية وزيت الزيتون والنبيذ، ومن البحر الميت الاسفلت الذي كان احد المواد التي كان قدماء المصريين يفيدون منها في عملية التحنيط، كما ينقل عبرها من بلاد ما بين النهرين المصنوعات الصوفية والجلود والحصير والزيوت، اما من شبه الجزيرة العربية فالعطور . كما ان هذه القوافل كانت تحمل في عودتها من وادي النيل الحبوب وكفي بذلك شاهدا (قصة يوسف)، والمنسوجات الدقيقة الصنع والادوات الذهبية والفخارية والزجاجية.

وقد كانت الحركة التجارية تبلغ ذروتها وتنشط زمن السلم عندما تستتب الامور بين مصر وجاراتها الآسيويات الا انها تضعف لدرجة الاندثار حين يسود الوضع بين الجانبين فتصبح سيناء ممرا لا للقوافل التجارية، وانما للجيوش الغازية وهكذا دواليك متأرجحة بين فترات الحرب واوقات السلم.

وقد أضعف تجارة القوافل هذه، رقي الملاحة بين موانيء الشام والشواطيء المصرية، اذ ان اكثر التجارة تحولت اليها فأصبحت اكثر



باب الدير المعلق

البضائع تنقل بحراً الا انه بعد انتشار الاسلام، وفريضة الحج احد اركانه الخمسة، اصبح اهل الشمال الافريقي يؤمون ومنها يتوجهون برفقة الحجاج المصريين عبر سيناء الى ميناء العقبة ومنها الى الاراضي المقدسة في الحجاز في طرق سلكتها فيما بعد قافلة الحج التي جهزتها اول ملكة في الاسلام المدعوة شجرة الدر (المتوفية عام ١٢٤٩م) ثم الظاهر بيبرس البندقداري (١٢٢٣ - ١٢٧٧ م) مرسلا الكسوة الشريفة الى الكعبة ومن بعده الناصر قلاوون (١٢٢٠ - ١٢٩٠) وقد سلك درب الحج هذه ابن بطوطة (١٣٠٤ - ١٣٧٨) في احدى حجاته. وكانت قوافل الحجاج هذه تسير بحماية الجند وقد قام سلاطين المماليك وولاة مصر من بعدهم بحفر الآبار في طريق الحج هذه كما مهدوا كثيرا من البقاع وخاصة الوعرة منها التي كان يعسر غلى الابل اجتيازها، وبقيت هذه الطرق سائدة حتى اواخر القرن التاسع عشر حين تحول الحجاج الى طريق البحر.

أما أهمية شبه جزيرة سيناء الزراعية فضئيلة فالثروة النباتية فيها محدودة وحتى المراعي تكاد تكون قليلة، وانما لها شهرة خاصة



الجامع الصغير على قمة جبل موسى

في الثروة المعدنية فمعجم الفيروز عرفت منذ عهد قدماء المصريين كما فصلنا سابقا، وكذلك النحاس الذي كانت تعتمد على مناجمه فيها دول ما بين النهرين وقل ذلك في بعض صخورها الجميلة كحجر الديورايت الاخضر الذي كثيرا ما استعمل لصنع تماثيل الآلهة والملوك في بلاد ما بين النهرين وغيرها من المناطق المجاورة، ثم المنغنيز وأجود أنواعه توجد على بعد (١٠) الى (١٥) كيلو مترا في منطقة (ابو زنيمة) - في اواسط الشاطىء الشرقي لخليج السويس، ثم الذهب والكبريت في هضبة التية في اواسط شبه الجزيرة، والملح البحري في الشمال والملح الصخري في الوسط. كما اصبح لاكتشاف البترول بها في القرن الاخير اهمية تذكر ومعظم آباره في المنطقة الغربية المجاورة لخليج السويس.

كما تنتشر على هذا الشاطىء الينابيع الحارة كالنبع المعروف بحمام فرعون الذي ينبثق من سفح جبل فرعون الواقع على الشاطىء الشرقي الشمالي لخليج السويس قرب رأس ملعب وفم وادي وسيط وهو نبع كبريتي حار تبلغ درجة حرارته (٧٠) مئوية ويستحم به بدو سيناء استشفاء من الروماتيزم والامراض الجلدية الا ان المستحمين ينزلون في مياه الخليج بعيدا عن فم النبع تجنبا لحرارته ثم يقتربون من النبع تدريجيا - وكحمام موسى الذي ينبثق من جبل همام موسى الواقع على بعد نحو ٤ أميال الى الشمال من ميناء الطور قرب رأس ابو صويرة وفيه سبع عيون كبريتيه حارة.

أقسامها الطبيعية

يمكن تقسيم شبه الجزيرة بحسب تضاريسها الى ثلاث مناطق.

١ - **المنطقة الشمالية وهي قسمان:**

أولهما المنطقة الساحلية المشرفة على البحر الابيض المتوسط والممتدة من رفح شرقا الى بور سعيد غربا وهي عبارة عن سهول رملية تتخللها بقع صالحة للزراعة كما انها طيبة المرعى، عذبة المياه وافرتها الى الشرق من مدينة العريش كما يقل عشبها وماؤها الذي تزداد ملوحته كلما اتجهنا غربا حتى نبلغ (الفرما) القريبة من قناة السويس حيث لا عشب ولا ماء. وقد اطلق مؤرخو العرب وجغرافيوهم عليها اسم (الجفار) - جمع جفر - وهي البئر الواسعة القريبة القعر. وتنتشر بها اشجار النخيل - ولتمر العريش شهرته الواسعة - وكذلك الكروم والرمان والفواكه الاخرى. كما تكثر زراعة القمح والشعير والذرة والبطيخ وسائر الخضار.

ويعمل الكثيرون من أهلها في صيد طائر (السمن) بأعداد وفيرة وهذا الطائر يهاجر سنويا في فصل الخريف من سهول روسيا الى اواسط افريقيا ثم يعود في شهري شباط وآذار (فبراير ومارس) فيتصبون الشباك لاصطياده في ذهابه وإيابه.

ويتوسط هذا القسم (سبخة البردويل) التي يبلغ طولها نحو من (٥٨) ميلا كما يتراوح عرضها بين نصف ميل وعشرة أميال ولها فم ضيق تدخل فيه مياه البحر، وكانت تدعى قديما (سربونيوس) وهي قليلة العمق اذ قلما يتجاوز عمقها في اكثر الحالات مترين او ثلاثة الا انها

كثيرة الاسماك التي يصنع منها (الفسيخ).

وثانيهما: يقع الى جنوب الاول وهو منطقة كثبان رملية غير متماسكة الا حيث ينمو العشب على سطحها وهذا محدود جدا، ولذا فرمالها متفككة تغور فيها الاقدام. ويتراوح ما يسقط فيها من المطر سنويا ما بين ٧٥ الى ١٠٠ مم، وتحتفظ الكثبان الرملية بهذا المقدار الضئيل من ماء المطر.

وأهم مراكز ومدن المنطقة الشمالية (العريش) وقد بنيت على أنقاض مدينة للمصريين القدماء كانت تدعى (رينو كولورا) ومعناها مجذوم الانف وتقول الرواية انها كانت منفى لمن حكم عليهم بالاعدام ثم استبدل الحكم بجذم الانف اما اسمها الحالي، اي العريش فهو الاسم الذي اطلقه عليها الغرب لان القوم كانوا يسكنون في مظال من القش اليابس، كما يفعل ابناء البادية عادة في فصل الصيف اتقاء للحر، وتقع على بعد نحو ميلين من شاطىء البحر الابيض المتوسط وعلى مقربة من مصب وادي العريش كما تبعد عن مدينة القنطرة الواقعة على قناة السويس، الى الشمال من الاسماعيلية، نحو (٨٥) ميلا. وبها قلعة ضخمة مصفحة بالحديد والصلب تعلو خمسة أمتار ويبلغ عرضها ثلاثة أمتار ونصف المتر، وكان في صحنها حوض اثري من الغرانيت الاحمر نقش على جدرانه الاربعة كتابة هيروغليفية نقل اليها من مصر في عهد لا يعرف بالتحديد ثم تم نقله الى المتحف المصري عام ١٩٠٧م وفوق البوابة ست لوحات رخامية نقش على ادناها انها من انشاء السلطان العثماني سليمان القانوني وكتب التاريخ شعرا وهو:

في عصر باد شاهمز
مرحبا بالعارفين
وأبشروا تاريخه
«فيه أمن الخائفين»

وقد عثر في هذه المنطقة الشمالية على كثير من النقود التي ترجع الى العهد البيزنطي كما والكثير من آثار الاقدمين كبقايا هيكل من بناء الفرعون سيتي الاول ورعمسيس الثاني للاله (هورس) وآثار معسكر روماني وجدت به كتابة باللاتينية من عهد ديوفلتيان. وقد اتى على ذكر محطات الطرق في هذه المنطقة قدامى الجغرافيين العرب ومن قبلهم استرابون وبلني الا ان هذه الطرق وتلك المحطات بلغت ذروة الاهمية زمن سيطرة الرومان والبيزنطيين ولذلك نجد ان آثارهم هي الغالبة.

٢ - منطقة التيه:

وتقع الى جنوب الاولى وهي عبارة عن هضبة جامدة التربة متماسكة السطح تغطيها طبقة رقيقة من فتات الصوان ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر نحوا من خمسمائة متر وتجري على سطحها عدة مجاز مائية معظمها قليل العمق وهي جافة خلا فترات سقوط الامطار وأهمها شأنا وادي العريش الذي يخترقها من الجنوب الى الشمال منتهيا بالبحر الابيض المتوسط عند مدينة العريش. واهمية هذه المجاري والوديان في المواصلات كبيرة فلا بد للطرق ان تتبعها. ومنطقة التيه هذه قليلة المطر اجمالا نادرة العشب متباعدة الآبار وكانت تخترقها طريق الحج من مصر الى العقبة. واشهر مدن التيه مدينة (نخل) وبها قلعة قديمة من بناء السلطان قانصوه الغوري عام ١٥١٦ م وكان اسمها قديما (نخر) اما اسمها الحالي (نخل) فربما كان نسبة الى الرياح السافية التي تسفي على الناس ترابا دقيقا كأنما نخل بمنخل وقد كانت اهم محطات طريق الحج قديما بين السويس والعقبة.

٣ - المنطقة الجنوبية:

وهي منطقة الجبال النارية المرتفعة المتراكمة والشديدة الوعورة. تعلو في الوسط وتنحدر شرقا الى خليج العقبة وغربا الى السويس ووديانها عميقة ويصيبها من الامطار اكثر ما يصيب سابقتيها، ولذا اصبحت فيها حياة نباتية قل ان توجد في الاقسام الاخرى. ويمتد في شرقها سهل رملي على طول خليج العقبة، كما ان المنبسط الرملي يتسع في غربها ويعرف بسهل القاع ممتدا من رأس محمد في اقصى الجنوب الى وادي فيران شمالا.

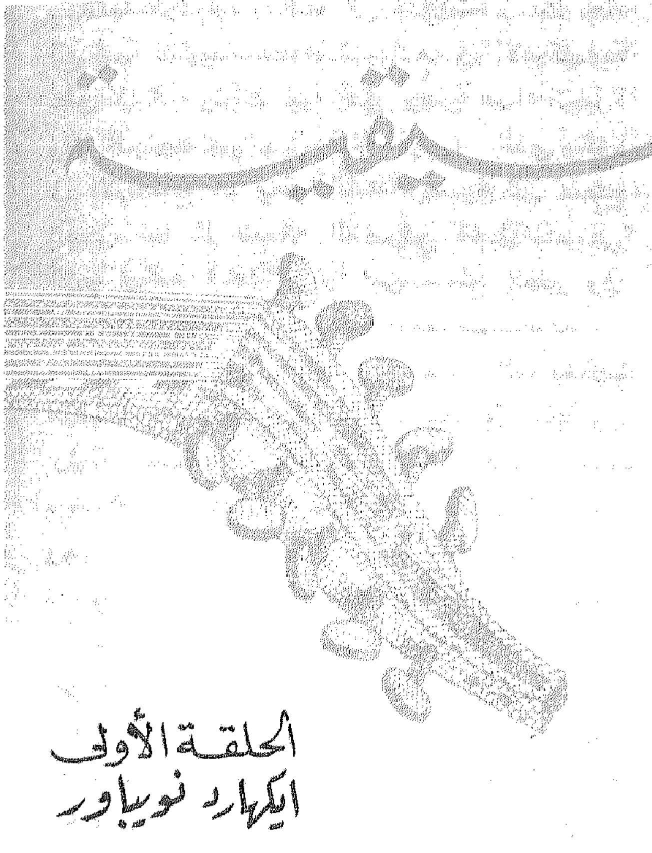
واكثر جبال المنطقة ارتفاعا هو جبل (سانت كاترين) اذ يبلغ ارتفاعه ٢٦٤١ مترا عن سطح البحر وتعود تسميته الى اسطورة

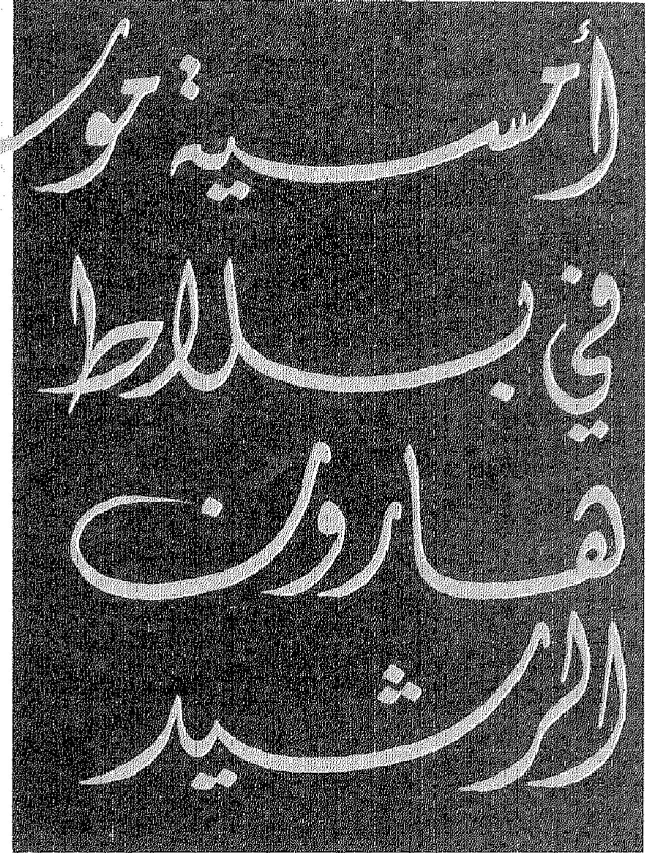
يتناقلها الرهبان مفادها ان الملائكة حملت جثة القديسة كاترينا بعد استشهادها في الاسكندرية عام ٣٠٧م ونزلت بها على رأس هذا الجبل، والى الجنوب من جبل (ام شومر) الذي يتلوه في الارتفاع اذ يعلو ٢٥٨٦ مترا عن سطح البحر، اما الى شماله الشرقي فجبل موسى الذي يرتفع ٢٢٨٥ مترا عن سطح البحر وفي رأس هذا الجبل كنيسة ومسجد صغيران ويزوره البدو مرة كل عام صاعدين اليه ومعهم الذبيحة وفي اليوم الثاني يعيدون لهارون وفي المنطقة الوسطى عدة قمم ايضا يزيد ارتفاعها عن (٢٤٠٠) مترا كجبل الرمحان وجبل البتت. والى الشمال من جبل موسى قمة تدعى جبل المناجاة وفي تقاليد الرهبان ان جبل جوريب المعروف في التوراة الذي انزل الله به على موسى الشريعة. وفي المنقلب الغربي من قمة المناجاة هذه، وادي الدير وقد دعي بهذا الاسم لانه اقيم على جانبه دير طور سيناء الشهير والمعروف (بدير القديسة كاترينا) وهو للروم الارثوذكس وقد بناه الامبراطور جوستنيان عام ٥٤٥ ويعلو عن سطح البحر من ١٥١٧ مترا، وللدير سور متين مبني بحجر الغرانيت المنحوت وضمنه عدة كنائس ومسجد اهدي اليه المنبر سابع الخلفاء القاطميين الآمر بأحكام الله ابو علي المنصور، وكذلك مكتبة قيمة تحوي عدة آلاف من المجلدات أكثرها باليونانية والعربية واشهرها (الانجيل السرياني) المكتوب على رق غزال وهذه اقدم نسخة للانجيل مترجمة عن اليونانيين في القرن الثاني للميلاد - وكذلك (العهدة النبوية) وهي العهد الذي، حسب تقاليد الرهبان المتواترة، ان الرسول الكريم محمد بن عبد الله امر بكتابته في السنة الثانية للهجرة اماناً لهم وللنصارى كافة على اموالهم وبيعهم، الا ان السلطان سليم العثماني بعد افتتاحه المنطقة بأسرها عام ١٥١٧ م اخذها منهم وجعل لهم مكانها نسخة عنها مع ترجمتها بالتركية - الا ان بعد الباحثين المحققين ومنهم المرحوم احمد زكي باشا (شيخ العروبة) انكر صحة هذه العهدة وصدورها عن النبي الكريم وهم على يقين ان الرهبان اختلقوها لدفع الاذى عنهم من الحكام والدهماء. ويستند هؤلاء في انكارهم لها انها مؤرخة في السنة الثانية للهجرة مع العلم ان الهجرة لم يؤرخ لها الا في السنة الثامنة عشرة، كما ان بعض الشهود من الصحابة كأبي هريرة وأبي الدرداء - المذكورة اسماؤهم في ذيل العهدة لم يكونوا قد أسلموا بعد في السنة الثانية للهجرة وهم يستندون ايضا في اعتقادهم بزيفها ان جميع مؤرخي عصر النبوة احصوا كل قول او اثر او عهد للنبي الكريم ولم يأت اي منهم على ذكر هذه العهدة او اية اشارة تدل عليها.

وليس في هذه المنطقة الا مدينة واحدة هي ميناء (الطور) الواقعة على الشاطىء الجنوبي من سيناء والشرقي من خليج السويس وقد المحنا فيما سبق الى اهميتها التجارية في العصور الغابرة، وكانت تدعى في العهود الغابرة (ريتو) وبقيت تعرف بهذا الاسم حتى القرن الخامس عشر الميلادي وهي ذات مرفأ حسن وجرف مرجاني يمتد عشرات الامتار تحت سطح البحر وبها من الآثار القديمة مسجد وكنيسة تدعى (كنيسة مار جرجس).

وعلى القسم الجنوبي من الشاطىء الشرقي لسيناء والغربي لخليج العقبة وعند فم وادي (نصب) توجد واحة شهيرة تدعى (دهب) كانت مركزا لتجمع قبائل البدو الرّحل الباحثين عن الكلأ والعشب، وبعد احتلا الاسرائيليين لشبه الجزيرة عام ١٩٦٧م جعلوا منها منتجعا حظي بشهرة عالمية اذ ان هذا الموقع يجمع بين المناخ الشتوي الدافىء والمياه الصافية النقية وبالاضافة الى ذلك مجموعة نادرة غنية من الحياة البحرية وفي مياهها واد يعرف (بالوادي الدامي) وهو ممر عبر سلسلة صخرية يبلغ عمقه ٣٦ مترا اما تسميته بهذا الاسم فتعود الى مصرع كثيرين من الغواصين فيه نتيجة لتعرضهم لقرصات اسماك سامة، وما زال يؤمه الوف الغواصين من مختلف انحاء العالم سنويا، اذ اصبح مركز الغوص الرئيسي في شبه الجزيرة.

■





أمسية موسيقية في بلاط هارون الرشيد

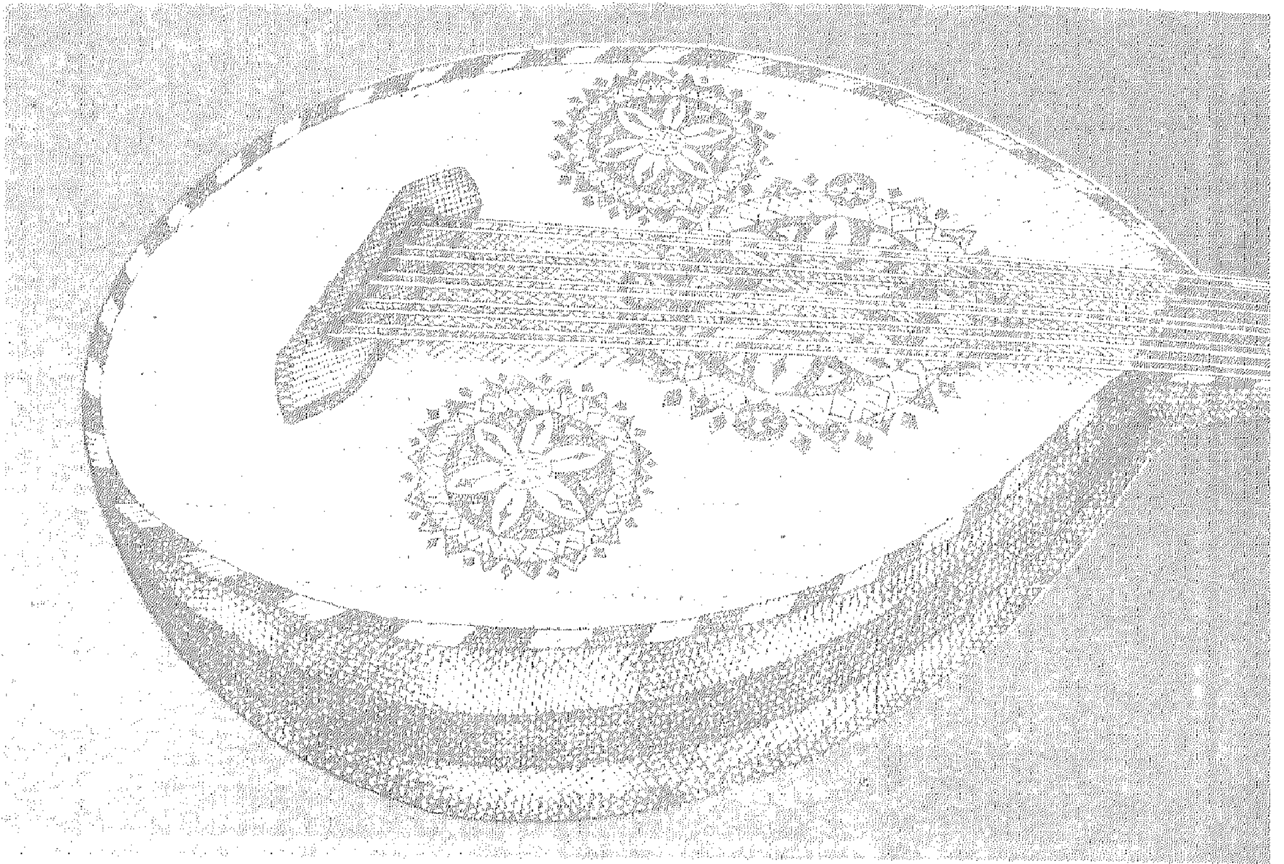
الحلقة الأولى

ايكهارد نويباور

لا بد وانكم فكرتم عند اطلاعكم على عنوان هذه المحاضرة[1] بقصص الف ليلة وليلة وتوجه تفكيركم الى الخلفاء الذين كانت موائدهم الدسمة يعقبها كل ما يطرب وينعش من الموسيقى والرقص والغناء والحفلات الصاخبة والليالي الماجنة الحمراء بجواريها الحسان والخصيان والنبيذ والندماء والشعراء والمطربين والحان العود. وحتما ستعود بكم الذاكرة الى هارون الرشيد، ذلك الخليفة العباسي الذي لعبت ذكراه دورا هاما في اساطير الف ليلة وليلة كما ان قصة كاملة دارت وقائعها حول مطربه المقرب ابراهيم الموصلي لم تهمل التطرق الى ابنه المطرب المعروف اسحق الموصلي.

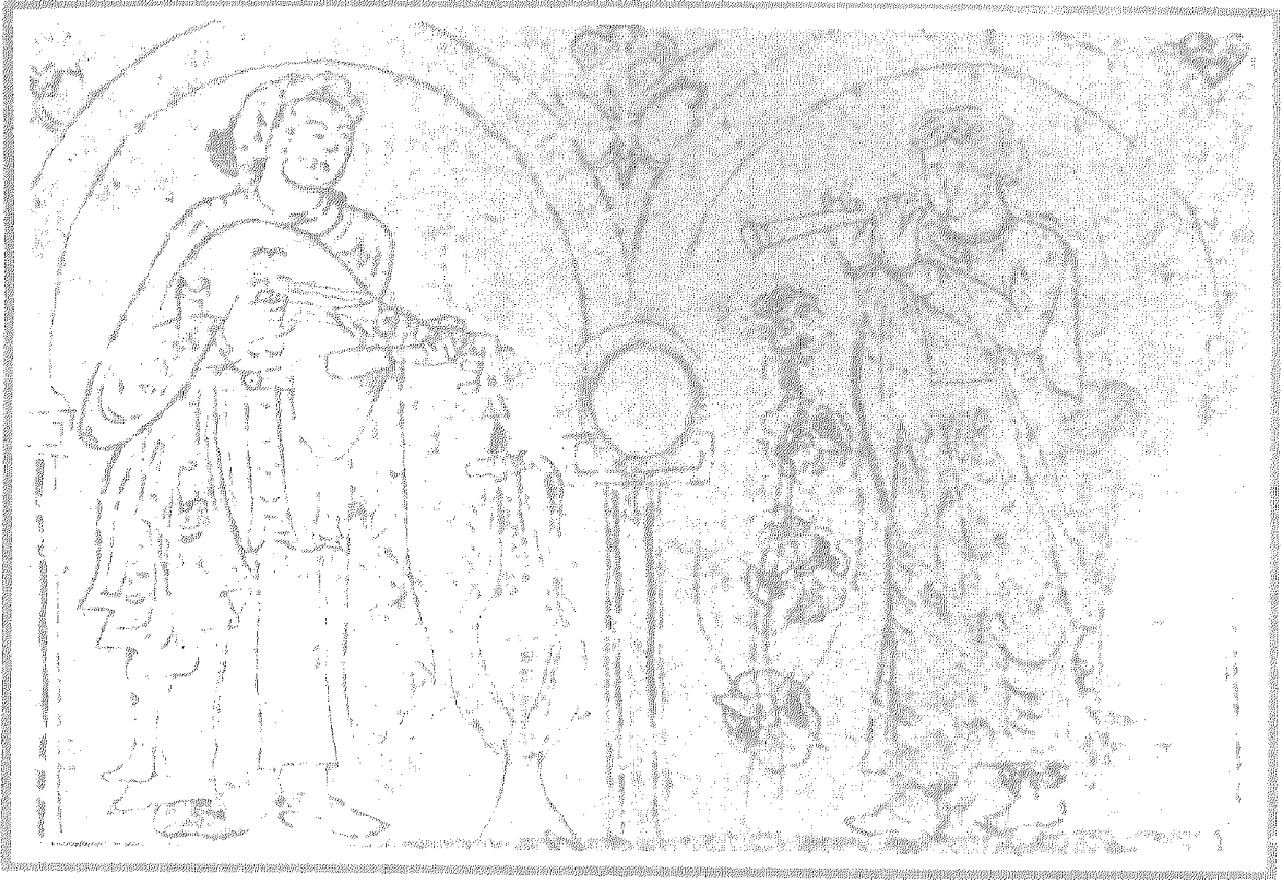
انه نفس المجتمع الذي سيدور الكلام هنا حوله واعني به بلاط هارون الرشيد وامسياته الموسيقية، غير اننا سوف لا نعتمد في ذلك على اساطير الف ليلة وليلة واقاصيصها، بل على مصادر عاصرت عهد هارون الرشيد بالذات. وسينصب مغزى ما سيجري سرده فيما يلي على رسم صورة لاحداث ومجريات سهرة انس وطرب يقيمها هذا الخليفة، صورة مجردة من الميوعة والعطور التي تتحلى بها صور الف ليلة وليلة، صورة طابعها الاعلام الموضوعي المجرد. ولكي لا ادخل في تيه من اسماء الموسيقيين، اخترت اربعا من مطربي البلاط نصاحبهم في هذه الامسية واود ان اقدمهم لكم فيما يلي بايجاز:

لقد ورد آنفا ذكر ابراهيم الموصلي، عميد موسيقيي البلاط وملكهم غير المتوج. ينحدر اصله من اسرة فارسية عريقة هاجر والده الى الكوفة هربا من الوالي الاموي ووضع نفسه كـ «مولى» تحت حماية قبيلة بني تميم. ترك ابراهيم المدرسة مبكرا وبدا حياته العملية معتمدا على نفسه. جاب كافة انحاء العراق وحل اخيرا في «ري» في ايران حيث كرس



نفسه للدراسة وتعلم الموسيقى العربية والفارسية المعاصرة بالرغم من معارضة اسرته . وبعد ان تقلد عدة مناصب كـ « نديم » رفعته باستمرار وشيئا فشيئا الى الاعلى في المجتمعات البغدادية ، ازداد شهرة ووصل صيته اسماع الخليفة المهدي الذي احتضنه وضمه الى مطربي بلاطه[٢] ويقال انه تمكن من اقامة علاقات صداقة شخصية ربطته بهارون الرشيد ايدتها الزيارات المتعددة التي كان يقوم بها الرشيد الى داره ، آخرها زيارته له قبيل وفاته عندما كان مريضا طريح الفراش للاستفسار عن صحته وتفقد احواله : « إن الرشيد هب ليلة من نومه ، فدعا بحمار كان يركبه في القصر اسود قريب من الارض فركبه ... فلما خرج من باب القصر قال : اين يريد امير المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : اردت منزل ابراهيم الموصلي ... فخرج فتلقاه وقبل حافر حماره وقاله له : يا امير المؤمنين ، أفي هذه الساعة تظهر؟ قال : نعم شوق طرق لك بي ، ثم نزل فجلس في طرف الايوان واجلس ابراهيم ... »[٣] .

وبعكس ابراهيم الذي كان عليه كشاب ان يبدأ من العدم يعمل بجد ومشقة لبلوغ هدفه المنشود في تنمية علومه ومواهبه ، نشأ ابنه اسحاق الموصلي في بيت جاه ورفاه . فبفضل موارده المالية العالية بصفته كبير مطربي البلاط تمكن ابراهيم ان يهيء لابنه اسحق فرص التربية والتعليم التي كان يتمتع بها الامراء في بيت الخلافة . فشخصيات لامعة اسماؤها كالاصمعي وابو عبيدة وغيرهم من ادباء وعلماء زمانهم كانوا خير ضمان لتربيته العالية في العلوم الاسلامية والشعر والادب[٤] . وقد نبغ كتلميذ في الفقه على يد استاذه مالك ابن انس وغيره[٥] . وخير دليل على ذلك ما شهد له به المامون عندما قال : «لولا ما سبق على السنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتي ، فانه اولى به واعف واصدق واكثر دينا وامانة من هؤلاء القضاة »[٦] . اما تربيته الموسيقية فلم تكن شأنا من الاخرين إذ ان والده كان قد عهد بتربيته الموسيقية الى اشهر موسيقيي عصره .



جدارية من قصر الحير الغربي الذي يعود تاريخ بنائه الى عصر هشام حوالي ٧٣٠م.

واسحق ، كابن مدلل ويتمتع باعجاب الجميع ، بلغ الذروة مبكرا ولم يكن يطيق منافسيه وهذا يفسر لنا نزاعه الذي دام سنين عديدة مع ابراهيم ابن الخليفة المهدي، المغني الثالث الذي سيتناوله هذا المقال والذي يشير المؤرخون إلى انه لم يكن ذو قابلية للخلافة كالمأمون . وبالرغم من ان تربيتهما الموسيقية كانت في نفس المستوى(٧) ، فقد كان ابراهيم متفوقا على اسحق في الغناء لما كان يتمتع به من صوت جميل رخيم(٨) ، لذا كان اسحق دائما يحاول ، معتمدا على حججه النظرية ، جر ابراهيم إلى جدال طويل لا نهاية له كتسمية انواع الايقاع والاوزان مثل الثقيل والخفيف واهميتها(٩) .

ورابع وآخر مغنينا ، ابن جامع ، ينحدر من اسرة مكية عريقة . تربيته تربية دينية اسلامية وكان متدينا يحفظ القرآن والحديث وعالما في الفقه بما يؤهله ارتداء ملابس رجال الدين . من اثقف مطربي عصره واكثرهم تدينا واعتاد ان يرتل القرآن كاملا كل يوم جمعة — «كان ابن جامع من احفظ خلق الله لكتاب الله واعلمه بما يحتاج اليه ، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلي الصبح ثم يصف قدميه حتى يطلع الشمس ، ولا يصلي الناس الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف الى منزله »(١٠) . ولا بد من الاشارة هنا الى انه لم يرد في القرآن نص صريح يمنع الموسيقى او الغناء وان بعض ملاحظات محمد النبي الموجهة ضد الموسيقى كانت تستهدف الغناء الماجن والحد من الاستهتار والمجون ، لذا فان المسلم المتدين الذي كان يمارس الموسيقى والغناء لم يكن يفترض في عمله هذا مقدما ما يناقض الدين(١١) ، غير ان ما كان سيقوله النبي عن امسيات هارون الرشيد — فهذا امر آخر !!

وقد تمكن ابن الجامع من تنمية ذوقه الموسيقي عندما تزوجت امه للمرة الثانية من احد مشاهير المطربين الذي اصبح استاذه الاول في هذا الفن(١٢) ، وقد ربطته صداقة متينة بابراهيم الموصلي لم يعكرها سوى اتباعه اسلوبا

آخر في الموسيقى والغناء يغاير اسلوب الموصلي[١٣]، غير ان خلافاتهما هذه لم تؤد مطلقا الى منازعات شخصية كتلك التي كانت تسود علاقات ابراهيم ابن المهدي واسحق الموصلي[١٤].

بهذا عرفتكم على اهم العناصر في سهرتنا، اثنين من كبار السن، الموصلي الاب وابن جامع واثنين من الجيل الاصغر، اسحق ابن ابراهيم الموصلي وابراهيم ابن المهدي. والسبب في اختيار هذه الامسية في دار خلافة هارون الرشيد يعود الى ان تاريخ الموسيقى العباسية بلغ اوجه في عهد هذا الخليفة. غير ان هنالك سبب آخر لاختياري الرشيد بالذات، إذ انه بعد استلامه الخلافة ادخل تبديلات على نظام مطربي البلاط مهدت لنا السبيل للحصول على معلومات ممتازة عن بعض التفاصيل الفنية لهذا التنظيم.

ويعتبر التنظيم المالي نقطة مهمة في هذا، فان سلف هارون وشقيقه موسى الهادي كان اثناء حكمه الذي استمر سنة واحدة، قد بذل المال بغير حساب للمغنين والشعراء والندماء واغدق عليهم بنفيس الهدايا[١٥]، فوضع هارون حدا لذلك بتقليصه الرواتب واختصاره الهدايا الى حد معقول. كما حدد للمغنين ايام عمل خاصة (نوبة) عليهم الحضور فيها الى البلاط[١٦]، واستثنى من هذه القاعدة المطربين المقربين اليه جدا الذين وجب عليهم ان يكونوا دائما على اهبة الاستعداد للاستجابة الى نداء الخليفة. وكان يصعب جدا على هؤلاء التمتع باجازة او استراحة لبضعة ايام، فابراهيم الموصلي مثلا كان يتمتع براحته يوم السبت فقط: «ابراهيم قال: سألت الرشيد ان يهب لي يوما في الجمعة لا يبعث فيه اليّ بوجه ولا بسبب لاخلوا فيه بجواري واخواني، فاذن لي في يوم السبت ...»[١٧]. وبالاضافة الى ذلك فقد عدل هارون بعض العادات والتقاليد التي سار عليها اسلافه وتوسع في التحرر من بعض القيود التي كانت مفروضة والتي كانت بطبيعتها - كغيرها من تقاليد البلاط - تعود الى العادات الفارسية. فجرت العادة ان تفصل بين الخليفة ومطربيه ستارة[١٨]، والامر يعود الى الخليفة عندما يحظي مطربوه بفائق استحسانه، ان يعبر عن هذا الاستحسان إما برفع الستارة او السماح للمطرب بتقديم ما لديه من مقطوعات امامه مباشرة، وكان الرشيد غالبا ما يفعل ذلك في سنوات حكمه الاخيرة. وعند مراجعة المصادر يرسخ الاعتقاد بان ما يقارب نصف الحفلات فقط كانت فيها الستارة مسدلة بينما كانت مرفوعة في القسم الاعظم من حفلاته الموسيقية[١٩]، وهكذا لم يكن من المستحب ان تقرن صالة الموسيقى بكلمة «الستارة». وفي هذا الصدد تجدر الاشارة الى الوضع الخاص لابراهيم ابن المهدي الذي كان إبن خليفة ومطرباً في نفس الوقت، إذ احيانا كان يجلس مع المغنين خلف الستارة[٢٠]، واحيانا نجده مع المغنين المقربين الذين يسمح لهم بالغناء بدون ستارة[٢١]، لكنه غالبا ما قدم - اكثر من غيره - اغان خاصة في حضرة هارون الرشيد[٢٢].

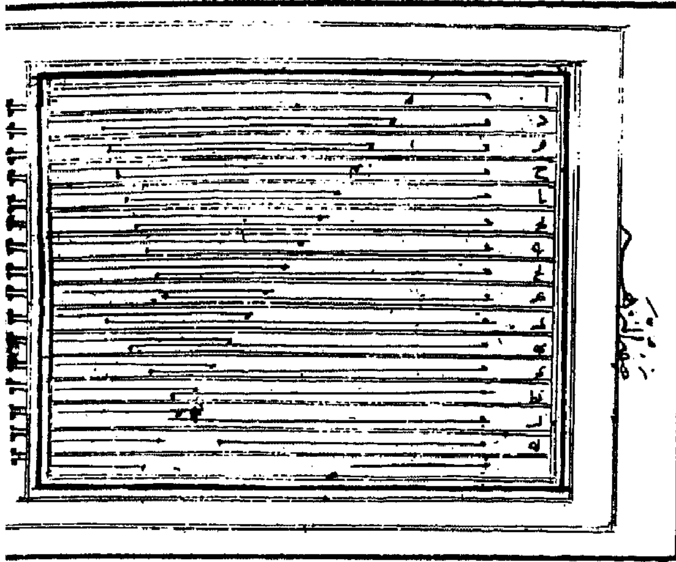
وكان رجل الارتباط بين الخليفة وموسيقييه «خادم المطربين»، ويظهر بأن هذه الوظيفة استحدثت في عهد هارون الرشيد. ومع وجود خادم في البلاط في العهود السابقة مهمته الوقوف عند الستارة اثناء الحفلة لايصال رغبات الخليفة الى المغنين[٢٣]، غير انه لم يكن هنالك الى ذلك الحين خادم مثل هشام مسرور احد الخدم المقربين جدا الى الرشيد[٢٤]. وكانت صلاحياته وواجباته تتجاوز الى حد بعيد صلاحيات ومهام «الحاجب» ولم يقتصر عمله على ايصال هدايا ومكافآت الخليفة للموسيقيين الى منازلهم فحسب او زيارتهم بتكليف من الخليفة او الطلب اليهم الحضور الى القصر بصورة مفاجئة عندما يحتاجهم الخليفة، بل كان يقوم ايضا بايقاع ما يأمر به الخليفة من جلدات باحدهم او يتابع تنفيذ العقوبات التي يفرضها الخليفة عندما يغتاظ منهم[٢٥]. وكان يتكرر وقوع هذا إذ لم يكن اي من الموسيقيين ضامنا عدم حدوث ما قد يؤدي الى غضب الخليفة او استيائه.

جرت العادة ان يشترك في الامسيات الموسيقية حوالي سبعة موسيقيين[٢٦]، يأخذون اماكنهم خلف الستارة حسب نظام خاص انفرد

الرشيد بوضعه وكان - حسب علمي - اول من وضعه، وهو نظام مقتبس من مراسيم البلاط الساسانية يوزع الموسيقيين الى ثلاث «طبقات» تبرز للعيان بالجلوس في ثلاثة صفوف خلف بعضها. اعتمد هذا التوزيع على سن واهمية المطرب[٢٧]، فابراهيم الموصلي وابن جامع مكانهم عادة في الصف الاول[٢٨]، بينما على الشباب امثال اسحق الموصلي ان يسعوا اليه. وعازفو الآلات الموسيقية مكانهم عادة في الصف الثالث وبعضهم - في احسن الظروف - في الصف الثاني[٢٩]، وتبلغ المسافة بين الصف الاول والستارة عشرة اذرع[٣٠]، ويجلس المغنون جنبا الى جنب. وقد اثبت هذا النظام جدارته وخاصة في حالات معينة، فمثلا ان ابن جامع اخذه النعاس في احدى الامسيات لتعبه الشديد فاوقظه جاره ابراهيم الموصلي بمرفقه - «وهوم ابن جامع سكرا ونعاسا، فلما دار الغناء على اصحابه وصارت النوبة اليه، حركه من جنبه لنوبته فانتبه ...»[٣١].

تبدأ الامسية الموسيقية عادة بعد صلاة العشاء عندما تزول حرارة العصر، فيجتمع الموسيقيون في هذا الوقت عند بوابة القصر[٣٢]، ثم يسيرون مجتازين اقسام القصر المختصة للاعمال الرسمية (دار العامة) ومن ثم، حسب طبيعة بناء القصر، فناء داخليا او اكثر ليبلغوا «دار الخاصة». وعادة تقع صالات الاحتفالات الخاصة قرب جناح النساء[٣٣]، لتتمكن الجواري من الاشتراك في الحفلة من وراء ستارة تخفيهن عن الانظار حيث يقوم الخليفة بزيارتهن اثناء الامسية[٣٤]. وامام هذه الصالات تقع الغرف الخاصة بالمطربين والندماء والشعراء التي يتمكنون فيها من التهيؤ لادوارهم[٣٥].

والصالة بحد ذاتها فيها كل ما يمكن تصوره من معالم الابهة والغنى التي قرانا عنها في الف ليلة وليلة، فالجدران والبلاط من انواع مختلفة من المرمر كما ان بعض الجدران تكسوها الاقمشة المطرزة بالذهب والارضية بلاطها إما الموزائيك احيانا او التصاوير غالبا[٣٦]، واحيانا نجد الستائر المصورة المصنوعة من اجود انواع الحرير والبروكات



«النوتة الموسيقية» من كتاب الادوار لصفي الدين.

وتحمل اسم الخليفة محاكا فيها. وقد عثر على عدد كبير من هذه الستائر عند جرد مخلفات هارون الرشيد[٣٧]، وفي وسط القاعة يقوم مقعد الخليفة الوثير مرتفعا مشرفا على الصالة[٣٨]، على بعد عشرة اذرع من الستارة[٣٩].

وقبل الحفلة يرتدي الخليفة ملابس لا تقل جودة ورونقا عما في الصالة، اما الموسيقيون فليس هنالك ما يحدد ويعين ملابسهم وتعتمد عادة في شكلها والوانها على ذوق الفنان وخياله واناقته. وجماعة الظرفاء منهم سعت الى تطوير عاداتها الخاصة بها والتي تعطينا انطباعا عن ملابس الرجل المثقف النبيل، كالعطر الذي يستعمله واشياء اخرى عديدة[٤٠]. وبصورة عامة نجد الملابس متنوعة الاشكال فضفاضة ذات الوان زاهية تسترعي الانتباه حتى بالنسبة للذوق في الوقت الحاضر، فنسمع مثلا ان اسحق الموصلي دخل مرة على الخليفة الامين مرتديا قباء احمر وخفا سيوره صفراء وحزاماً احمر - «وقد لبست قباء وخفا احمر واعتصبت بعصابة صفراء وشددت وسطي بشقة حمراء من حرير»[٤١]. والتقييد الوحيد في اختيار الملابس ينحصر في عدم السماح في ارتداء الملابس الخاصة بمن يتمتع بمرتبة اعلى او قباء الخليفة[٤٢].

ومن قواعد اللياقة لدى موسيقيي القصر التجنب المطلق لانبعاث الروائح الكريهة[٤٣]،

لذا استعملوا العطور[٤٤]، وكان ابراهيم المهدي اكثر من تهمهم هذه القواعد، إذ كان لقبه «التنين» نظرا لضخامة جسمه[٤٥]، فكان يرتدي تحت ملابسه صيفا وشتاء ثوبا محاكا من القطن يمنع تسرب رائحة العرق من جسمه[٤٦].

وفي بداية الحفلة كان على الفنانين استعمال الصيغة التالية لتحية الخليفة: «السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته»[٤٧]، اما السجدة فلم تكن متبعة في ذلك الوقت للتحية كما اصبحت عليه في عهد الفرس بل كانت للتعبير عن الشكر والامتنان كتقبيل اليد او الرجل ولا علاقة لها ببداية الحفلة او نهايتها[٤٨]. وبعد التحية يسمح الخليفة للموسيقيين بالجلوس. ان كل هذا وما يعقبه يعتبر جزءا من المراسيم التي قد تؤدي مخالفتها الى عقوبات امرها الطرد من مجموعة موسيقيي البلاط. وقد حدث هذا لاحد المطربين إذ احتسى كميات من الخمر كبيرة وقام بتصرفات غير لائقة[٤٩].

وبعد ان يجلس الجميع يعطي الحاجب اشارة لوزن الآلات[٥٠] ويستصحب عادة كل موسيقي عوده او آلته معه، ويعتبر العود الالة



نقش نافر من العصر السلجوقي

الموسيقية الرئيسية الى جانب الناي والقيثار. وتوزن الآلات بموجب الوتر الاعلى الثاني للعود[٥١] وقد انتقلت هذه العادة مع الآلة الى اوروبا عبر اسبانيا واصبحت تطبق على الكمان، إذ ان الفرق الموسيقية الغربية تقوم حتى الآن بوزن الاتها على نغمه (آ) المنبعثة من الوتر العلوي الثاني لكمان العازف الاول. ■

يتبع

هوامش

(١) محاضرة القيت في شهر ايار ١٩٦٨ باللغة الفرنسية في فروع معهد جوته في القاهرة والاسكندرية وبيروت.

(٢) ابو الفرج علي ابن الحسين الاصفهاني (المتوفي ٣٥٦/٩٦٧)، كتاب الاغاني الكبير. صدرت منه منذ عام ١٩٢٧ من قبل دار الكتب المصرية في القاهرة الاجزاء ١ - ١٦. ص ١٥٤ - ١٥٩. سيشار اليه في الهوامش فيما بعد بـ «الاغاني ٣».

(٣) الاغاني ٣ الجزء ٥ ص ٢١٨ - ٢١٩، ٢٥٣.

(٤) الاغاني ٣ الجزء ٥ ص ٢٧١. ياقوت ابن عبد الله شهاب الدين ابو عبد الله الحموي الرومي (المتوفي ٦٢٦/١٢٢٩)، ارشاد الايب الى معونة الاديب طبعة D. S. Margolioth في سبعة اجزاء لندن - ليدن ١٩٠٧ - ١٩٢٧ الجزء ٧ ص ٢٨٩.

(٥) الاغاني ٣ الجزء ٥ ص ٢٦٩.

(٦) الاغاني ٣ الجزء ٥ ص ٢٧٢ - ٢٧٣. قارن هنري جورج فارمر، تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر، لندن ١٩٢٩ ص ١٢٤.

(٧) الاغاني ٣ الجزء ١٠ ص ٩٧.

(٨) الاغاني ٣ الجزء ١٠ ص ١٠٠ - ١٠١، ١٠٨ - ١١٠.

(٩) الاغاني ٣ الجزء ١٠ ص ٩٦ - ٩٧.

(١٠) الاغاني ٣ الجزء ٦ ص ٢٩١، قارن الجزء ايضا الجزء ٦ ص ٢٩١ - ٢٩٣.

(١١) محمد حميد الله - الذوق والفن في تعاليم النبي، محفوظات المؤتمر الدولي الرابع والعشرين للمستشرقين المنعقد في مونيخ سنة ١٩٥٧ ص ٣٦١.

(١٢) الاغاني ٣ الجزء ٦ ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(١٣) ابو الفرج الاصفهاني ، كتاب الاغاني الكبير طبعة بولاق سنة ١٢٨٥/١٨٦٨ في ٢٠ جزء ، ص ١٧ و ٧٣ . سيشار اليه فيما بعد في الهوامش الاغاني ١ .
(١٤) الاغاني ٣ الجزء ٥ ص ٤١٠ ، الجزء ١٠ ص ٩٧ ، ١٤٤ - ١٤٥ .
(١٥) قارن الاغاني ٣ الجزء ٥ ص ١٦٣ .
(١٦) الاغاني ٣ الجزء ٥ ص ٥٢٣ و ٣٨١ . قارن ايكهارد نويباور ، الموسيقيون في بلاط العباسيين الاوائل ، اطروحة ، فرانكفورت ١٩٦٥ ، ص ٥٣ - ٥٧ . سيشار اليها في الهوامش فيما بعد - نويبار ، موسيقيو البلاط .
(١٧) الاغاني الجزء ٥ ص ٢٣١ . قارن نويباور ، موسيقيو البلاط ص ٥٥ .
(١٨) نويباور ، موسيقيو البلاط ص ٨٢ - ٨٣ .
(١٩) نفس المصدر السابق ص ٦٥ .
(٢٠) الاغاني ٣ الجزء ٥ ص ١٢٦ .
(٢١) نفس المصدر السابق الجزء ١٠ ص ٩٨ .
(٢٢) نفس المصدر السابق الجزء ١٠ ص ٩٦ .
(٢٣) عمرو ابن بحر الجاهظ (المتوفي سنة ٢٥٥/٨٦١) ، كتاب التاج في اخلاق الملوك . نشر احمد زكي باشا ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ١٣٢٢/١٩٤٤ ص ٣٤ وسيشار اليه فيما بعد - جاهظ ، التاج .
(٢٤) الاغاني ٣ الجزء ٥ ص ٢١٨ .
(٢٥) نويباور ، موسيقيو البلاط ص ٥٦ - ٥٧ .
(٢٦) الاغاني ١ الجزء ١٨ ص ١٢٦ ، ابو الفرج الاصفهاني - كتاب الاغاني الكبير تعقيب على طبعة بولاق الاولى (٢٠ جزء) ويعتبر الجزء ٢١ لبرنوف R. Brunnow ليدن ١٩٠٥ وسيشار اليه فيما بعد - الاغاني برونوف .
(٢٧) نويباور ، موسيقيو البلاط ص ٥٧ و ٨١ .
(٢٨) احمد ابن محمد ابن عبد ربه (المتوفي ٣٢٨/٩٤١) العقد الفريد ، نشر احمد امين ، احمد الزين وابراهيم الابياري ، سبعة اجزاء ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف ١٣٥٩/١٩٤٠ - ١٣٧٢/١٩٥٣ . الجزء السادس ص ٣١ .
(٢٩) جاهظ ، التاج ص ٢٦ .
(٣٠) نفس المصدر السابق ص ٢٨ .
(٣١) الاغاني ٣ الجزء ٦ ص ٣٠٧ ، ٣٠٤ .
(٣٢) نويباور ، موسيقيو البلاط ، ص ٧١ .
(٣٣) نفس المصدر السابق ص ٧٨ .
(٣٤) الاغاني ٣ الجزء ١٠ ص ١٢١ .
(٣٥) نفس المصدر السابق الجزء ٥ ص ٢٨٦ (يعود هذا الوصف الى عصر المامون) .
(٣٦) نويباور ، موسيقيو البلاط ، ص ٧٨ .
(٣٧) نفس المصدر السابق ص ٨٣ .
(٣٨) الفريد فون كريمر - تاريخ الحضارة الشرقية في عهد الخلفاء . فينا ١٨٧٥ - ١٨٧٧ ، الجزء ١ ص ١٣٨ Alfred V. Kremer, Culturgeschichte Des Orient Unter Den Khalifen.
(٣٩) جاهظ ، التاج ، ص ٢٨ .
(٤٠) نويباور ، موسيقيو البلاط ص ٧٩ .
(٤١) الاغاني الجزء ٥ ص ٢١٧ .
(٤٢) جاهظ ، التاج ص ٤٧ - ٤٩ .
(٤٣) ابو الحسن محمد ابن الحسن ابن الطحان الموسيقي ، هاوي الفنون وسلوة المحزون (٤٢٠/١٠٣٠) نسخة دار الكتب المصرية في القاهرة ، فنون جميلة ٥٣٩ ، الحلقة ١٧٠ ا وسيشار اليه في الهوامش فيما بعد « هاوي الفنون » .
(٤٤) جاهظ ، التاج ص ٤٦ .
(٤٥) احمد ابن محمد ابن خلكان (المتوفي ٦٨١/١٢٨٢) وفيات الاعيان وانباء الزمان (معجم السيرة لابن خلكان) ترجمة M. G. De Slane اجزاء باريس ١٨٤٢ - ١٨٧٨ الجز الاول ص ١٧ .
(٤٦) ابو الحسن هلال ابن المحسن الصابي (المتوفي ٤٤٨/١٠٥٦) ، رسوم دار الخلافة ، نشره ميخائيل عواد ، بغداد ، مطبعة العاني ١٣٨٣/١٩٦٤ ، ص ٣٢ - ٣٣ .
(٣٧) نفس المصدر السابق ص ٣١ .
(٤٨) الاغاني ٣ الجزء ٥ ص ٢٠٣ ، ٢٥٨ .
(٤٩) نفس المصدر السابق الجزء ١٤ ص ١٨٧ .
(٥٠) الاغاني ١ الجزء ١٨ ص ١٢٦ .
(٥١) رسالة يحى ابن المنجم في الموسيقى ، اصدار زكريا يوسف ، القاهرة ، دار القلم ١٩٦٤ ص ١٧ .

حول تاريخ الفلك



في العصر الوسيط في اليمن

د. دافيد كنج

○ كان علماء الفلك في العالم الاسلامي من القرن الثاني الهجري الى القرن العاشر الهجري من ابرز علماء الفلك في عصرهم. ففي خلال هذه القرون الثمانية قام علماء الفلك من المسلمين بارصاد جديدة ووضعوا الجداول وابتكروا الاجهزة الجديدة. وبوجه عام فقد حققوا تقدما في كل ناحية من نواحي ذلك العلم الذي كان محلا لاهتمامهم.

نشرت هذه المحاضرة التي القاها دافيد كنج في صنعاء، ١٩٧٤ في مجلة الاكليل العدد الاول كانون الثاني ١٩٨٠.

ولقد انتقل جزء صغير جدا من اعمالهم وانجازاتهم الى اوروبا في العصور الوسطى بينما ظل الجزء الباقي وهو الجزء الغالب دون ان ينتقل الى خارج العالم الاسلامي. وهذه الاعمال القليلة التي وضعها الفلكيون المسلمون والتي عرفتها اوروبا في العصور الوسطى هي الان معروفة الى حد ما لدى مؤرخي العلوم، ولكنها لا تمثل بحال ما انجازات المسلمين في الفلك.

ان العدد الضخم للاعمال الفلكية الاسلامية والتي لم تكن معروفة في اوروبا خلال العصور الوسطى، انما تعكس في الحقيقة الانجازات القيمة التي حققها هؤلاء الفلكيون، وهي الان معروفة فقط عن طريق الدراسات الحديثة للمخطوطات.

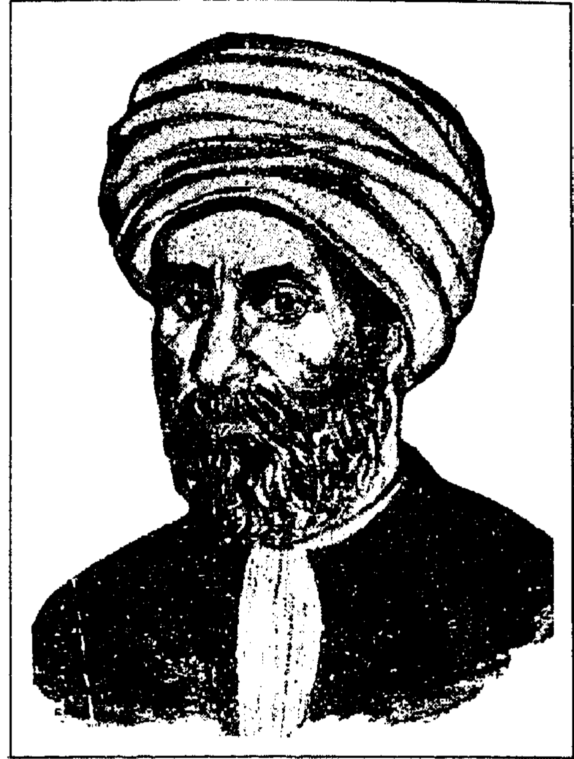
وتحتفظ المكتبات الكبرى في العالم العربي بمجموعات ضخمة من المخطوطات العربية العلمية، ومعظمها لم تمتد اليه يد الدراسة في الازمنة الحديثة. واكبر هذه المجموعات، وهي حاليا موجودة في اسطنبول وفي القاهرة، تحتوي على الآلاف العديدة من المخطوطات العلمية. وهذه المصادر الثمينة لم يجر تبويبها تبويبا مناسبا بعد.

وكل ما وضع بشانها لا يتعدى ان يكون قوائم باسماء المخطوطات واسماء مؤلفيها، كما ان كثيرا من هذه المخطوطات جاء ذكر بيانها على انها مثلا «مقالة في علم الفلك» او «جداول فلكية» دون ذكر اية معلومات اخرى عنها. وعملي في القاهرة حاليا كمدير مشروع مؤسسة سيتسونيان الامريكية في تاريخ علم الفلك الاسلامي يتضمن اجراء حصر اولي للمجموعة الضخمة من المخطوطات العلمية المحفوظة في القاهرة، ولاسباب ساوضحها في سياق كلمتي هذه فاني مهتم بنوع خاص في المجموعات المحفوظة في مكتبات صنعاء وتعز ايضا.

وتشتمل المكتبات الكبرى في اوروبا ايضا على المئات من المخطوطات العربية في علم الفلك. وقد نشر لكثير من هذه المكتبات فهارس دقيقة، ووضع مؤرخو العلوم دراساتهم وأسسوها بصفة رئيسية على المخطوطات العربية الكائنة في المكتبات الاوروبية فيما يتعلق بتاريخ علم الفلك في العصور الاسلامية. ومن الواضح تماما انه اذا امكن دراسة المجموعات الموجودة في اسطنبول والقاهرة ومكة ومشهد وفي اليمن، فان الصورة التي لدينا عن انجازات العلماء المسلمين ستحسن الى مدى بعيد.

واود ان اذكر هنا اسمين لعالمين اضافت بحوثهما الكثير من المعلومات التي لدينا عن علم الفلك الاسلامي. اول هذين العالمين هو مؤرخ العلوم السويسري هاينريخ سوتر. ففي عام ١٩٠٠ قام سوتر بوضع قائمة لجميع علماء الفلك والرياضيات من المسلمين وكذلك اعمالهم. كما انه اضاف الى هذا بيانات لجميع مخطوطات اعمالهم مما كان معروفا لديه. وتضمنت قائمته ما يزيد على خمسمائة اسم. وقد سئل مرة عن السبب في انه لم يضع كتابا عن تاريخ علم الفلك الاسلامي ولكنه ادرك ان معظم الاعمال التي وضع قائمة بها لم تجر بشانها اية دراسات في العصور الحديثة. والعالم الثاني هو المؤرخ الامريكي ادوار كنيدي، ففي عام ١٩٥٠ قام كنيدي بوضع قائمة لجميع المؤلفات الفلكية الاسلامية المعروفة باسم «الزيج» (جمعها ازياج). والزيج كتاب يتضمن جداول لتحديد مواقع الكواكب ولحساب الكسوفات والاقترانات ولحل مشاكل فلكية اخرى. ومعظم الازياج هي جداول كبيرة تشتمل احيانا على مئات عديدة من الصفحات ولقد نشر منها ثلاثة ازياج فقط، وهي ازياج العلماء الثلاثة المشهورين: الخوارزمي، والبتاني، والبيروني. غير ان قائمة الازياج الاسلامية التي وضعها كنيدي تضمنت ١٢٠ زيجا، كما استطاع كنيدي ان يحدد مكان العشرات من هذه الازياج في مكتبات المخطوطات حول العالم، رغم ان العديد منها كان قد فقد بدون امل في العثور عليها.

وقد بدات دراساتي في علم الفلك الاسلامي ببحوث في مختلف الازياج. بيد انني منذ خمس سنوات مضت اكتشفت مخطوطا عربيا في دبلن - ايرلاندة ، يحتوي على مجموعة من الجداول في علم الميقات وكانت هناك مائتا صفحة تقريبا من هذه الجداول تتضمن ما يربو على ٣٠٠٠٠ قيد - اعني



البتاني

رقما – وجميع هذه الجداول كانت محتسبة للقاهرة وكانت تهدف الى حساب الوقت من ارتفاع الشمس وتنظيم مواقيت الصلاة، ولم نكن نعرف قبل ذلك ان الفلكيين المسلمين كانوا قد وضعوا جداول مماثلة محتسبة لكل من دمشق والقدس وتونس وبغداد واسطنبول، واخيرا وليس بآخر لمدينة تعز.

ويوجد فعلا الآلاف من المخطوطات لدراسة علم الفلك الاسلامي وهي مخطوطات الازياج، وجداول للميقات، وقوائم لمواضع الكواكب، ومقالات عن الاجهزة الفلكية وغيرها من موضوعات فلكية اخرى، مثل رؤية الهلال في غرة الشهر العربي.

واعود الآن الى الموضوع الرئيسي في محاضرتي هذه ألا وهو تاريخ علم الفلك في اليمن. وأود اولا ان اذكر انني لن اهتم في حديثي هذا بالفولكلور الفلكي، ولكن بعلم الفلك الرياضي فقط. وكما تعلمون دون شك، فان اوائل الثقافات التي ظهرت في جنوب الجزيرة العربية اهتمت كثيرا بالفولكلور الفلكي، وكذلك بفصول السنة المتغيرة وبحركة الكواكب اثناء الليل. وقد استمر ربط الدورات الزراعية بالفلك حتى يومنا هذا كما ترون مثلا في تقويم الجيل الجديد المنشور سنويا في صنعاء. وما اود الحديث عنه انما ينصب على علم الفلك الرياضي في اليمن وهو الذي كان اكثر تعقيدا من مجرد الفولكلور الفلكي والذي تم اكتشافه خلال السنوات القليلة الماضية فقط، هذا من بحوث جرت على مخطوطات يمنية محفوظة في اوروبا. ومن الاسباب الرئيسية لزيارتي هنا هو اعتقادي بانه سيمكن لنا الحصول من المخطوطات المحفوظة في اليمن على صورة اكثر وضوحا لاجتهادات وانشطة علماء الفلك في اليمن.

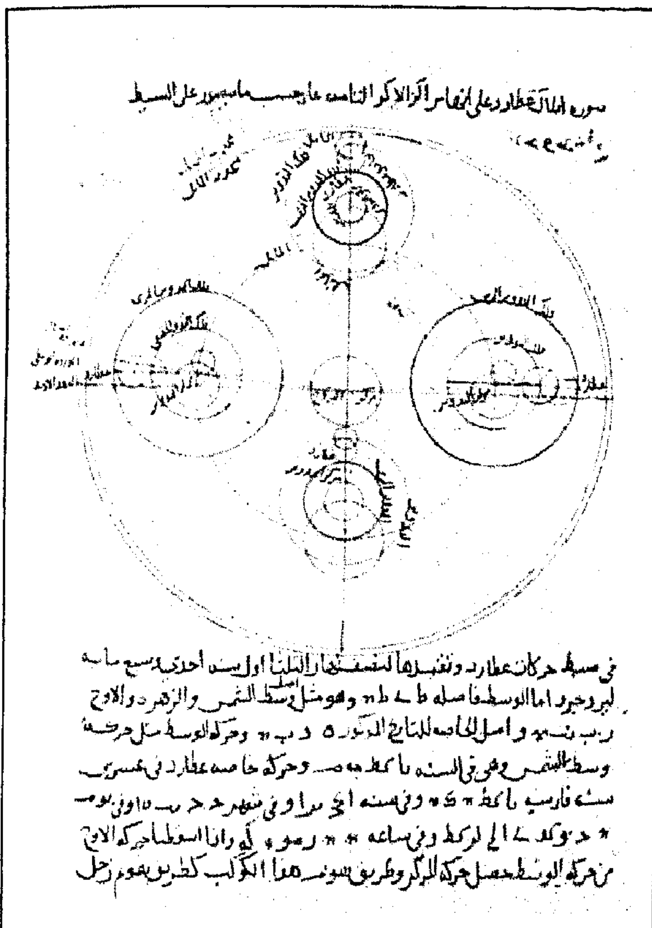
واول عالم فلكي يمني ينبغي ذكره هنا هو العالم الحسن بن احمد الهمداني صاحب كتابي الاكليل وصفة الجزيرة العربية والذي عاش في القرن الرابع الهجري وقام الهمداني بوضع زيج عم استخدامه في اليمن. على ان الزيج الذي وضعه لم يعد موجودا الآن. كذلك فاننا لا نعرف بوجود اي فلكي يمني آخر يكون قد ظهر فيما بين القرن الرابع الى القرن السادس الهجري، على انه فيما بين القرنين السابع والثامن الهجري اي خلال ايام بني الرسول كانت هناك انشطة كبيرة في علم الفلك في اليمن.

ومن علماء الفلك اليمنيين الذين ظهروا في منتصف القرن السابع الهجري العالم محمد ابن ابي بكر الفارسي – وبناء على ما ذكره الخزرجي، فان الفارسي ولد في عدن، وكان من اهم اعماله زيج كبير يشتمل على جداول للكواكب وغيرها من الجداول الفلكية محسوبة خصيصاً لعرض مدينة صنعا – وقد اهدى الفارسي زيجة الى السلطان المظفر يوسف ابن عمر، واسماه بالزيج المظفري، وتحتفظ مكتبة جامعة كمبريدج بمخطوط لهذا الزيج، وكما تشير ملحوظة مدونة على غلافه الخارجي، فان هذا المخطوط تم شراؤه في المخاء عام ١٦٣٩ مقابل ٢٠٠ ريال، وقد اجريت اول دراسة عليه عام ١٨٢٠ عندما نشر البروفسير (صمويل لي) وصفا مختصرا له. وفي السنوات القليلة الماضية استطعت ان اعثر على نسخة اخرى من هذا الزيج في المكتبة الظاهرية في دمشق – وتوجد

صفحة من مخطوطة احد الازياج العربية.

نسخة ثالثة منه ايضا في مكتبة القاضي اسماعيل الاكوع ونسخة رابعة منه في مكتبة الجامع المقدس في صنعاء. واقوم حاليا بوضع تحليل مفصل لهذا الزيج. ويوجد في المخطوط الدمشقي جداول اخرى من وضع فلكي يمني يدعى — اسماعيل بن عطية النجراني — ويبدو ان هذا الفلكي قام بارصاد مستقلة كما اعد زيجا من وضعه هو.

وهناك في المتحف البريطاني في لندن مخطوط عربي جميل يسمى بالزيج المختار من الازياج. وكما يذكر فهرس المتحف فان هذا العمل قد تم تجميعه في القاهرة، بيد ان في ذلك خطأ. ففي الواقع تم جمع هذا الزيج في مدينة تعز بمعرفة فلكي يمني يدعى محمد بن احمد، الشهير بابي العقول. وكان هذا الفلكي يعمل عند السلطان المؤيد داوود بن يوسف في اواخر القرن السابع الهجري، وزيج المختار اكبر بكثير من الزيج المظفري، وهو ذو اهمية خاصة لتاريخ



رسم للطوسي (الثالث عشر ميلادي) يحدّد تحركات عطارد..

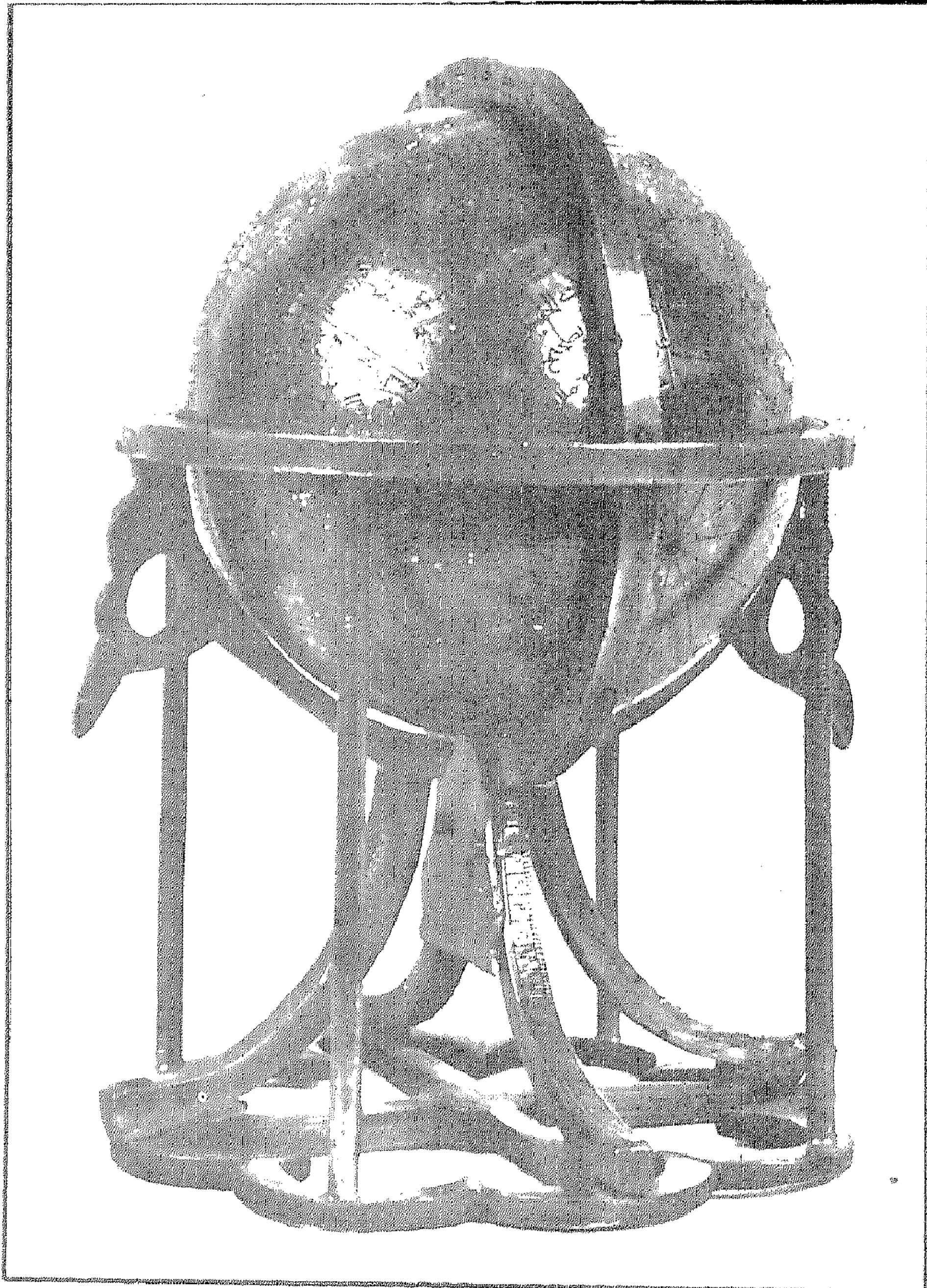
علم الفلك، نظرا لاحتوائه على الكثير مما جاء في زيج مصري يسمى بالزيج الحاكمي من وضع الفلكي الفاطمي ابن يونس المصري. وقد امكن أستخدام زيج المختار لاستعادة المفقود من الزيج الفاطمي. وهو ايضا ذو اهمية لان ابا العقول قدم جداول جديدة محسوبة لعروض عدن وتعز وزبيد وصنعاء.

وهناك ايضا مخطوط محفوظ في مكتبة القاضي اسماعيل الاكوع في صنعاء يتضمن مجموعة من الرسائل عن موضوعات مختلفة من بينها موضوعات مختصة بعلم الفلك. ومؤلف بعض الرسائل الفلكية هو السلطان الافضل العباس بن علي وهذا في حوالي عام ٧٧٥ هجرية. ويبدو ان السلطان نفسه هو الذي جمع الكثير من الجداول الفلكية التي يحتويها هذا المخطوط النفيس. وهناك جداول فلكية منسوبة الى عالم فلكي مصري سابق يدعى ابن يونس، واخرى منسوبة الى الفلكي المغربي الاسبق ابن

علي المراكشي وغيرها كذلك منسوبة الى ابي العقول. ومن الواضح ان السلطان الافضل كان مهتما للغاية في علم الفلك، وتعد كتاباته مصدرا هاما لبحوثنا.

وهناك كذلك في المكتبة الاهلية في باريس مخطوط لزيج ذي اهمية كبرى، وضعه فلكي يمني مجهول، في تعز، في اواخر القرن الثامن الهجري، كما توجد في عدة مكتبات يمنية نسخ من زيجين احدهما لاحمد بن عبد الله السرحي الذي عاش في اواخر القرن الحادي عشر الهجري والثاني لاخيه عبد الله بن عبد الله السرحي المعروف بالمثنى ولم أعرف شيئا عن وجود هذين الزيجين قبل وصولي الى صنعاء منذ اسبوعين. واود هنا ان اشكر السيد القاضي علي محمد الشرفي الذي كان قد ساعدني كثيرا في بحوثي عن المخطوطات المحفوظة في صنعاء والذي عرفني بهذين الزيجين.

وهكذا يصبح لدينا الآن ستة ازياج يمنية مختلفة وهي: الزيج المفقود للهمداني، والزيج المختار لابي العقول، والزيج المظفري للفارسي، والزيج المجهول المؤلف، والمحفوظ في باريس، وزيج السرحي وزيج اخيه المثنى السرحي. ولن

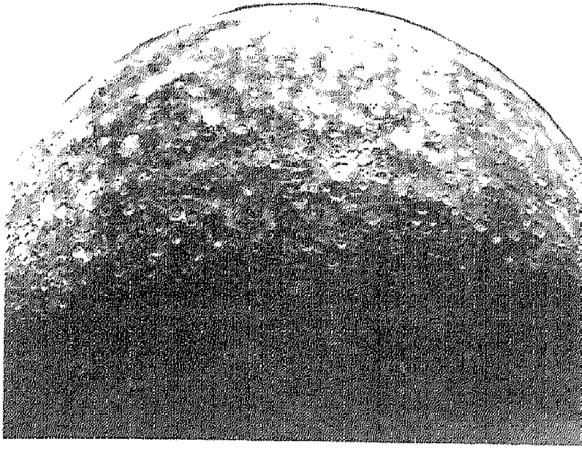


اسطرلاب من كتاب عبد الرحمن الصوفي (الثالث عشر ميلادي).

يدهشني اذا تسنى اكتشاف نسخ اخرى من هذه الازياج في مكتبات صنعاء وتعز - او حتى نسخ من ازياج يمنية اخرى لا نعلم شيئا عنها بعد.

وقد اشرت في مقدمة حديثي هذا الى علم الميقات، وهو علم تحديد الزمن من خلال ارتفاعات الشمس نهارا وحركة الكواكب ليلا، كما انه يهتم بتوقيت الصلاة. وقد ذكرت انه امكن لنا منذ خمس سنوات مضت اكتشاف مجموعة كبيرة من جداول علم الميقات محتسبة لخط عرض القاهرة. وخلال دراستي لهذه الجداول المصرية في مكتبة «امبروزيانا» في ميلانو عثرت على مخطوط وثيق وجدت فيه ان الجداول لم تكن محسوبة لعرض القاهرة بل كانت محسوبة لخط عرض مدينة تعز ويشتمل هذا المخطوط على قليل من الصفحات المتضمنة لجداول - ومن الواضح انه كان يمثل جزءا فقط من مؤلف اكبر بكثير مما عثرنا عليه. وقد تم اكتشاف نسخة كاملة من هذا المؤلف في العام الماضي فقط في المكتبة الاهلية في برلين، واما حاسب هذه الجداول فهو الفلكي اليمني ابو العقول صاحب الزيج المختار الذي ذكرت من قبل. وجداول هذه النسخة اكثر شمولا من الجداول التي كانت تستخدم في القاهرة وفي دمشق وفي غيرها من مراكز علم الفلك الاسلامي. وهي في الواقع تتضمن ما يزيد على مائتي صفحة مليئة بالجداول وتحتوي على حوالي ٨٠,٠٠٠ قيد. هذه الجداول الميقاتية تدل على قدر كبير من استقلال الفكر والمبادرة العلمية لدى ابي العقول، ويسرني ان اخبركم بانني بعد اكتشاف جداول ابي العقول قدمت اسم هذا العالم اليمني الى اللجنة التابعة للاتحاد الفلكي الدولي المختصة باعطاء التسميات لتضاريس سطح القمر.

وقد ضمن ابو العقول جداوله الميقاتية بعض المعلومات عن فصول السنة والفصول الزراعية. وقد استخرج هذه المعلومات ودونها في رسالة مستقلة اسماها باليواقيت في المواقيت، وهي حتى الآن موجودة في عدة مخطوطات. وهناك مؤلف آخر يشتمل على مجموعة اخرى من الجداول لتوقيت الصلاة عند خط عرض



مَن من فلكيي العرب سيطلق اسمه على احد تضاريس القمر؟

اليمن، من وضع محمد بن عبد اللطيف الثابتي، وهو سوري الاصل. وكان من اهالي زبيد في منتصف القرن الحادي عشر الهجري. وقد اقتبس علماء فلكيون آخرون بعضا من جداوله فيما بعد ويستخدم اهالي حضرموت حتى الآن التقويم المسمى بالحساب الشامي، المقتبس من الثابتي.

ان صورة تاريخ الفلك في اليمن كما حاولت وصفها هنا الآن هي صورة غير كاملة فهناك الكثير من البحوث التي ينبغي اجراؤها على المخطوطات اليمنية المحفوظة في اوروبا. وعلى الاخص المخطوطات الفلكية المحفوظة في مكتبات اليمن. وبعد هذه البحوث سيمكن لنا وضع صورة اكثر وضوحا، ليس فقط عن الفولكلور الذي استمر في اليمن حتى الآن، وكان قد ظهر في اسبق العصور، ولكن ايضا عن علم الفلك الرياضي الذي كان فلكيو بني الرسول يمارسونه هنا. وثبت لنا من المخطوطات التي امكن اكتشافها حتى الآن ان اليمن في ايام بني الرسول نافست عواصم اخرى مثل القاهرة ودمشق كمركز بارز لعلم الفلك في العالم الاسلامي. ■

---

* في العدد القادم سننشر تعقيبا على المحاضرة هذه للدكتور عبد الله الحبشي.



كتب وردتنا

تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي

سيف مرزوق الشملان

مطبعة حكومة الكويت - ١٩٧٥م.

سيف مرزوق الشملان

تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي

الجزء الأول

تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت



يقع هذا الكتاب في اربعة اجزاء، الجزءان الاول والثانى يتناولان تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت، والجزءان الثالث والرابع عن تاريخ الغوص على اللؤلؤ في بلدان الخليج العربي وسواحل فارس والجزر.

ونحن في عرضنا لكتاب المؤرخ الاستاذ سيف مرزوق الشملان، نتعرض للجزءين الاولين منه، ولو توفرت لنا الاجزاء الباقية لما تأخرنا عن عرضها لما يحتويه هذا الكتاب في جميع اجزائه من فائدة علمية تاريخية واجتماعية يستفيد منها الدارسون العرب وكل من يهتم بدراسة المكونات الثقافية والحياتية للمجتمع الكويتي بشكل خاص والمجتمع الخليجي بشكل عام.

يبدأ الاستاذ الشملان كتابه بحكمة قديمة يستبق فيها الاحكام ليؤكد على أن الانسان ماكتب كتاباً يومه الا قال في غده لوغير هذا لكان أحسن. ولو زيد هذا لكان يستحسن. ولو قدم هذا لكان أجمل ولو ترك هذا لكان أفضل، وهذا في أعظم العبر. وهو دليل على إستيلاء النقص في جملة البشر.

ولكن لوتسلح الكاتب بالصبر والاناة، لوجد أن الاحكام جاءت جميعها لتؤكد على اهمية هذا المؤلف ولتنوه بجهد واضعه الذي ماترك حلقة مفقودة في تاريخ الغوص على اللؤلؤ والغواصين في الكويت والخليج العربي إلا وسدها بمعلومات وافية ومدعومة كتابياً وشفوياً واوراقاً قديمة.

هذا وتجدر الاشارة أن جميع الاحكام مصدرها شخصيات مشهود لها بالخبرة الواسعة بأمور الكويت والخليج العربي. ومن أوائل هؤلاء سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح وزير الداخلية الكويتي الذي نوه بالمجهودات الضخمة التي بذلها المؤلف من أجل جمع المعلومات والصور القيمة.

والمرحوم الدكتور أحمد زكي رئيس تحرير مجلة العربي الكويتية الذي أختصر كتاب المؤلف بقوله: «هو كتاب مثلت فيه شخصية الكاتب من حيث النشأة والمكان، فهو في المجهود الذي بذله عانى معاناة المؤلفين القدماء وعانى صبرهم... ولم تفته مع ذلك حداثة هذا العصر فترك للعلم الحديث يقول في قديم المعرفة ما شاء، ويصحح الاوضاع».

وغيرهما الكثير في الادباء والمؤرخين

والباحثين والمهتمين بشؤون الخليج العربي، وجميعهم أثنوا على جهد المؤلف وعلى موهبته في تتبع تواريخ الاشياء وعلى صبره وجلده في البحث عن المصادر في أي مكان يعرف لها وجوداً فيه. فقد جاب منطقة الخليج وذهب إلى كثير من البلدان العربية وغير العربية وطاف بأنحاء كل بلد زاره متتبعاً وباحثاً عن مصادر المواضيع التاريخية والعلمية والاجتماعية والادبية وعن تاريخ اصحابها وحركاتهم.

يبدأ الكتاب بمقدمة المؤلف يتعرض فيها لتاريخ الكتاب كيف تألف، وكيف جمع المعلومات من أجل تأليفه ثم يأتي على ذكر البيئة التي نشأ فيها، وهو نشأ في اسرة ذات خبرة واسعة بشؤون اللؤلؤ والغوص عليه. ومما يبدو أن نشأته تلك كانت الدافع الرئيسي على تأليفه ذلك الكتاب لما كان يحس به من مسؤولية تجاه إظهار حقيقة حياة الغوص المضنية التي كان يحياها الغواصون وما كانوا يتعرضون له من مخاطر وأهوال. يتعرض المؤلف بعد ذلك لوصف البيئة، فيذكر موجزاً لتاريخ وجغرافية الكويت، ثم يتناول موضوع اللؤلؤ في القرآن الكريم وكيف أشار اليه، وكذلك في الحديث الشريف، وفي الطب العربي القديم وفي اللغة العربية، وفي الادب وكيف كان الادباء يصفون اللؤلؤ، وفي الشعر وكيف كان الشعراء يتغنون به. ثم يذكر الكتب التي سميت بأسماء اللؤلؤ ثم يتكلم عن البحر في اللغة العربية وعن الغوص على اللؤلؤ عند العرب في الجاهلية والاسلام وكيف كانوا يتزينون به في ذلك الوقت. ثم يتطرق الى بحث علمي كتب عن العرب يتناول كيفية تكوين اللؤلؤ.

ثم يتكلم عن اللؤلؤ الصناعي وتاريخه، وكيف استطاع أن يؤثر على اللؤلؤ الطبيعي ويكسد سوقه ويضارب عليه في الاسواق العالمية. ثم يستعرض الصحف والمجلات القديمة التي تحدثت عن اللؤلؤ والغوص عليه.

بعد هذا العرض المستفيض عن اللؤلؤ وتاريخه يبدأ المؤلف بالكلام عن الكويت والبحر، وما يتعلق بهما من سواحل وموانىء وجزر «ونقع» اي احواض السفن - عددها واسمائها - وعماير، جمع عمارة، وهي المحلات التي تباع فيها ادوات السفن ولوازمها، ثم يتحدث عن البحر في حياة الكويت من حيث انه الاساس وعماد الحياة فيها ولولا البحر لما ازدهرت ونمت وذاع صيتها في البلدان.

يبدأ بعد ذلك، في الحديث عن الغوص على اللؤلؤ في الكويت، فيصف فيه الغوص مع ذكر مواسمه، الغوص فيه، وسفن الغوص وانواعها والبحارة وعددهم في سفن الغوص، وأنواعه ومواسمه. ثم يأتي على ذكر الفتاوي التي تمنع الغوص في شهر رمضان والتي صدرت ايام الشيخ مبارك الصباح، ومن ثم يتحدث عن الطواشين أي تجار اللؤلؤ وكيفية عملهم، فهم كانوا يذهبون بسفنهم الى الغواصين في عرض البحر لشراء اللؤلؤ منهم.

ثم يتعرض لاوزان اللؤلؤ وما كتب في ذلك إذ ان له اوزاناً وانواعاً مختلفة، ويذكر اسماء هذه الاوزان. ثم يذكر امثلة عن مجازفات تجار اللؤلؤ، ثم يرد احصائيات عامة عن الغوص في الكويت والخليج العربي مع نماذج مما استطاع الحصول عليه من رسائل قديمة تتعلق بالغوص.

ويتكلم بعد ذلك، عن عمل الغوص، وعن ادواته وكيفيته، وعن اشهر الغاصة وتفننهم في الغوص وكلامهم واشاراتهم ومزاحهم في قاع البحر، وفضل هؤلاء الغاصة على غيرهم من بقية بحارة سفن الغوص.

واخيراً يتكلم عن مخاطر الغوص واهواله، ويذكر أسماء الاسماك الخطرة التي تهدد حياة الغاصة بالموت او الشلل كما يأتي على ذكر الامراض التي قد تصيب الغواصين وكيفية علاجها. هذ ولم ينس ان يأتي على ذكر أنواع الطعام الذي يتناوله الغاصة اثناء مواسم عملهم، والماء وكيف يحصلون عليه.

كل ذلك مزين وموضح بعدد كبير من الصور ولوحات السفن الملونة التي تضفي على الكتاب طابعاً مميزاً ومشوقاً يساعد القارىء على إستيعاب ما يقرأه.

هذا بالاضافة الى خارطة توضيح مغاصات اللؤلؤ (الهيرات) كما يسميها رجال الغوص.

أما الجزء الثاني من الكتاب، فيستكمل المؤلف فيه رحلته في متاهات اللؤلؤ والغوص عليه. فيتعرض لهجرة تجار اللؤلؤ من الكويت الى الاحساء والبحرين عام ١٩١٠، ولما كان لتلك الهجرة من مغزى سياسي ومدلول اقتصادي على الحياة في الكويت، ثم يخص الغوص على اللؤلؤ يوم عيد الاضحى بشرح مفصل، كما يأتي على ذكر الغوص في جزيرة سيلان، وعلى ذكر قانون الغوص بشكل عام وقانون الغواصين في الكويت بشكل خاص والذي صدر عام ١٩٤٠م.

ثم يتكلم المؤلف عن الاعلانات الحكومية فيما يتعلق بالغوص على اللؤلؤ في الكويت في سنة ١٩٣٢ الى ١٩٥٩م. وعن نكبة الغوص على اللؤلؤ واسبابها، وعن الغوص على اللؤلؤ في الوقت الحاضر وبيع المحار كما هو، ويذكر ايضاً اسماء اشهر الطواشين ونواخذة الغوص في الكويت مع ذكر لعمليات الغوص في ساحل العبدان عند حدود الكويت القديمة مع المملكة العربية السعودية. ثم يأتي على ذكر حوادث القتل والغرق في الغوص، وعلى وصف حبل مرساة السفينة وكيف يسحبه البحارة، والبادرة اي المرساة، ثم يتعرض لذكر الطرب البحري «النهمة» مع ذكر اشهر اسماء المطربين. ثم يتكلم عن تجار اللؤلؤ، وعن احتفالات «القفال» اي عودة الغواصين من رحلتهم الشاقة التي تكون قد دامت اربعة شهور وايام.

ولكي لايفوت المؤلف امراً من امور الغوص واحواله جاء على ذكر الافلام السينمائية التي اتمت واخرجت عن الغوص على اللؤلؤ مع نقدها وشرح مفصل لها.

واتماماً للفائدة اتى على ذكر الالفاظ والتعبيرات والمصطلحات التي يستعملها الغواصون واهل البحر مع اسماء سفن الغوص في الكويت. ويختم الاستاذ الشملان الجزء الثاني من مؤلفه، بذكر اهم المغاصات «النجيبة» التي يدعونها «التباري» مع بعض الاضافات التي تتعلق بالغوص والبحر واعماله.

ونخلص للقول، ان كتاب الاستاذ سيف مرزوق الشملان، هو كتاب فريد من نوعه من حيث موضوعه ومصادره وصوره ولوحاته، وهو حقاً قد سد فراغاً في المكتبة العربية.

■

◆ إن أبا دجانة الانصاري رضي الله عنه كان يواظب على الصلاة فجرا خلف الرسول في المسجد .

لاحظ النبي صلى الله عليه وسلم انه يخرج مسرعا بعد انتهائه من الصلاة ، فاستوقفه يوما وسأله : يا أبا دجانة أليست لك عند الله حاجة ؟ قال : يا رسول الله إنه ربي ولا أستغني عنه طرفة عين . فقال الرسول : لماذا لا تنتظر حتى تختتم الصلاة معنا ... وتدعو الله بما تريد ! قال أبودجانة : إن لي جارا من اليهود وله نخلة تمتد فروعها في صحن داري ، فاذا هبت الريح ليلا سقط رطبها عندي ، ولذلك أخرج مسرعاً لاجمع ذلك الرطب وأرده إلى صاحبه قبل ان يستيقظ اطفالي فيأكلون منه وهم جياع .. واقسم لك يا رسول الله انني رايت أحدأولادي يمضغ ثمرة ، فأدخلت اصبعي في حلقه وأخرجتها قبل ان يبتلعها . ولما بكى ولدي من ذلك قلت له : أما تستحي من وقوفي أمام الله سارقا !...

وعندما سمع ابوبكر الصديق هذا الكلام ذهب الى اليهودي واشترى منه النخلة ، ووهبها لابي دجانة واولاده ... فلما علم اليهودي بحقيقة الامر جمع اهله ، وذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم وأعلن إسلامه .

غيلين
الرجل الذي لا وجه له

أغرب وأخطر جاسوس في القرن العشرين



ترجمة:
تاريخ العرب والعالم

الحلقة الاولى

■ ان اخطر جاسوس في القرن العشرين هو بلا شك «راينهارد غيلين» الرجل الخفي الذي ظل يقفز، بدهائه، وسعة حيلته، وجلده الذي قل ان يكون له ضريب، من ضابط صغير نكرة في الجيش الهتلري الى اكبر المناصب العسكرية. حتى انتهى به الامر الى ان اصبح مديرا عاما لمخابرات هتلر التي كانت تقف بالمرصاد للحلفاء ابان الحرب العالمية الثانية.

بل لقد استطاع هذا الرجل العجيب، ببراعته، وذكائه، وقدرته الخارقة حقا في تجنيد اقدر الجواسيس واخطرهم، ان يبث عيونه في مجلس الحرب الذي كان يرئسه ستالين الرهيب، كما تمكن من تدريب عدد كبير من الجواسيس المهرة، واسقاطهم بالمظلات في عدة اماكن في الاتحاد السوفياتي واوروبا وظل طيلة ربع قرن يدبر اخطر عمليات التجسس، واستطاع بوسائله الشيطانية ان ينقذ المرشال تيتو من الاغتيال بايدي امهر الرماة الذين بعث بهم رجال الكرملين للقضاء على الزعيم اليوغوسلافي بعد ان ابى إلا ان يقف منهم موقف الند للند، ويعلن استقلاله عن زعامة موسكو ايثاراً لسياسة عدم الانحياز.

ولقد ساهم هذا الرجل، في الحرب الباردة التي نشبت بين المعسكرين الكبيرين الغربي والشيوعي في اعقاب الحرب العالمية الثانية، وكان دوره فيها من الخطورة الى حد دعا كبار الساسة في المعسكرين الى اعتباره «ساحر الحرب الباردة» اذ كان له دور ضخم، واسع النطاق في الحرب الباردة ضد المعسكر الشيوعي.

وقد سجل «غيلين» لنفسه في هذا المضمار انتصارات عظيمة خلال اصعب مراحل المواجهة بين الغرب والشرق في الخمسينات، وفي اثناء ذلك عين مديرا عاما لادارة المخابرات في المانيا الاتحادية الجديدة، وسرعان ما اصبح اقرب المقربين الى المستشار «كونراد اديناور» بعد ان ابدى براعة قل ان يكون لها نظير في امداد حلف الاطلنطي بمعلومات حيوية من داخل المعسكر الشرقي كانت ذات فوائد لا تقدر بثمن للمعسكر الغربي.

ولقد نجح، ابان الحرب العالمية الثانية، في بث جواسيسه داخل اقرب الدوائر الى مجلس حرب ستالين كما ذكرنا، واستطاع ان يتفاهم مع الاسرى من ضباط الجيش الروسي، ويقنعهم بالتعاون معه، ويغريهم بشتى وسائل الاغراء، ثم يعيدهم الى روسيا لامداده بمعلومات من داخل مقر قيادة القائد السوفياتي الشهير المرشال زوكوف، وغيره من القواد السوفيات، واشترك في انشاء ما عرف باسم «جيش التحرير الروسي الابيض» وتعاون باخلاص وحماس مع كبار الزعماء النازيين وفي مقدمتهم هيملر وغورنغ.

تعاون مع اعداء الامس!

ورأى ببعد نظره ودرايته بفنون الحرب ان القوات الهتلرية اوشكت على ان تمنى بهزيمة ساحقة فاستسلم للقوات الامريكية الزاحفة ولم يلبث ان وجد وسيلة للتعاون مع رجال ادارة المخابرات المركزية الامريكية التي كانت تعرف عنه الشيء الكثير، وظفر بثقتها المطلقة، وقدم لها خدمات اعتبرتها جليلة، فأغدقت عليه المال، وخاصة بعد ان جند لها



ستالين

عدة مئات من الجواسيس من بين الاوروبيين الشرقيين المشردين، ودربهم بعناية فائقة، واعادهم الى ما وراء حدود الاتحاد السوفياتي بمظلات الهبوط او بالزوارق الصغيرة، مزودين باجهزة ارسال غاية في الدقة والتطور.

وفي اثناء الحركة المعادية للشيوعيين التي حدثت في برلين الشرقية خلال عام ١٩٥٣، والاضطرابات المجرية التي انفجرت في غضون سنة ١٩٥٦، كان جواسيس «غيلين» يعملون تحت انوف الضباط السوفيات، ويتصلون لاسلكياً، ساعة بعد اخرى، بمقر قيادة «غيلين».

ونجح خلال تلك الفترة في الظفر بمعلومات من داخل المخابرات الروسية، ومن مخابرات المانيا الشرقية، واستطاع بتلك المعلومات ان يميط اللثام عن عدد من الجواسيس في الولايات المتحدة، وبريطانيا، والمانيا الاتحادية.

النص الكامل لخطاب خروشوف السري

ومن اهم العمليات المثيرة التي قام بها هذا الرجل نجاحه في الحصول على النص



خروشوف



تيتو

الكامل للخطاب الذي القاه خروشوف في اجتماع مغلق عقد بموسكو خلال تلك الفترة، والذي شن فيه حملة شعواء ضارية على ستالين.

ومن تلك العمليات انقاذ المرشال تيتو من الاغتيال، كما ذكرنا، ومساعدة الجنرال ديغول ضد الثوار الابطال الجزائريين، وتنظيم العمليات المناهضة للمخابرات الشيوعية في بلاد قصية مثل كوبا، واندونيسيا.

ومن مغامرات «غيلين» نجاحه في تجنب الوقوع في اسر قوات الحلفاء الغربيين، فقد ظل طليقا حرا بعد سقوط الرايخ بينما اعدم في «نورمبرنج» كثير من الزعماء النازيين او سجنوا، مع انه كان يتعاون معهم تعاونا وثيقا!

وظل طوال حياته لغزا بكل ما في هذا اللفظ من معنى، اذ لم يكن احد يعرف عنه شيئاً حتى في وطنه، وكان نادر الظهور في اي مجتمع دون ان يخفى عينيه بنظارته السوداء، ويغير معالم وجهه، بشاربه المستعار، بل لقد تعذر على اقرب المقربين اليه ان يعرف اسمه الحقيقي، فقد كان يتخذ لنفسه اسماء مختلفة.

وقد سبب نشاطه الجبار ضيقاً شديداً لحكومة المانيا الشرقية فرصدت مكافأة قدرها مائة الف جنيه لمن يتمكن من اغتياله بعد التأكد من شخصيته الزئبقية بطبيعة الحال.

قال «الن دالاس» مدير ادارة المخابرات المركزية الاميركية في مذكرة قدمها للرئيس الاميركي الاسبق هاري ترومان في غضون عام ١٩٤٧، واصبحت اساساً لانشاء تلك الادارة، وهي اول ادارة مركزية للمخابرات الاميركية منذ اعلان الاستقلال.

قال ألن دالاس: «لكي ننشىء ادارة مخابرات مركزية فعالة يجب علينا ان نختار لشغل المناصب الرئيسية فيها رجالا على استعداد لان يمارسوا هذا العمل طوال حياتهم دون ان يفكروا في الاضطلاع باي عمل آخر الى جانبه. ويتعين على كل واحد من هؤلاء الرجال الا ينظر الى عمله في هذه الادارة باعتباره نقطة وثوب الى مناصب ارقى في احد الاسلحة الحربية، او في اية ادارة حكومية اخرى».

واردف ألن دالاس قائلا: «ولا مفر لهذه الادارة من الاعتماد على نخبة مختارة من الرجال الذين يطيب لهم ان يعيشوا نكرات، وان يكونوا راغبين رغبة صادقة في البقاء في هذا العمل بلا اي تردد، وان يبتعدوا عن الاضواء طيلة حياتهم. ويجب على هؤلاء الرجال ان يجدوا متعة ذهنية في العمل نفسه، اي في التجسس ومناهضة الجواسيس، وان يشعروا بالارتياح وهم يؤدون الخدمات التي تحتاج اليها



ديغول

الحكومة، لا ان يطلبوا علناً الاعتراف بقيمة هذه الخدمات واهميتها».

ولم يكن في كلام «ألن دلاس» اي شيء جديد فيما يتعلق بمهمة المخابرات فقد سبقه في تسجيل مثل هذه المعاني اناس مثل والسيغهام وترلو من مؤسسي المخابرات البريطانية، قبل ذلك بقرون.

وقبل ان يضع ألن دلاس صيغة تلك المذكرة التي قدمها الى الرئيس الاميركي الاسبق هاري ترومان كان غيلين قد قدم الى المخابرات الحربية الامريكية كثمن لانقلابه الجديد كل ما لديه من معلومات عن العالم الشيوعي وكل ما اكتسبه من خبرة عن نشاط المخابرات السوفيياتية.

ولم يكن غيلين يعرف في ذلك الوقت ما كان يدور في راس ألن دالاس عن الوسائل التي تكفل النجاح للمخابرات، ولكنه كان مع ذلك يطبق تلك الوسائل نفسها، ذلك انه جبل منذ طفولته على الطاعة العمياء سواء لوالده الضابط البروسي السابق، او لمدرسيه او لرؤسائه العسكريين بعد ان انخرط في سلك الجندية.

من زعامة هتلر الى زعامة العم سام!

وعلى هذا الاساس استقر رايه، بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها، على ان يستبدل بزعيمه القديم هتلر زعيماً جديدا هو العم سام، وذلك ليتسنى له ان يمضي في مناهضة ستالين

وكان حتى في شبابه، كضابط صغير في ادارة العمليات التابعة لقيادة هتلر العليا قد اثبت بادلة قاطعة انه استاذ في التخطيط يندر ان يكون له مثيل، وعبقري في تدبير المؤامرات والدسائس، واعمال التخريب، وكان شديد الميل الى ان يتخذ من الاشخاص ذوي النشاط السياسي المعلن ادوات لعملياته مؤثراً ان يظل هو وراء الستار كمحرك العرائس.

ولقد خدم غيلين هتلر بولاء واخلاص شديدين حتى النهاية المريرة، مع انه كان قد ادرك بل ايقن خلال فترة سابقة طويلة، ببعد نظره وحسن تقديره للامور، ان المانيا الهتلرية بدات تخسر الحرب. ولم يضعف ولاؤه لزعيمه حتى حين لاحظ ان هتلر بدا يتجاهل نصائح وآراء قواده العسكريين الذين عرفوا بالاتزان والتعقل، بل كان يضرب بتوصيات مدير مخابراته عرض الحائط.

ولم يغير غيلين موقفه من هتلر على الرغم من علمه بان زعيمه كان ميالا الى التشبث بآرائه الخيالية، ويرفض الاصغاء الى اهل الخبرة رفضا باتا، او يعتمد على التقارير التي كان يتلقاها من الوحدات العسكرية الاستطلاعية.

ويتضح من الكتاب الذي وضعه غيلين بعد الحرب، انه كان يعرف ان عقل هتلر بدا يختل، وان زعامته ستؤدي الى خراب المانيا، ومع ذلك كان على استعداد للاستمرار في خدمة زعيمه باخلاص وولاء ما دام يمثل السلطة العليا. وآية ذلك انه ذهب في ولائه الى حد اضطلاعه بمهمة انشاء فرق انتحارية من معاقي الحرب وكبار السن، ليبذلوا آخر مقاومة امام الجيش الاحمر في عام ١٩٤٥!

وبعد انقضاء بضعة اسابيع على فشل تلك الفرق – بطبيعة الحال – في اداء المهام التي اوكلت اليها، استسلم غيلين للاميركيين وعرض عليهم خدماته في مقابل مساعداتهم.


هتلر

واستطاع بالاموال الطائلة التي اغدقت بها عليه ادارة المخابرات المركزية الامريكية فيما بعد، ان يعمل على نحو افضل مما كان يفعل في عهد هتلر.

وهنا ينبغي ان نلاحظ انه حرص اشد الحرص على ان يكون رئيس نفسه في تعامله مع تلك الادارة.

وكان نفوذه ضخما في المنظمة التي انشأها تحت رعاية المخابرات الحربية الامريكية في «اوبيرو رسيل» بالقرب من فرانكفورت، ثم في قلعة المخابرات التي انشأها وجعلها اشبه بمعسكر حربي في «بلاخ» بالقرب من ميونيخ حيث كان نفوذه اقوى بمراحل من نفوذه حين كان مديراً لمخابرات هتلر ابان الحرب، اذ كان رؤساء المخابرات الحربية الامريكية وألن دلاس ومعاونوه من كبار رجال ادارة المخابرات المركزية، فيما بعد، يعلقون اهمية خاصة جداً على المعلومات التي كان يمدهم بها.

وحرص غيلين على اخفاء مقر قيادته في «بولاخ» في شكل شركة صناعية، واسدل ستارا كثيفا من السرية على حياته الخاصة والرسمية.

وترددت، آنئذ، نكات عديدة ذات مغزى عن هذه السرية التي احاط بها نفسه، ومما يروى في هذا الشان ان ضابطا اميركيا كبيرا وصل ذات يوم الى مقر قيادته في «بولاخ» وبعد ان اطلع الحراس على بطاقته طلب مقابلة «الجنرال غيلين»فقيل له: «لا يوجد هنا شخص بهذا الاسم».

ولم يكن الحراس يكذبون.. ذلك ان معظم رجال قلعة «بولاخ» كانوا يجهلون اسمه الحقيقي كان بعضهم يعرفه باسم «دكتور شنايدر» بينما لم يكن الآخرون يعرفون عنه شيئا ولم يكن يعرف قسمات وجهه الاعشرات فقط من اقرب المقربين اليه.

ولم ينجح اي صحفي في التسلل الى مقر قيادته ولم يدل هو بأية تصريحات صحفية. وحين نشرت الصحف والمجلات الاميركية والالمانية، في الخمسينات، انباء عن وجود «منظمة سرية للتجسس في المانيا تحت رعاية الولايات المتحدة» لم تستطع الحصول على اية اسرار عن تلك المنظمة.

بل لقد عجز اقدر الصحفيين واكثرهم جرأة وتصميما عن معرفة مقر اقامته، او ما اذا كان متزوجا او له اولاد. والصور النادرة التي نشرت له انما تمثله وهو ضابط صغير بزيه العسكري.

وكانت الصحف الالمانية تطلق عليه اسماء مختلفة، فقد سمته دي فيلت «الرجل ذو الالف سر» و «رجل الظل» وسمته ذي تسايت «جنرال الظل» وسمته صحف ميونيخ «الرجل الذي لا وجه له».

وخلال الاحد عشر عاما التي عمل فيها بمقر قيادته في «بولاخ» لم يسافر الى الخارج الا مرة واحدة، وذلك لتلبية دعوة وجهها اليه ألن دالاس ولم يقبل الدعوة الا بعد الحاح شديد. وحين وصل الى الولايات المتحدة حرص اولا وقبل كل شيء على زيارة مدرسة الجواسيس التابعة لادارة المخابرات المركزية الاميركية في مدينة «مونتيري» بولاية كاليفورنيا.

ولعل غيلين كان الشخصية البارزة الوحيدة التي عجز الصحفيون الاميركيون البارعون في تصيد الانباء عن معرفة مكان اقامتها للظفر بحديث صحفي.

بيد انه أصيب بصدمة عنيفة مزقت أعصابه وهدت كيانه في عام ١٩٦١ لم يكن يتصور ان تحدث له رغم شدة حرصه على أمنه وتكتم نشاطه. ولم يفق من تلك الصدمة على الاطلاق، فقد خانه شخص كان موضع ثقته الى حد ان عينه مسؤولا عن ادارة مكافحة التجسس، واتضح له انه عميل سوفياتي.

كان غيلين اذ ذاك قد ناهز الستين، ومع ذلك أبى ان يتقاعد ويخلد الى الراحة وهدوء البال، على الرغم من ان تلك الصدمة اوشكت ان تقضي عليه.

هل كان نائب هتلر عميلا للسوفيات ؟

نشرت مجلة «دير شبيغل» الالمانية الشهيرة، في عام ١٩٧١، سلسلة مقالات كشفت النقاب عن عدد من العمليات الخطيرة التي نفذها غيلين خلال الاعوام الخمسة والعشرين التي سبقت ذلك العام، وتضمنت تفاصيل مغامراته الناجحة ومناوراته الفاشلة.

وكانت تلك المقالات اول كشف مفصل لنشاطات غيلين الذي كان يعيش، خلال تلك الفترة في ضيعته بولاية بافاريا، وهي الضيعة التي اهدته اياها ادارة المخابرات المركزية الاميركية اعترافا منها بما قدمه لها من خدمات «لا تقدر بثمن» كما قال كبار المسؤولين في تلك الادارة.

وكان طبيعيا ان يستبد الغضب بغيلين بسبب تعليق تلك المجلة الالمانية. وقد استقر رايه عندئذ ان ينشر جانبا من مذكراته في كتاب، وشرع على الفور في مفاوضة ناشر الماني، ورأى ان يمنح ناشرين في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة حق ترجمة مذكراته.

بل لقد ذهب الى ابعد من ذلك، اذ دعا معظم اولئك الناشرين الى ضيعته في صيف عام ١٩٧١ وأطلعهم على ثلاثة فصول من المخطوط المؤلف من اثني عشر فصلا.

ومما أذهل الناشرين، بعد اطلاعهم على جانب من المذكرات ان غيلين قال فيها ان مارتن بورمان نائب هتلر، وزعيم الحزب النازي، كان عميلا للسوفيات، وانه أمد موسكو بكل تفاصيل خطة هتلر الحربية والخطوط الكبرى لاستراتيجيته.

كذلك تملكت الدهشة الناشرين حين علموا من المذكرات ان بورمان فر في شهر ايار (مايو) من عام ١٩٤٥ - عقب انتحار هتلر - من مبنى استشارية الرايخ التي شب فيها حريق كبير، الى الخطوط السوفياتية، وان الروس نقلوه على الفور الى موسكو حيث عاش عدة اعوام عمل خلالها مستشارا للحكومة السوفياتية ولجهاز المخابرات السوفياتي.

لقد كانت تلك المعلومات التي ضمنها غيلين مذكراته شيئاً لافتا للنظر، بل مثيرا، اذ ان البحث لم يكن قد توقف عن ذلك الزعيم النازي الذي فر بعد ان حكمت عليه محكمة نورمبرغ بالاعدام لانها اعتبرته من مجرمي الحرب. وكان قد اشيع منذ ذلك الوقت انه يعيش متخفيا في باراغواي او الارجنتين. بل لقد ذهب عدد من الاشخاص الى حد الادعاء انهم شاهدوه في اربعة عشر مكانا مختلفا في شتى انحاء العالم. واكد بعضهم انه كان يقيم متنكرا في غابات اميركا الجنوبية.

وبعد ان علم كبار الناشرين في اوروبا الغربية والولايات المتحدة بكل هذه الحقائق، اسرعوا الى غيلين يعرضون عليه نشر مذكراته مقابل مبالغ طائلة.

ويقال ان الناشرين الالمان الذين اصدروا المذكرات في كتاب ربحوا ما لا يقل عن مليون دولار بعد ان باعوا حقوق ترجمة الكتاب لعدد من الناشرين في اوروبا والولايات المتحدة.

لقد نشرت مذكرات غيلين في المانيا بعد منتصف صيف سنة ١٩٧١، وخيبت آمال كل الذين كانوا يتوقعون ان تنطوي على اعتراضات خطيرة. فهو لم يتضمن كتابة اية معلومات مبنية على وثائق او مراجع، وانما تباهي بانه استعان برجال من فرق الصاعقة والغستابو السابقين.

ولم يجد القراء في الكتاب الذي انتظروا صدوره بلهفة اي وصف لعمليات التجسس

الكبرى التي نفذها غيلين، او اسماء كبار معاونيه وعملائه. اما اسماء بعض مساعديه التي اوردها في الكتاب، فقد اتضح انها مستعارة. واما العمليات التي قام بها ولكنه فشل فيها، فقد ذكر بعضا منها في الكتاب. ولكن اتضح فيما بعد انه تعمد ان يضلل القراء بما ذكره في الكتاب عن تلك العمليات من ترهات واكاذيب.

وقد ثبت باقوى الادلة والبراهين ان ما ذكره غيلين عن بورمان لا يعدو ان يكون كلاما فارغا وهراء. ففي صفحة ٤٨ من النسخة الالمانية من الكتاب قال ان الاميرال كاناريس قائد البحرية الالمانية ابان الحرب ذكر له ان بورمان كان خائنا، وكان يستخدم جهاز ارسال من نوع خاص لبث رسائله الى موسكو عن خطوط هتلر الحربية.

وأضاف غيلين الى ذلك انه لم يكن يسعه ان يراقب بورمان عن كثب لانه - اي بورمان - كان قوي النفوذ بوصفه نائب هتلر وان اية مجازفة في هذا الصدد يمكن ان تؤدي الى نهايته ونهاية كاناريس.

كان يمكن ان يكون الامر كذلك طيلة وجود النازي في الحكم. ولكن ما الذي منع غيلين من ان يذكر المعلومات التي زعم انه حصل عليها من كاناريس بعد انتهاء الحرب. ولا سيما اثناء محاكمة الزعماء النازيين امام محكمة نورمبرغ وكان غيلين يعمل آنذاك لحساب ادارة المخابرات المركزية الاميركية؟

لم يصدق احد القصة

كذلك ضمن غيلين مذكراته كلاما تبين انه لا نصيب له من الصحة وذلك عن انقاذ القوات السوفياتية بورمان في برلين. ومما قاله في هذا الشان انه تلقى خلال عام ١٩٥٠ معلومات من مصدر «موثوق به» تفيد ان بورمان في روسيا. ولكن حدث بعد نشر الكتاب، ان استدعى غيلين للمثول امام القاضي هورست فون غلاوزناب في فرانكفورت، وكان مكلفا بالتحقيق في جرائم النازيين. ولما ساله القاضي عن ذلك المصدر «الموثوق به» حاول ما وسعته المحاولة ان يراوغ القاضي، ويتهرب من الاجابة عن السؤال، ولكن القاضي ضيق عليه الخناق بالاسئلة الدقيقة المحرجة فلم يسعه الا ان يقول ان احد عملائه في المانيا الشرقية التي كان يحتلها السوفيات، كان قد ابلغه في سنة ١٩٤٧ انه بينما كان يشاهد فيلما في احدى دور السينما عن مباراة لكرة القدم جرت في موسكو، شاهد بورمان بوضوح بين المتفرجين.

تلك هي القصة التي رواها غيلين للقاضي بلهجة جادة. ولم يكتف بذلك بل زعم كذلك انه كان يعرف ان بورمان على قيد الحياة.

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال غاية في الاهمية هو: لماذا لم يذكر غيلين ذلك كله لألن دالاس الذي كان قد عهد اليه في سنة ١٩٥٣ بمهمة التحري عن مدى صحة الشائعات التي ترددت آنئذ عن ان بورمان حي يرزق في مكان ما باميركا الجنوبية.

وقال غيلين في تقرير قدمه في شهر حزيران (يونيو) من عام ١٩٥٣، الى جيمس ماكغوفرن عميل وكالة المخابرات المركزية الاميركية في برلين انه ما دام يتعذر التاكد من قسمات وجه بورمان الحقيقية فان اغلب ظنه ان ذلك الزعيم النازي لقي حتفه اثناء تبادل اطلاق الرصاص في برلين يوم اول ايار (مايو) من عام ١٩٤٥.

وقد اشترك غيلين نفسه في الجهود التي بذلتها خلال تلك الفترة سلطات برلين للعثور على بقايا جثة بورمان، بعد ان زعم ان احد موزعي البريد انه وجد جثة نائب هتلر في حديقة مجاورة لاحدى محطات السكك الحديدية في ليلة ذلك اليوم. وانه دفنها في الحديقة.

وقد حفر رجال البوليس كل شبر في تلك الحديقة، ولكنهم لم يعثروا على شيء. ومع ذلك ظل غيلين صامتا، وابى ان يذكر شيئا عن الموعد الذي جرى فيه البحث عن الجثة.

ولم يشا غيلين ان يتحدث الى الصحفيين عن القصة الوهمية الخيالية التي فاض بها ذهنه المتولد دائما عن وجود بورمان على قيد الحياة، وفراره الى موسكو، الا بعد ان شرع يفاوض الناشرين الذين اعربوا عن استعدادهم لشراء مذكراته بمبالغ ضخمة.

غيلين الذي ضلل الجميع.. وانتصر.



والواقع ان احدا لم يصدق تلك القصة التي اثارت دهشة الجميع، واتهمته عدة صحف المانية بانه ابتكر تلك القصة ولفقها تلفيقا، بيد انه لاذ بالصمت، ولم يحاول الاجابة عن سؤال هام عن الاسباب التي دعته الى تضليل ألن دالاس وادارة المخابرات المركزية الاميركية والسلطات الالمانية، والعملاء الاسرائيليين الذين ظلوا يبحثون عن بورمان في كل مكان طوال فترة تربو على خمس وعشرين سنة؟ هل فعل، ذلك لان القصة عارية عن الصحة؟ ام تصرف على هذا النحو رغبة منه في الدعاية لكتابه؟

ولكنه رفض ان ينطق بحرف واحد حين قال له بعض الصحفيين الانجليز ان القناع قد اميط اخيرا عن اللعبة الضخمة التي لعبها والترهات التي ملأ بها مذكراته التي باعها بثمن باهظ

■ يتبع

■ إن ساعة «بيغ بن»، انتهى العمل فيها عام ١٨٥٨. وظلت تحت الاختبار في المصنع لمدة خمس سنوات، وتزن خمسة اطنان، ويبلغ ارتفاع البرج ٩٠ مترا واستعمل في صنعها ٣١٢ قطعة من الزجاج في لون السماء، اما عقاربها فطول كل منها ٢٧٥سم لعقرب الساعات، و٤٢٥سم لعقرب الدقائق، وهذه العقارب مصنوعة من النحاس ويزن كل عقرب ٩٠ كيلوغرام.

ويتردد صوت «بيج بن» من ارتفاع ١٥ مترا في اعلى السلم اللولبي حيث علق ناقوس ضخم يبلغ طوله ٢٣٠سم على كمرات الصلب المتين، مما جعل الصوت قويا إلى حد بعيد.



■ إذا اردتم رجالا عظاما افاضل، فعليكم بالمراة تعلمونها ما هي عظة النفس، وما هي الفضيلة.

المرأة والأسرة في المجتمع البابلي

نجوى الحسنية



نقش امراة بابلية

شريعة حمورابي

ان من ابرز مميزات البابليين التشريعات التي وضعها اعظم ملوك الدولة البابلية حمورابي في بداية الالف الثاني ق . م . حيث بدأ بوضع تشريعاته منذ العام الثاني من حكمه . ولقد سجلت على عدد من النصب الحجرية . اهمها النصب الذي عثر عليه في (شوشه) حيث ان العيلاميين قد نقلوه الى عاصمتهم في اواسط القرن الثاني عشر ق . م . بعد ان ازالوا بعض سطوره ليسجلوا مكانها نصر ملكهم . وقد نحت هذا النصب من حجر البازلت ويبلغ ارتفاعه حوالي ٢،٣٥م (حالياً موجود في متحف اللوفر) نقش في القسم الاعلى منه لوحة تمثل الملك حمورابي يتلقى التعاليم والشرائع من الاله شمس رب العدالة .

تتألف تشريعات حمورابي من ٢٨٢ مادة تناولت كافة المسائل الاجتماعية ومشكلات الحياة اليومية وما يجب اتخاذه ازاءها، كالقضاء، والامن، وحقوق المحاربين، وعقود الزراعة وشروط القروض . والتعويضات واجور العمال

واصحاب المهن ومسؤولياتهم. كما عالجت مسائل الاحوال الشخصية بما تتضمنه من تقاليد الزواج والطلاق. وقد اتسمت بالشدة والقسوة في معاقبة اصحاب الجرائم كما انها اتبعت مبدأ المماثلة: العين بالعين والسن بالسن والذي جاء اكثر قساوة مما كان عليه في التشريعات السابقة، ولكن اعتماد الشدة والقساوة في تطبيق القوانين يجب الا يعتبر تخلفاً او عودة الى البدائية فهو ينم عن محاولة الدولة في تدعيم السلطة المركزية ضبط الامن والنظام في البلاد ولكن في معظم الحالات التي يلجأ فيها القانون البابلي الى عقوبة الاعدام يكون صاحب الجرم فيه من فئة العبيد او المشكينوم الذي ارتكب خطأ بحق افراد الطبقة الاولى. ولقد ركزت الاساطير البابلية على فكرة خلق الانسان لارضاء الالهة لكن تفكير البابلي الدنيوي كان مرتكزاً على المادة وأن اغلب مواد شريعة حمورابي الخاصة بالاسرة تتناول قضية المال بشتى الطرق منقولة وغير منقولة. وكانت تعير العلاقات البشرية القائمة بين الرجل والمرأة واقاربهم اهمية خاصة، فالمواد المتعلقة بالعائلة خصص لها ٦٤ مادة من اصل ٢٨٢ مادة مجمل الشريعة كلها.

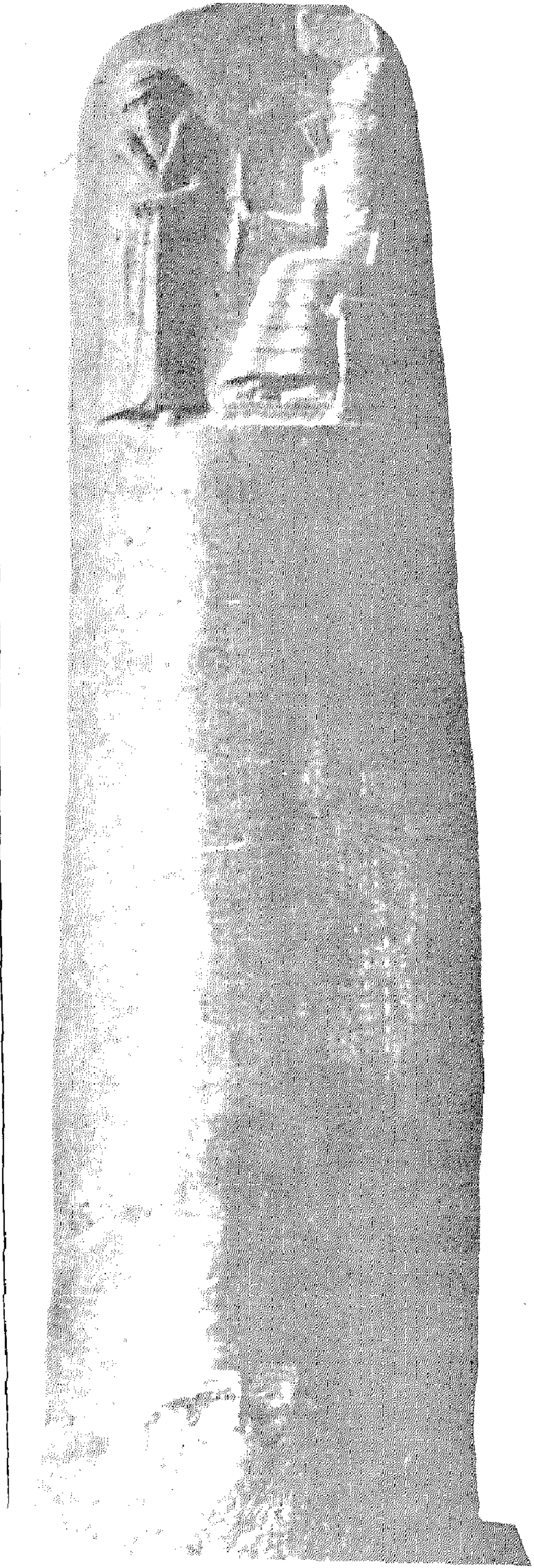
الزواج والطلاق في شريعة حمورابي

تحتل الاحكام الخاصة بالاسرة مكانة بارزة بين قوانين حمورابي حيث تعبر عن نظرة التقدير الى المرأة وحقوقها والحرص على حمايتها وحماية الاولاد القصر، ويحقق نظام الاسرة للمرأة الاستقلال لشخصيتها القانونية في موضوع ادارة املاكها، كما تحدد حقوق ووظيفة كل من الزوجات والخطايا، وقد عثر المنقبون على رقيمات من طين عديدة تخص عقود الزواج لديهم وفيها تلزم الزوجة زوجها بحقوق وواجبات، ومما لا شك فيه ان مثل هذه العقود كانت تنظم الامور بين الطبقات الموسرة من الشعب. اما الطبقات الفقيرة فليس هناك من حاجة لمثلها طالما ان الفرد فيها لم يكن يملك الكثير من حطام الدنيا وحالته المادية لا تساعده على تعدد الزوجات.

نظام الزوجة الواحدة هو القانون يحد من شدته تأمين ذرية للرجل لذا فان عقم الزوجة او مرضها هما من اسباب الطلاق الشرعية، حيث بامكان الزوج ان يتخذ له امرأة اخرى يساكنها في بيته أن كانت زوجته مريضة او عاقر او اذا توفيت الاولى. واذا لم يكن له اولاد من زوجته او من حظاياه واصر على الانجاب يحق له ان يتخذ زوجة ثانية شرط احتفاظه بزوجته الاولى في بيته يعيلها ما دامت على قيد الحياة المادة (١٤٨) والمرأة الثانية لا تحل الا في المقام الثاني من الاسرة، حيث عليها احترام افضلية الزوجة الاولى.

كما ويحق للزوجة العاقر ان تهدى زوجها عبدة بمثابة خليلة، ولربما هدف هذا التدبير الى منعها من اتخاذ اي تدبير تجاهه ان اتخذ له السراري، اذ ان القانون في مثل هذه المواقف التي لا تشرف يكتفي دون شك بالتلطيف من افعال لا مفر منها. وتعرف حالات كثيرة انجب فيها الرجل اولاداً من زوجته ومن خليلته. ولا يمكن بيع العبدة التي غدت موضوع انتخاب كهذا بل تعتق مع اولادها عند موت سيدها. ولكن عليها مع هذا ان لا تنافس سيدتها وان تنجب اولادا، وان اخلت باي من هذه الشروط يحق للزوجة ان تعيدها الى العبودية.

وفي الشرائع القديمة التي سبقت شريعة حمورابي يفرض على الشاب الذي يغتصب فتاة ان يبادر الى طلب يدها من والديها فان ابى لقي حتفه، وهذا التزمت في الشرائع القديمة خفت حدته في شريعة حمورابي، فالدولة لا يعنيها من امر الرجل وحبه السابق شيء الا عندما يقرر عقد الزواج. وبما ان الزواج يتطلب التزامات مالية كبيرة وجب التنظيم. فالناحية المادية تتم على مرحلتين تقديم الزوج هدايا الزواج الى عروسه وبعدها يستلم من والديها الصداق، والذي يقدمه الزوج لحميه عند اعطاء الوعد بالزواج لا يصبح ملكا للزوجة لكنها تبقى المالكة الوحيدة للبائنة التي تجلبها لزوجها اما الهدايا التي من الطبيعي ان يقدمها الزوج لزوجه فلا تستطيع هذه الاخيرة ان تبيعها ولكن لها ملء الحق بالانتفاع منها، ولها وحدها حق


شريعة حمورابي منقوشة على حجر بازلت   متحف اللوفر.

التصرف بكل حرية بما هو ملك لها من اموال منقولة او ثابتة وللعقد الذي هو شرط ضروري واساسي لكل زواج صحيح ان يمنع القاء القبض على شخص الزوجة من قبل دائن زوجها ولكن لا يسري عادة هذا البند الا على الديون التي توجبت على الزوج قبل زواجه، ولكن ينفذ مبدأ التكافل والتضامن للديون التي تعقد بعد الزواج، ولا يستأثر اذ ذاك الزوج بادارة المنافع المشتركة بل نرى الزوجة تتدخل كشاهدة عند عقود البيع، وان كان الزوج جندياً وطلب للخدمة فيعود للزوجة حق ادارة املاكه ان لم يكن له ابن بلغ اشده وتصبح الزوجة في مثل هذه الحالات مالكة ثلث الريع.

ومن مواد هذه الشريعة ما يسمح للزوج - شريطة موافقة المحكمة - ان يضع زوجته واولادها رهينة لسداد دين وضمانة وللحيلولة دون اساءة استعمال هذا الحق واتخاذه بديلا عن الطلاق حددت الشرائع مدة ثلاث سنوات كحد اقصى لرهن الزوجة. وهذه الطريقة لا يلجأ اليها الا القلائل من الرجال ومدة هذا الرهن زيدت ابان عهد الدولة البابلية الثانية على ما كانت عليه وتطور رهن الزوجات والاطفال حتى صار اشبه بتجارة الرقيق.

اما الطلاق فان قوانين حمورابي تبيح الطلاق من حيث المبدأ وتجيز للرجل ان يطلق زوجته اذا هي تصرفت تصرفاً مشيناً المادة (١٤١) اما اذا كان سبب الطلاق لغير ذلك كعدم انجاب اطفال فعلى الرجل ان يعطي المرأة من المال بقدر المبلغ الذي استوجبه زواجه منها اصلا (اي استرداد بائنتها) وعليه ان يعيد اليها المهر الذي دفعته او جاءت به من بيت ابيها مادة (١٣٨) رغم ان الزوج يستطيع ان يطلق زوجته لكن القوانين تحميها ضد قراره التعسفي هذا اذ عليه ان يلجأ الى المحاكم ويثبت شكواه بأدلة عادلة وقويمة. وعلاوة على ذلك فان سوء سلوك الزوج يعطي للزوجة الحق باقامة دعوى مماثلة لتعود الى ذويها (اي الحق بالطلاق)، حتى اذا اهمل القيام بواجباته الزوجية وهنا يجب ان يقرن الطلاق برضاء المحكمة، وفي كلتا الحالتين تأخذ منها كل ما يخصها وغالباً ايضاً تعويضاً تقدره القوانين

تعويضاً عما اصابها من اضرار، وقد منحت المرأة حق الزواج من رجل اخر فيما لو هجرها زوجها الاول لكنه حتم على الزوجة ان تلزم بيتها مادام فيه ما يعيلها واولادها حيث يضاف الى بائنة المطلقة ذات الاولاد نصف املاك الرجل تستعين به في تربية اولادها حتى يبلغوا اشدهم ثم تجتزئ منه نصيباً لها حتى في حال زواجها من رجل اخر.

اما جرم الزنى فقد نصت المادة ١٥٩ منه حيث حددت عقوبة الزنى، فالزوجة الخائنة تلقى مع غريمها في النهر اذا لم يصفح عنها زوجها. وهذه العقوبة كان لها المقام الاسمى في التشريع البابلي. اما جرم الزوج فانه لا يستوجب العقوبة بل يدفع تعويضاً للزوجة فقط.

بعد هذا نستطيع ان نحدد شروط فراق الزوجين او مسببات الطلاق في المجتمع البابلي:

١ – عدم انجاب الاولاد لان ذلك اساس الزواج.

٢ – اذا كانت الزوجة واهنة الصحة وغير قادرة على القيام بواجباتها الزوجية والمنزلية.

٣ – اذا ثبت انها سيئة الخلق وغير محمودة السيرة.

في هذه الحالات يحق للزوج ان يعلن فسخ عقد الزواج وتأخذ الزوجة صداقها او ما تبقى منه واذا كان لها اولاد عليه القيام بأودهم وليس عليه واجبات اخرى تجاههم، ويحق للزوج ابقاء زوجته المطلقة في بيته كخادمة بموافقة المحكمة.

– اما مسألة التبني فانه يتم بموجب عقد وان جرى وفقاً للاصول ودون اي ضغط فان القانون يحمي المتبني في حال جحود المتبنى او والديه الطبيعيين، فالمتبنى الذي يتنكر لاسرته الجديدة يباع كعبد ويستطيع المتبني ان رزق اولاداً فيما بعد ان يفسخ العقد شرط ان يعطى للابن المتبنى الذي يود التخلص منه ثلث الحصة الارثية القانوينة باستثناء الاملاك الثابتة.

النسل والعناية بالحوامل

في الشرائع البابلية نصوص تحرص الدولة فيها على زيادة النسل والعناية بالحوامل، فقد نصت على وجوب المحافظة على الابناء وحسن تربيتهم، والمرأة التي تحاول الاجهاض باية طريقة من الطرق يشهر بها وتضرب على

حمورابي ملك بابل. متحف اللوفر.



ملأ من الناس، واذا ماتت بسبب ارتكابها هذه الجريمة تصبح نجسة ولا تجرى لها الطقوس الدينية الخاصة بالوفاة.

الى جانب ان هناك عقوبات لمن يسبب اسقاط الجنين وذلك بالزامه دفع غرامة للدولة ويحكم عليه بالاشغال الشاقة لمدة شهر وهناك درجات لهذه العقوبة فهي بالنسبة لامرأة حامل من الدرجة العليا خمسة اضعاف التي ينالها الجاني اذا كان المجنى عليها امرأة من الطبقة السفلى وتعمل هذه الشرائع على تعويض المرأة عن فقدانها جنينها.

الفحشاء في المجتمع البابلي

لم يخل المجتمع البابلي من الفحشاء فقد حاول الرجال ايجاد منفذ للتخلص من قيود هذه الشرائع وذلك بتأسيس ملاجيء للبنات في المعابد، الا ان قسما من هؤلاء البنات لم يكرسن حياتهن لخدمة المعبد بل كن يتعاطين البغاء خارجه، وقد وجدت فيه رقيمة من طين كتب عليها ما يحذر الشباب من ملامسة النساء السيئات اللواتي يطلق عليهن اسم (حاريمت) ومضمونها «لا تتزوج من حاريمت الكثيرة الخلان فهي لن تسعفك عند الشدة، انها تشهد عليك في المحاكم ولا تعرف الطاعة ولا الاحترام، كما انها تسيء لسمعة بيتك، فعليك طرد تلك التي تفتن الرجال، لانها تحط من قدر البيت الذي تدخله، ومن يتزوجها يفقد السعادة والخير». رغم ذلك فان البابليين كانوا حرباً على الفاحشة بشرائعهم ونظمهم الاجتماعية.

الأرث

في القوانين والشرائع البابلية تفاصيل كثيرة تشرح موضوع الارث في العائلة، حيث يحدد القانون بدقة قوانين الارث، فان كل ما تملكه المرأة حتى ولو استرجعته معها عند عودتها الى اسرتها يعود الى اولادها ولكن يوجد تميز وتفريق نسبة الى المهور بين الاولاد الذين هم ثمرة عقود زواج متتالية، ويرث الاولاد عن ابيهم الراحل املاكه وامواله، اما زوجته فلها حق الانتفاع بتلك الاملاك واستعمالها كما تشاء مادة (١٧١) وتستثنى الاملاك التي كان قد منحها اياها زوجها قبل وفاته، حيث للمرأة المتوفي زوجها حق التصرف باملاكها الخاصة اما بيعاً او ايجارا حسبما تشاء وهذا ما تنص عليه المادة (١٥٠). ويحق للوالد ان يهب هبات لامرأته او لأي من بنيه او حتى لشخص غريب عن الاسرة ولكنه لا يستطيع ان يحرم ايا من اولاده من الميراث الا اذا سمحت له المحاكم بذلك بسبب ذنب خطير اقترفه المحروم، ويجرى تقسيم الارث بالمساواة التامة اقله بين اولاد الزوجة، ويأمر القانون بالاحتفاظ بما هو ضروري لهدايا العرس التي سيقدمها العازب، ويحرم من الارث اولاد الخليلة ان لم يكن الوالد قد اعتقهم وهو على قيد الحياة، وان كان قد اعتقهم فعليهم مع هذا ان يدعوا لاخوتهم افضلية الخيار بين الحصص، وتحرم البنات من الارث ان كن قد اخذن البائنة والا فلهن حق استثمار حصة معينة.

لقد ابتدع البابليون نظاما للاسرة دعامته كيان العائلة والمحافظة على ميزاتها وجعل للمرأة حقوق ومنزلة، ومهما نسب الى تلك الشرائع من هنات فانها بلا ريب اسدت خدمة كبيرة في عالم التشريع لكثير من الامم فالمثل الاخلاقية السامية التي وردت في شرائع بابل، تلك المدينة التي عفا عليها الدهر وغدت خراباً وركاماً لجديرة بالاجلال والتقدير مدى الازمات والاحقاب.

المراجـــــع:

(١) تاريخ الحضارات العام، المجلد الاول، الفصل الثاني، منشورات عويدات، الطبعة الاولى، ص ١٥٢ - ١٥٤.

(٢) حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، السلسلة الاعلامية، د. احمد سوسه، ١٩٧٩

(٣) محاضرات للدكتور محمد امهز في تاريخ الشرق الادنى القديم، الجامعة اللبنانية، ١٩٧٢

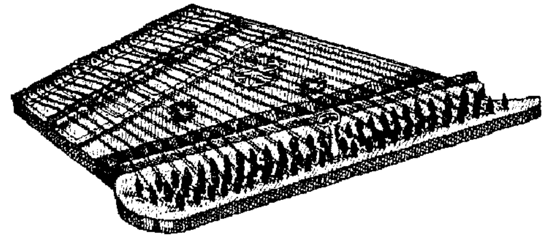
(٤) مجلة العربي الكويتية، العدد ٧٢، ايلول ١٩٦٥

(٥) Sir Frederick Kenyon, The Bible & Archaeology, London, 1940

القانون

اغنى الالات الموسيقية العربية انغاما وآلة ضرورية في فرق «التخت»

اوتار القانون ٧٢ موزعة على مجموعات من ثلاثة اوتار



آلة موسيقية عربية لا غنى عنها في تكوين الفرقة الموسيقية الشعبية المعروفة باسم «التخت» ويظن انها سميت بالقانون لانها اغنى الآلات الموسيقية العربية انغاما وهي لذلك «القاعدة التي يقاس عليها والقانون الذي يشرع به».

ويتكون القانون من صندوق من الخشب على شكل شبه منحرف. والصندوق قليل الارتفاع مفلطح، وظهره ووجهه من الخشب، ويصنع من انواع مختلفة من الخشب، واكثر انواع الخشب استعمالا في صناعة القانون هو خشب الجوز، وظهر القانون اكبر سمكا من وجهه ويوجد في وسط وجه القانون شباك مفرغ من العظم او العاج او الخشب، وتعرف «بالشمسية»، وغالبا ما تكون قطعة فنية من الزخرفة العربية الجميلة، وبجانب الشمسية الوسطى توجد عدد من الشماسي موزعة في شكل هندسي في الزوايا المختلفة من وجه العود، وقد يكون منها واحدة على شكل ورقة شجر مزخرفة.

وأوتار القانون ٧٢ موزعة في مجموعات من ثلاثة بحيث يصدر عن كل ثلاثة اوتار صوت موسيقى واحد وبذلك يتكون القانون من ثلاثة اوكتافات وثالثة كبيرة. وقد تزاد اوتار القانون حتى يصبح نطاقه الصوتي اربع اوكتافات ويشد كل وتر من اوتار القانون بمفتاح خشبي يحركه مفتاح معدني، ينقله العازف من مفتاح خشبي الى آخر. وتقع المفاتيح الخشبية بطول الضلع المائل لشبه المنحرف، بينما ترتكز الاوتار على «فرس» يمتد بطول الضلع القصير للقانون. وتكون الاوتار الطويلة اقرب الى العازف من الاوتار القصيرة التي توضع عند الطرف البعيد للقانون.

واوتار القانون تصنع من مواد مختلفة باختلاف نصف قطرها. فالاوتار الرفيعة تصنع من الصلب، ومتوسطة القطر من الامعاء او النايلون، اما الغليظة فتصنع من الحرير المكسو بخيوط دقيقة، وتسمى «كنتير».

ويعزف على القانون بريشتين صغيرتين رقيقتين يطرق العازف بهما على كل مجموعة من ثلاثة اوتار سويا. وتعرف هذه المجموعة من الاوتار التي تصدر صوتا واحدا باسم «مقام» وتصنع ريشة القانون من قرن الجاموس وتوضع كل ريشة في بطن العقلة الطرفية للاصبع السبابة تحيط بها حلقة من المعدن تسمى «كستبان» وجمعها «كسابين» ويوضع القانون على حامل خاص امام العازف، وقد يوضع على ركبتي العازف مسطحا. وللقانون علبة خاصة يحمل فيها.

ويغير العازف الصوت الصادر عن كل «مقام» اي اوتار ثلاثة تطرق سويا، بواسطة عدد من القناطر النحاسية الصغيرة يرفعها ويخفضها كما يشاء وتسمى «العرب» وكل عربة ترفع يرتكز عليها الوتر بحيث يقصر الوتر قليلا فيزداد الصوت الصادر عنه حدة، اي تعلو طبقته اما اذا خفضت العربة ازداد الوتر طولا. فنقل حدة الصوت، اي تنخفض طبقته قليلا وبهذه الطريقة وبعدد من العربات يمكن تغيير الدرجة الصوتية الصادرة عن اي «مقام» في القانون. والعربة في القانون مستحدثة، وكان عازف القانون يزم الوتر بابهام اليد اليسرى ليغير من الصوت الصادر عنه، وكان الصوت المزموم اقل بريقا مما يصدر الآن من الوتر المزموم بواسطة العربة المعدنية. ■

استجابة لدعوتنا «اصحاب رسائل الماجستير والدكتوراه» في الجامعات العربية للتعريف برسائلهم على صفحات مجلتنا، وصلتنا رسالتان في هذا الصدد من السيد فيصل محمد شقير (ماجستير من جامعة دمشق) والدكتور عماد الدين خليل (ماجستير من جامعة بغداد) ونحن اذ نشكرهما نتمنى ان نكون في فتحنا هذا الباب نيسر جانبا من البيليوغرافيا التاريخية الضرورة لكل باحث ومؤرخ.

جامعة دمشق
كلية التربية
قسم المناهج وأصول التدريس

مشكلات تدريس التاريخ في المرحلة الإعدادية في القطر العربي السوري

رسالة ماجستير في التربية

باشراف الدكتور محمد نهاد حموي   أعدها فيصل شقير

تنبثق اهمية هذا البحث من اهمية مادة التاريخ كمادة تعليمية وتربوية للتلاميذ، ومن الاهمية الكبيرة الملقاة على عاتق هذه المادة ذات الصلة الوثيقة بتحقيق الاهداف الوطنية والقومية التي يطمح اليها المجتمع.

فالتاريخ مادة تربوية هامة ، والتربية هي الوسيلة الأساسية والرئيسية في عملية اعداد الاجيال للحاضر والمستقبل ، ولا سيما في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا العربية بشكل عام ومن تاريخ القطر العربي السوري بشكل خاص .

ومن الواضح أن أهمية التاريخ في حياة الأمم والشعوب لم تعد الآن موضع شك ولم تعد مكانته في مناهج المدارس على اختلاف مراحلها موضع تساؤل . ويرى المربي الكبير ساطع الحصري أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أن التاريخ من أهم عناصر القومية ومن أقوى عوامل الوطنية . وإن رجال التربية والتعليم يتفقون في القول بأن دروس التاريخ من أهم الوسائل لاثارة الشعور الوطني وتنمية الوعي القومي في نفوس التلاميذ .

وتنبثق أهمية هذا البحث كذلك من الدور الذي أخذه على عاتقه في الكشف عن المشكلات التي تواجه تدريس التاريخ في المرحلة الاعدادية ، حيث أنه استهدف الكشف عن أهم المشكلات التي تواجه هذا التدريس مما له علاقة بالجوانب التالية :

أ – الأهداف الخاصة بتدريس التاريخ .
ب – مناهج التاريخ .
جـ – كتب التاريخ المدرسية .
د – طرق تدريس التاريخ .
هـ – الوسائل التعليمية المستخدمة في تدريس التاريخ .
ز – مدرسو التاريخ : طرق اعدادهم وتعيينهم .
ح – عملية التوجيه الاختصاصي .
ط – المشكلات الاضافية التي يشعر بها مدرسو التاريخ .

مع العمل على تقديم بعض المقترحات والتوصيات التي من شأنها أن تساعد على ايجاد الحلول والمقترحات المناسبة لهذه المشكلات .

ولقد تم اختيار المرحلة الاعدادية لعدة أسباب أهمها : ممارسة الباحث لعملية التدريس في هذه المرحلة . ولكون هذه المرحلة تمثل حلقة هامة في حياة التلاميذ ، وخاصة أولئك الذين لا يتابعون دراستهم الثانوية ، ولقد تم تقسيم هذا البحث إلى بابين رئيسيين :

الباب الأول : ويتعلق بالدراسة النظرية .
الباب الثاني : ويتعلق بالدراسة الميدانية .

القسم النظري من المبحث

ولقد تضمن هذا القسم خمسة فصول جاءت على النحو التالي :

الفصل الأول : مشكلة البحث :

ويشمل أهمية البحث ودواعي اختياره ، ثم تحديد مشكلة البحث وحدوده ، ثم فروض البحث الرئيسية والأسئلة التي سيجيب عنها البحث ، يضاف إلى ذلك خطوات البحث والتعريفات الاجرائية لمصطلحات البحث الرئيسية ، ثم عرضا موجزا للدراسات السابقة .

الفصل الثاني : تطور التاريخ وأهميته :

وتكمن أهمية هذا الفصل في تعرضه لطبيعة التاريخ وللتطورات الهامة التي طرأت على هذا العلم عبر العصور التاريخية المختلفة ، بالاضافة إلى توضيحه للفوائد التي يحققها تدريس التاريخ .

الفصل الثالث : كيفية تدريس التاريخ في المرحلة الاعدادية في القطر العربي السوري في الوقت الحاضر (القسم الأول) :

ويشمل هذا الفصل دراسة لبعض الجوانب الأساسية التي لها علاقة بتدريس التاريخ في المرحلة الاعدادية ، وهذه الجوانب هي :

أ - الأهداف الخاصة بتدريس التاريخ مع الاشارة إلى المراحل التاريخية التي مرت بها هذه الأهداف منذ الانتداب الفرنسي حتى الوقت الحاضر والتي أدت إلى ظهور الأهداف الحالية .

ب - مناهج التاريخ في المرحلة الاعدادية : مع الاشارة إلى تطور هذه المناهج منذ الانتداب الفرنسي حتى ظهور المناهج الحالية .

جـ - كتب التاريخ المدرسية المستخدمة حاليا في المرحلة الاعدادية وما تضمنته من موضوعات ووسائل تعليمية مثل : الخرائط ، والصور ، والرسوم ، والخطوط الزمنية والقراءات التاريخية الاضافية وما إلى ذلك .

الفصل الرابع : ويشمل هذا الفصل بقية الجوانب التي لها علاقة بكيفية تدريس التاريخ في المرحلة الاعدادية في القطر العربي السوري في الوقت الحاضر وهي :

أ - الطرق التي يمكن استخدامها في تدريس التاريخ ، والطرق التي يتم استخدامها حاليا في تدريس التاريخ .

ب - الوسائل التعليمية التي يمكن استخدامها في تدريس التاريخ ، والوسائل التعليمية المستخدمة في تدريس التاريخ .

جـ - نظام الاختبارات المستخدم في تقويم التلاميذ بمادة التاريخ .

د - مدرسو التاريخ : طرق اعدادهم وتعيينهم .

هـ - عملية التوجيه الاختصاصي المستخدمة في توجيه مدرسي ومدرسات التاريخ .

لقد ساعدنا هذا الفصل كذلك على تلمس المشكلات الخاصة بهذه الأمور .

الفصل الخامس : ويتعلق بالمشكلات بتدريس التاريخ في المرحلة الاعدادية في القطر العربي السوري :

ويشمل هذا الفصل وصفاً للمشكلات التي تم التوصل اليها والخاصة بالجوانب المختلفة التي لها علاقة بتدريس التاريخ والتي تمت الاشارة إليها في الفصلين السابقين .

القسم الثاني من البحث ويتعلق بالدراسة الميدانية

ويتضمن هذا القسم ثلاثة فصول جاءت على النحو التالي :

الفصل الأول ويتعلق ببناء الاستخبار وضبطه :

أولا / الدراسة الاستطلاعية :

تهدف الدراسة الاستطلاعية في أي بحث من البحوث إلى اختبار أدوات البحث ومعرفة مقدار ثباتها وصدقها ومدى صلاحيتها في أداء مهمتها .

وفي ضوء الآراء الت [illegible]

والمحكمين وفي ضـ [illegible]

والدروس المستـ [illegible] منها فقد تم اجراء بعض التعديلات على الاستخبار بصورته المبدئية ، بحيث شملت هذه التعديلات عدة نقاط من حيث الحذف أو الاضافة أو التعديل .

ثانيا / الاستخبار بوضعه النهائي :

ونتيجة للتعديلات التي تم ادخالها على الاستخبار المبدئي فقد أخذ هذا الاستخبار صورته النهائية وأصبح مؤلفاً من ثماني فقرات رئيسية ، ولقد تضمنت هذه الفقرات مجموعة من العبارات تمت صياغتها على شكل أسئلة بلغ عددها ٤٥ خمسة وأربعون سؤالا تناولت معظم المشكلات الخاصة بتدريس التاريخ والتي تم

التوصل إليها خلال الفصل السابق ومن خلال التعديلات التي أدخلت على الاستخبار المبدئي .

كذلك خصصت فقرة بيضاء في نهاية الاستخبار لآراء المدرسين في المشكلات الاضافية التي لم يرد ذكرها في الاستخبار .

ولقد تم توزيع الاستخبار النهائي في صيف عام ١٩٧٧ على أكبر عدد ممكن من مدرسي ومدرسات التاريخ المتواجدين في مراكز تصحيح اختبارات شهادتي الدراسة الاعدادية والثانوية التابعين للمحافظات التالية : مدينة دمشق ، دمشق ، حلب ، حمص ، حماة ادلب ، الرقة ، اللاذقية ، طرطوس ، الحسكة ، دير الزور ، والقنيطرة .

أما الفصل الثالث فقد جاء تحت عنوان « خلاصة ومقترحات » :

ولقد تضمن هذا الفصل تلخيصا لأهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث بكامله من أجل تقديم المقترحات والتوصيات التي يمكن أن تساعد على ايجاد الحلول المناسبة لمشكلات تدريس التاريخ في المرحلة الاعدادية في القطر العربي السوري .

وبعد انتهاء القسم الثاني من هذا البحث تم وضع الخاتمة ثم الملاحق .

ولقد تضمن الملحق الأول : النص الكامل لمناهج التاريخ في المرحلة الاعدادية بينما تضمن الملحق الثاني الاستخبار المبدئي الخاص بالدراسة الاستطلاعية ، في حين تضمن الملحق الثالث الاستخبار النهائي الخاص بالدراسة الميدانية النهائية .

ثم تم ادراج قوائم بأسماء المراجع التي اعتمدنا عليها ولقد انهينا البحث بخلاصة باللغة الانكليزية .

■

جامعة بغداد.
كلية الآداب.

عماد الدين زنكي ٤٧٧هـ - ٥٤١هـ.

(رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي)

باشراف الدكتور صالح احمد العلي. إعداد د. عماد الدين خليل.

يشمل بحث (عماد الدين زنكي) دراسة تحليلية للدور الذي لعبه هذا الامير في تأسيس (أتابكية الموصل) وللعلاقات الخارجية لهذه الامارة سواء في بلدان القوى الاسلامية ام في الميدان العالمي ازاء الصليبيين والبيزنطيين، كما يتتبع الاسس والتنظيمات العسكرية والادارية التي شهدتها الامارة المذكورة.

ويتضح – من خلال البحث – ان مكانة زنكي في التاريخ انما نجمت عن سعيه لجمع معظم بلاد الجزيرة الفراتية وشمالي العراق والشام في ظل حكومة واحدة تستطيع الوقوف بوجه الخطر الصليبي وتسعى للقضاء عليه. وقد اتبع زنكي لتحقيق غرضه هذا خطوات سياسية وعسكرية منظمة جعلته (مسؤولا) عن مرحلة جديدة في الجهاد ضد الصليبيين تميزت (بالتنظيم)، بعد ان كان معظم الامراء المحليين، في الفترة السابقة، يقاتلون اعداءهم ارتجالاً ودونما تخطيط مدروس.

وليس هذا البحث (ترجمة) او (سيرة) لحياة امير وتتبع ملامح شخصيته واموره الخاصة، بقدر ما هي دراسة شاملة (للظروف) التي ادت الى نشوء اكبر امارة اسلامية (معاصرة) شهدتها منطقة الجزيرة والشام وشمالي العراق، واستمرت تحكم اكثر من قرن من الزمان، وكان لها دورها الاساسي في ظهور دولتي نور الدين محمود والناصر صلاح الدين على مسرح الاحداث، وتمهيد الطريق لوحدة مصر والشام ومنح المقاومة الاسلامية سلاحا استراتيجيا اشد فاعلية.

يبدأ البحث بتحليل مركز لأهم المصادر والمراجع (العربية والاجنبية) التي اعتمدت في كتابته، وتبيان ما قدمه كل منها في هذا الميدان.. ثم يجيء الفصل الاول عرضا لنسب

عماد الدين زنكي ونشأته السياسية، والظروف المبكرة التي مهدت لظهوره على مسرح الاحداث وتأسيسه امارة الموصل. اما الفصول الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع، والتي تشكل المساحة الاهم في البحث، فتتناول دراسة تحليلية لعلاقات امارة الموصل بالقوى الاسلامية والصليبية على السواء، مبتدئة بالخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية، فامارات المدن المنتشرة في الجزيرة الفراتية وشمالي العراق والشام، فالامارات المحلية في اقليم ديار بكر في أقصى الجزيرة، ثم الامارات والعشائر الكردية في شمالي العراق، فحكام دمشق واواسط الشام، ثم الامارات الصليبية الاربع في الرها وانطاكية وطرابلس وبيت المقدس. ثم يجيء الفصل الثامن ليتناول حياة زنكي (الخاصة) وشخصيته ويناقش الروايات المتضاربة حول مقتله. اما الفصلان الاخيران (التاسع والعاشر) فيتناولان تحليلاً للنظم العسكرية والادارية التي شهدتها امارة الموصل (بما فيها: الجيش، الاقطاع، الاتابكية، نواب الامير، الولاة، الدواوين، الموظفون ونظام التوظيف، الامر الداخلي والاعمار)...

وكنت قد ارتأيت – قبل نشر الاطروحة – اضافة فصل جديد اليها كتبته مؤخراً ويشمل ما يربو على الاربعين صفحة، تناولت فيه منجزات زنكي الادارية في محاولة لاحداث نوع من التوازن بين الجانب السياسي العسكري والجانب الحضاري من البحث، في عصر غدا فيه للبحوث الحضارية شأن كبير، سيما وان العلاقة الوثيقة بين النظم الادارية والسياسية امرا يعرفه الجميع، اذ لا يمكن اعطاء صورة واضحة عن سياسة دولة او امارة ما الا بالقاء الاضواء على نظمها العسكرية والادارية والاقتصادية.

انجزت الرسالة في معهد الدراسات العليا في كلية آداب جامعة بغداد تحت اشراف الاستاذ الدكتور صالح احمد العلي، ونوقشت في الثامن من حزيران عام ١٩٦٥ من قبل اللجنة المكونة من الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري رئيسا، وعضوية كل من الاستاذ الدكتور صالح احمد العلي والاستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن (رحمه الله) والاستاذ الدكتور جعفر خصباك.. واجيزت بدرجة (جيد جدا). ونشرت من قبل الدار العلمية، بيروت، عام ١٩٧١.



«دعوة لأصحاب رسائل الماجستير والدكتوراه»

يسر مجلة «تاريخ العرب والعالم» ان تدعو اصحاب رسائل الدكتوراه والماجستير في التاريخ في الجامعات العربية للتعريف برسائلهم على صفحاتها وذلك في مقالة تتراوح ما بين الالف كلمة والالف والخمسمائة كلمة وتشمل على لمحة موجزة عن الموضوع المعالج، مع الاشارة الى مكان وزمان تقديمها واسم الاستاذ المشرف عليها.

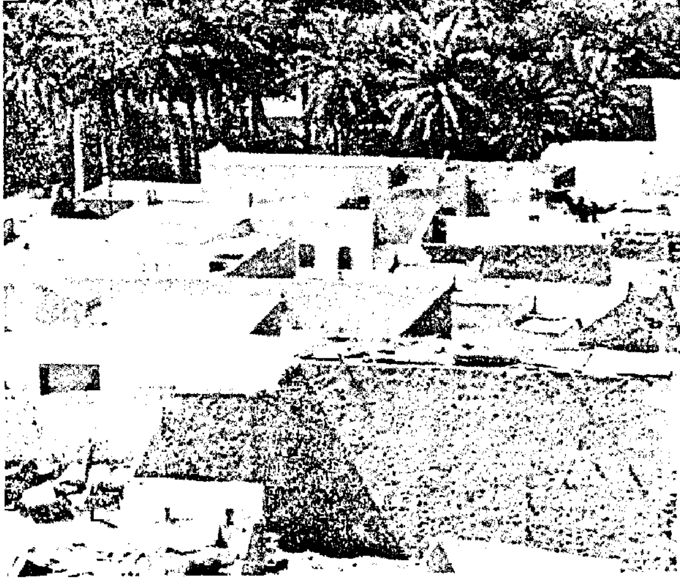
وإذ تفتح المجلة هذا الباب امام اصحاب الرسائل في علم التاريخ، تتوخى ان تحقق بعضاً من الاهداف والتي اهمها:

اولاً – التعريف بانجازات الباحثين والطلاب العرب في ميدان علم التاريخ.

ثانياً – التعرّف على توجهات الجامعات العربية في نوعية الموضوعات المطروحة ومناهج البحث المتبعة.

ثالثاً – توفير جانب من الببليوغرافيا التاريخية في موضوعات الرسائل التي قدمت ونوقشت في الجامعات العربية.

المسابقة



تاريخ وأسماء ومعالم القرى والأحياء في الوطن العربي

إلى القراء الاعزاء:

ترغب مجلة «تاريخ العرب والعالم» ان تفتح بابا خاصاً للقراء، لا سيما للطلاب في الثانويات والجامعات، تدعو فيه الى الكتابة المختصرة في موضوع: «تاريخ واسماء ومعالم القرى والاحياء في الوطن العربي». والمجلة إذ تفتح باب هذا الموضوع تخصص مكافأة قدرها ١٠٠ ليرة لبنانية، او ما يعادلها للفائز الاول، واشتراكا سنويا في المجلة للفائز الثاني، على ان تتضمن المساهمة المقدمة معلومات جديدة وشيقة عن القرية او الحي او المعلم وعن تاريخه واسمه وظروفه، او ما يحتوي من آثار عمرانية قديمة او مظاهر حضارية، واذا امكن صورة فوتوغرافية مأخوذة للحي او للقرية او لاي مظهر عمراني او اثري فيها، كذلك على ان لا تتجاوز المساهمة الـ ٢٠٠ كلمة، مطبوعة على الالة الكاتبة او منسوخة بخط واضح جميل، والّا اضطررنا آسفين لاهمالها.

هذا، واذ تشدد المجلة على جدة المعلومات الواردة، تطلب من الكتاب الاعزاء ان يتقيدوا باصول الكتابة العلمية وان يشيروا الى مصدر الاقتباس، وتترك لهيئة التحرير حقها في اختيار المساهمات الصالحة للنشر، وكذلك اختيار المساهمات الفائزة: اذ من حصيلة ما يصل الينا ستختار هيئة التحرير ثلاث مساهمات للنشر في كل عدد بينها المساهمتان الاولى والثانية الفائزتان بالمكافأة.

نرجو من المشترك ان يكتب اسمه وعنوانه بخط واضح في نهاية مقاله وان يرسله الينا بالبريد

تعتبر المواد المرسلة ملكاً للمجلة، إذا نشرت او لم تنشر.

تشكر ادارة التحرير جميع المشتركين في «المسابقة» على مساهماتهم وتنوّه بصورة خاصة بجهود البعض وتاسف لعدم فوز اي منهم بالجوائز المعروضة، وسننشر هذه الرسائل في باب القراء يكتبون..

القراء يكتبون

رصد تاريخي موجز عن: «فرقة الانكشارية»

لقد نشأت الدولة العثمانية في فترة كان المسلمون يلاقون فيها هزائم عسكرية حيث استطاع التتار القضاء على الدولة العباسية، كما ان دولة الاندلس الاسلامية قاربت على الزوال..

فكان العثمانيون قوة فتية ذات حيوية فائقة اخذت تعمل على اعادة مجد الاسلام من جديد، واذا كانت قوة الدولة في قوة جيشها فان فرقة «الانكشارية» وهي احدى الفرق السبع في الجيش العثماني تميزت من بينها بالقوة والصلابة والنفوذ السياسي والعسكري..

معنى التسمية: «الانكشارية» هي اللفظ العربي للكلمة التركية «يكي جري». وتعني «يكي» جديد و«جري» الجند ومعناها الجند الجديد. واسم الانكشارية اطلق على فرق المشاة النظاميين التي كونها الترك العثمانيون في القرن الرابع عشر الميلادي وذلك من اسرى الاسر المسيحية في البلقان.

العوامل المساعدة على نشأة الانكشارية:

١ – فساد النظام السابق حيث اعتمدت الدولة العثمانية في المجال الحربي في اول نشاتها على التجمع الاختياري للمحاربين الاتراك الذين يؤيدون الدولة العثمانية لضمان بقاء نظام الاقطاع مما ادى الى ظهور الحاجة الى قوة دائمة تكون على اهبة الاستعداد في اي وقت...

٢ – ظروف الدولة العثمانية الخارجية حيث كانت محصورة بين دولتين وهي الدولة السلجوقية والدولة البيزنطية وقد نتج عن ضعف الدولتين ظهور فراغ سياسي واضح يحتاج الى وجود جيش مدرّب وقادر على كسب الانتصارات المتوالية. ومن هنا تهيأ المناخ لظهور الانكشارية.

٣ – لتحقيق هدف الدولة العثمانية في الفتح والاتساع.

كل تلك العوامل وغيرها ادت الى ظهور نواة الانكشارية في عهد اورخان (١٣٢٦ – ١٣٥٩م) ولكن كفرَق ثم تنظمت في عهد السلطان مراد الاول (١٣٥٩ – ١٣٨٩) من اسرى البلقان الاشداد الذين يتعلمون اللغة العربية والتركية ومبادىء الدين الاسلامي وبعد ذلك يدربون على الجندية..

جهودهم في بناء الدولة العثمانية: يمكن القول بان الانكشارية لم يكن لهم قصب السبق في تدعيم ركائز الدولة العثمانية في بداية نشاتها الا انه لا يمكن انكار الدور الذي لعبه الانكشارية في الحفاظ على بنية الدولة سليمة.

فلقد احرز افراد الانكشارية الانتصارات القوية التي مكنت الدولة العثمانية من ان تحتل مكانة عالية في تلك الفترة. فلقد انتصروا على فرسان اوربا واتسعت الدولة العثمانية في القارة الاوروبية.

وساهمت الانكشارية في فتح القسطنطينية مساهمة فعّالة حين تركزت تلك الفرقة الفدائية في القلب امام سور القسطنطينية. وحينما اعطى لهم السلطان محمد الثاني الضوء الاخضر انطلقوا كالاسود الضارية بتكبيراتهم القوية حتى تم للسلطان محمد الثاني فتح القسطنطينية بعد الكثير من المحاولات لفتحها في التاريخ الاسلامي. وكان اول من ارتقى سور القسطنطينية هو جندي انكشاري وهو «حسن اولو بادلي».

نفوذ الانكشارية: اذا كان افراد الانكشارية قد ساهموا بجهد فعال في الحفاظ على كيان الدولة العثمانية في فترة نشأتها وبدايتها الا ان التمسك بهذا المبدا لا يعني الضمان الكامل لاستمرار هذه الدولة.

فلقد بدات فرقة الانكشارية تسلك سبلا كثيرة تعتبر من عوامل الهدم والفناء في صرح الدولة العثمانية.

واهم ما تميزت به حياة الانكشارية في هذه الفترة هي الثورات:

فلقد بدات هذه الثورات بعد وفاة السلطان محمود الاول (١٧٣٠ – ١٧٥٤)

وتكررت الثورات في عهد مراد الثـاني ومحمد الثاني.

وهكذا بدا الفســاد يزداد شيئـا فشيئا حتى اصبح واضحا وجلياً مما جعل معالجته ضرورة وملحة.

وظهرت الاصلاحات في الدولة العثمانية وكان افراد الانكشارية يثـورون ضد عمليـات الاصـلاح لانهم يرون فيهـا زوالا لسلطـانهم وسارت عمليات الاصلاح حثيثة تواجهها عقبة كبيرة وهي الانكشارية حتى جاء عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) وظهرت فكرة الغاء الانكشارية واستئصال شـريان الفسـاد والقضـاء على اكبـر عقبة في وجـه الاصلاح وانطلق السلطان محمود الثاني مستندا عـلى تجارب السلاطين الذين سبقوه واصدر قرارا بتدريب الانكشارية على احدث الوسائل الحربية الاوروبية في ١٢ يونيو ١٨١٦م وفي ١٥ يونيو ثارت الانكشارية فقام السلطان محمود الثاني في ١٦ يونيو بالقضاء التام على فرقة الانكشارية فلقد ذكر معظم المؤرخين بانه تمّ القضاء على اربعين الفا من افراد الانكشـارية في مـدينة اسطنبول وحدها ثم بعد ذلك شرعت الـدولة العثمانية في اقامة جيش نظامي على الطـريقة الاوربية على انقاض الانكشارية.

نظرة اخيرة:

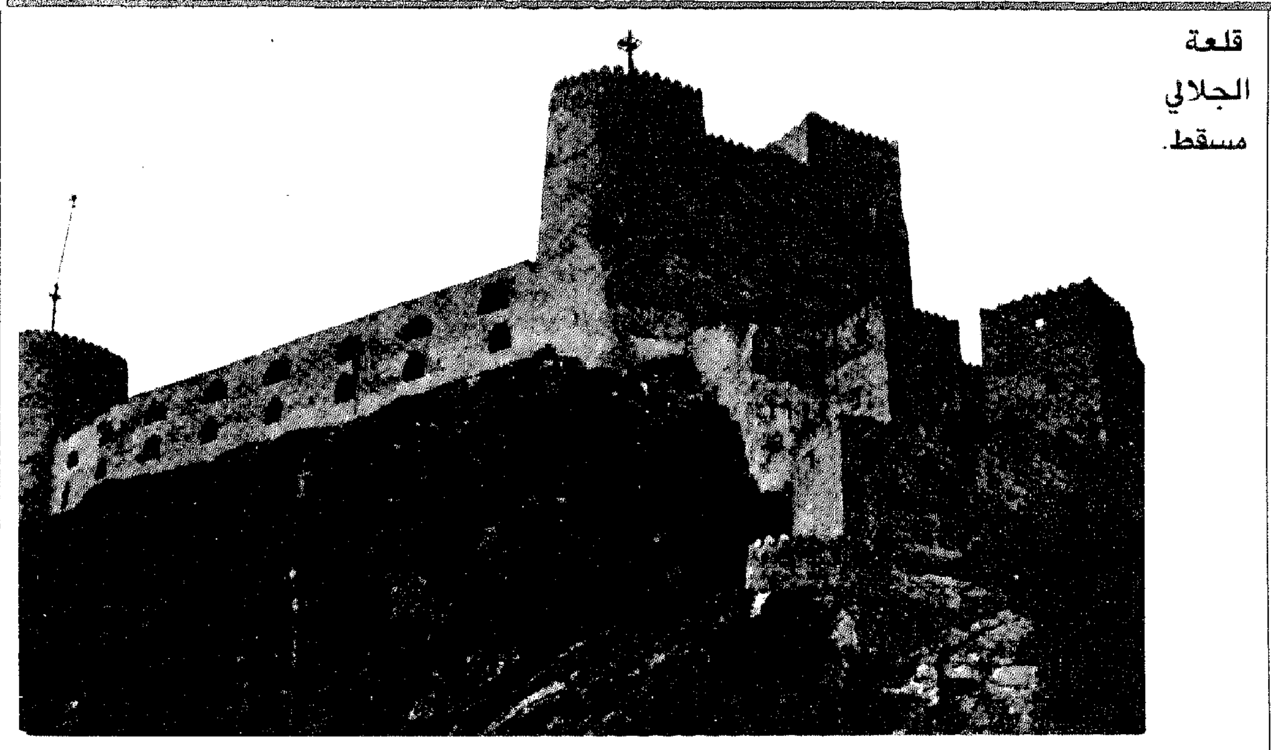
تلك هي فرقة الانكشارية من خلال التتبع التاريخي الموجز في محاولة الالتقاء اكبر قدر من الضوء والتحليل عليها..

تلك هي فرقة الانكشارية التي تعتبر من عوامل البنـاء في الدولـة العثمانيـة في بدايـة نشاتها، ثم اصبحت من معاول الهدم والفناء في صرح الدولة العثمانية واصبحت من اهم ملامح فتـرة الضعف التي انتابت الـدولة العثمـانية (١٥٩٦ - ١٧٨٧)...

فهد عبد الله السماري
المملكة العربية السعودية

المراجع

١ - دائرة المعارف الاسلامية (تعريب ابراهيم خورشيد وزملائه) دار كتاب الشعب.
- حركة الاصلاح العثماني. محمود البحراوي.
٣ - تاريخ الشعوب الاسلامية، كارل بروكلمان.
٤ - فلسفة التاريخ العثماني محمد جميل بيهم.
٥ - السلطان محمد الفاتح و د. عبد السلام فهمي.



قلعة الجلالي مسقط.

هدية من القارىء الطالب سليمـان عبد الله حمـد الحارثي. سلطنـة عمان - المنطقة الوسطى - المصيرب.

صيدنايا ودار السيدة العذراء

٣١كم من دمشق / ١٤٠٠م ارتفاعها عن سطح البحر وهي كلمة سريانية الاصل اول من سكنها الاراميون ومن اثارهم النواويس الحجرية ومعبد الاله دانابا ومقام مارسابا ومغارة ماريوحنا. احتل اليونان الوثنيون هذه البلاد اواخر القرن الرابع ق. م. رمموا معبد دانابا وجعلوه معبدا لاله الشمس ونقشوا تحته ما يسمى اليوم بمغارة الاصنام وهي مدافن مزينة بالتماثيل والنقوش.

غير ان عهد صيدنايا الذهبي بدا منذ ان اعتنق اباطرة بيزنطة الدين المسيحي فاصبحت البلدة مركزا لاسقفية كبيرة، واهمية صيدنايا تاتي من دير السيدة العذراء الذي يدخل اليه من باب صغير مصفح بالعوارض الحديدية ويعلوه نقش من العهد البيزنطي، على ان ادعى ما في الدير للخشوع والعناية مقام الشاغورة وتلقب بالسريانية شاهورة اوشاغورة. والشاغورة عبارة عن حجرة صغيرة واطية السقف تتدلى منها المصابيح الزيتية وقد غطيت جدرانها بالايقونات القديمة القديمة وبالعطايا الذهبية والفضية وفي الشاغورة توقد الشموع ليل نهار وتفوح رائحة البخور فتكسب المكان جوا مهيبا غريبا.

وتقول القصة التي دعت لبناء الدير ان الامبراطور البيزنطي يوستنيان عندما خرج بجيوشه لمحاربة الفرس عسكر على مسافة من دمشق في البادية القريبة ولكن العطش ادركهم فركب الملك فرسه واخذ يبحث عن ماء واذابه يرى غزالة شهية للصيد فراح يطاردها فوقفت على قمة صخرة عالية وعندما تهيأ لرميها بالسهم استحالت الغزالة الى سيدة وقور متشحة بالبياض ويشيع منها نور عظيم واشارت للملك الصياد «لا ترم بسهمك بايوستنيان ولكنك ستقيم كنيسة باسمي على هذه الصخرة. ولكن المهندسين لم يجتمعوا على راي في تصميم الدير الحالي واولى رئيسات الدير كانت اخت الامبراطور يوستنيان.

وليد إبراهيم الاسود

الرّقّة

إحدى المدن السورية الحالية التي تقع على شاطىء الفرات وقد قامت موضع المدينة اليونانية القديمة كالليتيكوم والرَّقة باللغة العربية تعني كل ارض الى جانب واد ينبسط عليه الماء ساعة الفيضان لقد بنى هشام بن عبد الملك سوقافيها دعي باسمه كما بنى ابو جعفر المنصور مدينة الرافقة على مقربة منها. وتم فتح هذه المدينة على يد عياض بن غنم سنة ١٧هـ.

انتقل الرشيد اليها من بغداد بعد ان بيّت مكيدة للبرامكة في سنة ١٨٠هـ وبنى فيها مجموعة من القصور كقصر السلام وقصر البنات الذي لا تزال آثاره واضحة المعالم حتى الان ويقع في الجهة الشرقية بالقرب من باب بغداد كما يوجد فيها بقايا الجامع العتيق والسور الذي يحيط بها وتقدر مساحة المنطقة الاثرية فيها بـ ٥٠ كم^2 كما ان اسم الرشيد كان واضحا على باب السبال من الجانب الشرقي[1] من عدة سنوات خلت وقد قال الرشيد: الدنيا اربعة منازل «العشق والرَّقة والري وسمرقند» [2] كما توجد الرصافة على بعد ثلاثين كيلومترا الى الجنوب الغربي منها والتي كانت حاضرة هشام بن عبد الملك ياوي اليها في الصيف هربا من البق على شاطىء الفرات[3] اما الرقة البيضاء فهي احد ابواب الرقة والمعروف بباب الرها[4] كما ذكر البلاذري[5] ويتبع الرقة ايضا قرية صفين التي كان بها

منزل جبلة بن النعمان[٦] وفيها ايضا وقعت الفتنة بين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان.

وقد اشار المقدسي في سياق حديثه عن الرقة قوله: والرقة موضع الاخطار[٧] كما يقول عنها ابن حوقل وعن الرافقه: وكان لهما عمارة.. وكانت خصبة رخصة الاسعار حسنة الاسواق[٨] ويوجد بالرقة قبور لبعض الصحابة الذين استشهدوا في صفين كعمار بن ياسر والتابعي اويس القرني ونبغ فيها مجموعة من الشعراء كمنصور النمري وربيعة الرقي[٩] على ان اقدم بناء مسكون فيها حاليا لا يعود الا الى ١٣٠٥هـ - ١٨٨٧م وذلك بعد ان اخر بها التتار خلال فترة اجتياحهم للعراق وبلاد الشام[١٠].

محمد محمد اسعد

هوامش

(١) الاعلاق الخطيرة - للمعز بن شداد.ج ٣ ص ٧١.
(٢) احسن التقاسيم للمقدسي طبع ليدن ١٩٠٦ ص ٢٨٥.
(٣) معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥٥ وما يليها.
(٤) نشا على انقاضها في الوقت الحاضر قريتا المشلب والحليسات.
(٥) فتوح البلدان: انظر فتوح الرقة والجزيرة ص ١٧٦ وما يليها.
(٦) خطط الشام ج ٥ ص ٢٦٢.
(٧) احسن التقاسيم ص ٢٣.
(٨) صورة الارض ص ٢٠٣.
(٩) الشعر والشعراء في العصر العباسي - دكتور مصطفى الشكعة.
(١٠) مجلة العمران - عدد خاص عن الرقة لعام ١٩٧١ ص ٣٧.

الفضيل بن عياض «صوفي من الرعيل الأول»

حياة الفضيل: انه ابو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ثم اليربوعي. انه عربي من قبيلة تميم ولد بخراسان من ناحية مرمر بقرية يقال لها فنرين وكان ابوه معروفا لقد كان معروفا بخشية الله والخوف منه. يقول سفيان بن عيينه العالم الزاهد المشهور: «ما رايت احدا اخوف لله من الفضيل وابيه» واحب هذا الوالد المؤمن ان ينشا ابنه على غراره ولكن هذا الابن لم يحقق رغبة ابيه في بواكير شبابه فقد انحرفت به الحياة فيما يبدو في عهد مبكر في حياته ولكن جو الاستقامة الذي نشأ فيه وجو الايمان الذي تفتحت عيناه عليه كامنا في نفسه لم يزل اثره فكانت حياة موقتة ثم تغلبت عليها جوهر فطرته الطاهرة وما لبث ان حصل له هذا الانقلاب المفاجىء الذي يهيئه الله سبحانه لمن احب من عباده. يقول الفضيل بن موسى: كان الفضيل بن عياض، شطارا يقطع الطريق بين ابيورد وسرخس وكان سبب توبته انه عشق جارية فبينما هو يرتقي الجدران اليها اذا سمع تاليا يتلو «الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله». فلما سمع قال: «لا بلى يا رب قد آن» فرجع فأواه الليل قال: ففكرت انا اسمع اسمي بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين يخافونني ها هنا وما ارى الله سائقي اليهم الا لارتدع اللهم اني قد تبت اليك وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام. لقد سمع الفضيل النداء الالهي يدوي من اعماق نفسه وسمعه متجاوبا مع التالي للقرآن الكريم بل ربما لم يكن هناك تاليا وانما النفس والتطلع الكامن في نفس الفضيل الى حياة التقوى والفضيلة والطهر والنفس الوجداني يبدو ان الفضيل احب ان يذهب الى البيت وهو يطوف به ويسير حوله داعيا الى الله وحده ولا شريك له مناديا «لا اله الا الله» وكانت هزة الكلمة تزلزل قواعد الشرك وتقع غصه في قلوبهم وان حرمة هذا البيت فيما يرى الفضيل ان لا تشد اليه الرحال الا انت

علي علم بما ينبغي ان تكون عليه فيه لا بد اذا من العلم قبل الذهاب اليه اين الذهاب. اذا ليتعلم ولتكن توبته صادقة قائمة على اساس من المعرفة وكما هي قائمة على اساس من الشعور النفسي الصادق، لقد يوجه الفضيل وجهه شطر الكوفة ولما حل بالكوفة اخذ ينهل من العلم نهلا لقد اخذ يحضر نهاره مع كبار اساتذة الحديث على الخصوص ويسهر ليله في استذكار ما سمع وتعلم وكان الفضيل صاحب ذاكرة قوية وفطنة نفاذة... وكانت عنده مؤهلات التي لا ينبغ المحدث الا بها. وكان فطنا بحيث يسهل عليه ويتصرف في المشكلات على اسلوب ذكي.

يبدو ان الفضيل لم يكن ثريا وان حياته ما كانت حياة رخاء ولكن الذين يؤرخون له يتحدثون عن خادم له ولقد روى هذا الخادم الكثير عن حياة الفضيل الدينية وكان خادما عالما اكتسب من صحبة الفضيل الكثير من المعرفة ان ابراهيم بن الاشعث الذي تفانى في حب الفضيل وفي خدمته ولم يكن هذا الخادم الوحيد عند الفضيل فقد كان للفضيل جارية سوداء هي التي قالت لهارون الرشيد حينما كان عنده الفضيل «يا هذا: لقد اذيت الشيخ منذ الليلة: انصرف يرحمك الله» وكان للفضيل حمار يركبه وكان الفضيل يقول:«اني لاعصى الله فاعرف ذلك في سوء خلق خادمي وحماري».

ويتجه الفضيل الى العلماء فيبين لهم وضعهم الصحيح قائلا: لو ان اهل العلم زهدو في الدنيا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت الناس لهم. وقد كان الفضيل يخالط سفيان بن عيينه العالم الشهير فكان كلما التقى به يوجه اليه النصح ولقد جلس اليه سفيان بن عيينه يوما فقال له: «كنتم معاشر العلما سراجا للبلاد يستضاء بكم.. فصرتم ظلمة وكنتم نجوما يهتدى بكم فصرتم حيرة اما يستحي احدكم من الله اذا اتى الى هؤلاء الامراء واخذ مالهم وهو لا يعلم من اين اخذه ثم يسند بعد ذلك ظهره الى محراب ويقول حدثني فلان عن فلان فطأطأ سفيان راسه وقال: نستغفر الله ونتوب اليه وكان اذا اجتمع حوله العلماء يوما قال لهم: «مالكم وللملوك.. ما اعظم مونتهم عليكم. ولقد كان للفضيل جولات مع هارون الرشيد

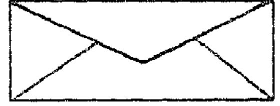
ولقد كان لهارون الرشيد جولات مع الفضيل.

ولقد كان في الرشيد سحر الدنيا وكان قلبه مع ذلك يتفتح للعظمة الخالصة خارجة عن قلب مؤمن لقد كان يملك اسباب النعيم الحسي في اسراف مسرف وكان يمتلكه احيانا خوف الله فيغمره احساس ديني عميق وتفيض عبرته ولقد كان بهذا الشعور الديني يجل الذين اخلصوا وجوههم لله ويتقبل نصحهم بل يهابهم ويقدرهم روى النضر بن شميل قال: سمعت هارون الرشيد يقول ما رايت في العلماء اهيب من مالك ولا اروع من الفضيل. ومن طرائف الفضيل مع الرشيد ان قال له الرشيد يوما متعجبا من زهدة ما ازهدك فقال له الفضيل - انت ازهد مني قال وكيف ذلك قال: لاني ازهد في الدنيا وهي فانية وانت تزهد في الاخرة مع انها باقية..

وعن المحبة سأل رجل الفضيل بن عياض فقال: با ابا علي متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى: فقال له الفضيل «اذا كان عطاؤه ومنعه اياك عندك سواء فقد بلغت الغاية من حبه، اما حقيقة المحبة فقد قال الفضيل بشأنها «حقيقة المحبة ايثار المحبوب على الكونين في القرب والبعد. وعن الرضى يقول الفضيل: «درجة الرضاء عن الله عز وجل درجة المقربين ليس بينهم وبين الله الا روح وريحان».

حدث سعد بن زنبور قال كنا على باب الفضيل فاستأذنا عليه فلم يؤذن لنا فقيل لنا انه لا يخرج اليكم او يسمع القران قال وكان معنا رجل موذن فقلنا له اقرا فقرا «الهاكم التكاثر» ورفع بها صوته فاشرف علينا الفضيل وقد بكى حتى بلّ لحيته بالدموع ومعه خرقة ينشف بها الدموع من عينه وانشأ يقول: بلغت الثمانين او جزتها فماذا اومل او انتظر اتالى ثمانون من مولدي وبعد الثمانين ما ينتظر علتني السنون فابلينني. قال ثم خنقته العبرة وكان معنا علي بن الخرشم فاتمه لنا فقال علتني السنون فابلينني فرقت عظامي وكل البصر. ثم لما راى نفسه اهلا للذهاب الى مكة ومجاورة البيت الحرام سافر اليها واستقر فيها الى ان مات بها في اول سنة سبع وثمانين ومائة عن نحو الثمانين سنة ودفن بباب المصلى.

عبد الحكيم محمد كشاد. طرابلس - ليبيا



بريد القراء

● المستشار القانوني السيد مؤيد الثنيان - الدمام - المملكة العربية السعودية

لقد سررت جدا بوجود مجلة كمجلتكم تبحث في التاريخ الذي اهمل من قبل اكثر المجلات العربية المعاصرة والذي يجهله اكثر الناس وخاصة الشباب. واني باعتباري احد هواة البحث بالتاريخ وعضو الجمعية التاريخية البريطانية فيسرني ان اكون احد المشتركين في مجلتكم. كما يسرني ابداء بعض الملاحظات التي ارجو ان تحظى بموافقتكم.

■ نشكر للسيد المستشار بادرته الطيبة ونامل ان نكون حسب ظنه. بالنسبة للملاحظات فان ردنا هو الاتي:

١ - حجم المجلة لا يمكن تغييره لاسباب فنية (حجم الورق) واسباب ادارية (تجليد المجلة كل سنة). بالنسبة للطباعة فان المجلة تطبع بالفعل بطريقة الاوفست.

٢ - نحن ننشر وباستمرار صور تاريخية نادرة وسنحاول ان نلبي رغبتك في اعدادنا المقبلة.

٣ - ملف الوطن العربي الذي بدانا به منذ اكثر من عشرة اشهر يلبي رغبتك كل شهر. بالنسبة للتاريخ الحديث فاننا نحاول قدر الامكان الهروب منه نظرا للمحاذير الكثيرة التي ستجابهنا.

● عبد الكريم عبدان - العراق - محافظة بغداد.

■ نشكر الاخ عبد الكريم على مساهمته وناسف لعدم تمكننا من نشرها بسبب رداءة الخط. نامل من الصديق ان يرسل مواده في المستقبل مطبوعة على الالة الكاتبة.

● آيت نيني محمد - وجده - ص. ب. ٨ - المغرب.

تحية تقدير واعجاب لمجلة «تاريخ العرب والعالم».. للدور الفريد الطلائعي الذي تقوم به في العالم العربي من حيث اختصاصاتها وكذلك من حيث تشجيعها لهواة جمع الطوابع البريدية من خلال نشر المعلومات القيمة التي تنشرونها كل شهر.

■ نشكر للاخ محمد تقديره للمجلة وللعاملين معها.. بالنسبة لاقتراحك القاضي بمبادلة طوابع بريدية بكتب تاريخية فاننا نحيل اقتراحك لقراء «تاريخ العرب والعالم». اما الاعداد التي تحتاجها فبامكانك الحصول عليها مقابل تحويل «عشرون» ليرة لبنانية او ما

● حيدر مجيد ياسين - بغداد - العراق

■ نشكر الاخ حيدر على مساهمته ونامل منه ان يرسل مواده في المرة القادمة مطبوعة على الالة الكاتبة.

● فهد عبد الله السماري - الرياض - جامعة الامام محمد بن سعود - المملكة العربية السعودية.

اود ان اهنئكم وابدي اعجابي بجهودكم البناءة وبما تقوم به مجلتكم الموقرة من جهود واعمال تشكر عليها. ويسعدني ان انضم الى هذه المجلة العزيزة وان اشارك في اداء رسالتها العلمية القيمة.

■ نشكر الاخ فهد على عواطفه الطيبة ونفتخر بانضمامه الى اسرة تحرير المجلة ونعتز بمشاركته القيمة التي قررنا نشرها في هذا العدد.

رأي حر

بقلم الدكتور
حنفي بن هيسي
رئيس تحرير مجلة
«الثقافة» الجزائرية



ان سلوكنا في الحياة خاضع احياناً لحسابات نحاول بها ان نضمن لانفسنا النجاح والربح في مشاريعنا . ولا تثريب على الانسان من هذا التصرف ما دام الامر يتعلق بتحقيق المصلحة لنفسه، او لذويه، او لبني قومه، من غير ان يترتب على هذا التصرف ما فيه ضرر بمصالح الآخرين. ولقد يقول البعض بأن هذا الكلام من البديهيات، ولا يحتاج الى توضيح او بيان. ولكن المشكلة ان هذه الحسابات تقوم في اغلب الاحيان على الميل الى هذا الشيء دون ذاك، وعلى الاختيار والانتقاء بين قيم عديدة. فمن الملاحظ اليوم مثلا ان القيم المادية مرجحة لدى الكثير من المواطنين على القيم الثقافية والفكرية او الجمالية. ولعل اوضح دليل على ذلك ان الهدايا التي تقدم في المناسبات والاعياد هي المآكل او الملابس او المنتجات الصناعية، وقلما يخطر ببال احد ان يصطحب معه للاهداء، باقة من الزهور او لوحة فنية او اسطوانة، او شيئاً من هذا القبيل. اما اذا خطر بباله ان يهدي كتاباً، فسوف يقابل بالازدراء والسخرية. وذلك ان «تقييم» الهدية قائم لدي معظم الناس على معايير حسية مادية صرفة، كالحجم، والوزن، والفائدة المادية العاجلة، وما أقل حظ الكتاب من هذه المعايير الثلاثة.

ولو ان الامور تقف عند هذا الحد لما كان فيه من لزوم للبكاء على القيم الفكرية والثقافية الضائعة، لأن الانسان على اية حال معذور اذا كان يسعى الى ارضاء حاجاته الملحة المتمثلة في المأكل والمشرب والملبس والوسائل المادية التي توفر له الراحة.. ومعذور ايضا (الى حد ما) اذا كان يرجح هذه الحاجات البيولوجية والمادية، على الحاجات الفكرية الثقافية في حد ذاتها وهذا الاختيار امر عسير، خلافاً للقيم المادية التي يستطيع الانسان بكل سهولة ان يختار الواحدة منها دون الاخرى، وان يتخذ تجاهها موقفا واضحاً بالإقدام والاحجام، لانها على اية حال معروضة للبيع، واسعارها واضحة، وهي خاضعة، لقانون العرض والطلب. اما روائع الآداب والفنون والعلوم فكيف السبيل الى تقييمها؟ ويزداد المواطن حيرة، عندما لا يجد من يساعده في الاختيار فيحاول ان يتخلص من هذه الحيرة بالانصراف تماما عن امثال هذه القيم. وقد تجده احيانا يكتفي بالقيم المادية. او يعامل القيم الثقافية بنفس الطريقة التي يعامل بها القيم المادية. وهذا السلوك لاحظناه عند فئة من المواطنين الذين لا يزالون يشكون، ويشككون الناس في اللغة القومية، ويحسبون حسابات تافهة كما لو ان اللغة العربية من القيم المادية الصالحة للبيع والشراء، والمتعرضة للربح والخسارة، فيتساءلون: ما هي اللغة التي سوف تضمن لابنائي الجاه والمال، وترفع منزلتهم في المجتمع؟ وبما ان بعضهم لم يتخلصوا من التبعية الثقافية، فقد استقر في اذهانهم بان لغة الدنيا لا تزال هي اللغة الاجنبية، كما كان الامر في عهد الاستعمار. ولذلك تجد الواحد منهم لا يرضى ابداً بتسجيل ابنه في المدرسة المعربة او القسم المعرب فيبذل كل ما في وسعه لنقله الى القسم المزدوج، بل يتمنى لو يجد سبيلا الى تسجيل ابنه في احدى المدارس الاجنبية.

ونحن اليوم نتساءل: هل يحق لاحد من الطلبة المعربين — بعد ما نالت البلاد استقلالها واستكملت الدولة مؤسساتها هل يحق له ان يتخوف على مستقبله، وان يظن بان ابواب العمل ستكون مغلقة امامه؟ ان قلق الطلبة المعربين على مستقبلهم لا مبرر له اطلاقا، والمسألة كلها متعلقة بقدرة كل واحد منهم على النشاط والعمل، لكي يساهم بكل جد في بناء صرح الدولة. وسوف يزول هذا القلق تماما يوم يعمل القائمون على شؤون التربية والتعليم والتكوين في بلادنا، على توضيح معالم السياسة اللغوية وعلى تأسيس المدرسة الجزائرية الموحدة: مدرسة ليس فيها تمييز بين معرب ومزدوج، وينهل فيها ابناء البلاد من مورد واحد.

في العدد المقبل



غيلين :
الرجل الذي
لا وجه له !..
الحلقة الثانية



مظاهر
المقاومة
في الشرق
القسنطيني
ضد الإستعمار
الفرنسي

